نموذج ترخيص

أنا الطالب : إيمان متعب عقاب الهوش. أمنح الجامعة الأردنية و/ أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو استغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونية أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

مشاهد الآخرة من علامات الساعة الكبرى إلى آخر الصراط وترتيبها - دراسة عقدية -

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: إيمان متعب عقاب الهوش.

التوقيع: [signature]

التاريخ: ٢٤/٤/٢٠١٤

مشاهد الآخرة من علامات الساعة الكبرى إلى آخر الصراط وترتيبها

- دراسة عقدية -

إعداد

إيمان متعب ماجد اليونس

المشرف

الأستاذ الدكتور راجح عبد الحميد سعيد كردي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

نيسان، ٢٠١٤

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (مشاهد الآخرة من علامات الساعة الكبرى إلى آخر الصراط وترتيبها – دراسة عقدية -) وأجيزت بتاريخ ٢٠١٤/٤/١٦.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور راجح عبد الحميد كردي، مشرفاً أستاذ مشارك – العقيدة والفلسفة.	
الدكتور محمد أحمد محمد الخطيب، عضواً أستاذ – العقيدة والفرق والأديان.	
الدكتور أحمد عبد حسين العوايشة، عضواً أستاذ مشارك – العقيدة الإسلامية.	
الدكتور عامر سلامة فلاح الملاحمة،عضواً (جامعة العلوم الإسلامية) أستاذ مساعد – العقيدة الإسلامية.	

الإهداء

إلى من ربياني صغيراً، وتعهداني كبيراً

إلى من يقدِّر العلم ويدرك قيمته . .

والديَّ العزيزين

إلى عائلتي الكريمة . . إخواني وأخواتي الدكاترة الفضلاء

وإلى زوجي الغالي أخصّائي الجراحة الطبيب سامر تيسير عيّاش

وعمي وعمتي والعائلة الغالية على قلبي

ثمَّ إلى أساتذتي الكرام وإلى كل من أراد بالعلم طريقاً يهتدي به إلى الخير والإصلاح . .

أهدي هذا الجهد المتواضع

الشكر والتقدير

أشكر الله أولاً وأحمده حمداً كثيراً، ثم انطلاقاً من قوله تعالى " ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴿١٢﴾ ﴾ (سورة لقمان ، آية ١٢)، ومن قول الرسول صلى الله عليه وسلم " لا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ" ، [١] فأتقدم بالشكر الجزيل والتقدير إلى مشرفي الأستاذ الدكتور راجح عبد الحميد سعيد الكردي واسأل الله تبارك وتعالى أن يبارك له في علمه، ويجزيه عني خير الجزاء.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذتي الأجلاء احتراماً وتقديراً في كلية الشريعة عامة وأساتذة العقيدة خاصة وأعضاء لجنة المناقشة لتكرمهم بالموافقة على مناقشة هذا العمل والإفادة من ملحوظاتهم لإثراء هذه الرسالة.

وأشكر عائلتي كثيراً وكل من كان سبباً في تعلمي العلم الطيب.

وختاما آمل من الله أن أكون قد وفقت في إعداد هذا البحث بالطريقة التي تنفع الإسلام والمسلمين وتخدم الدارسين وأن أنال رضى الله عز وجل.

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ (سورة هود : ٨٨)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) سنن الترمذي كتاب البر والصلة باب ما ، جاء في الشكر لمن أحسن إليك ، ص ٤٤٥، وقال الترمذي هــذا حديث صحيح، المسند للإمام أحمد بن حنبل، مسند أبي هريرة، ح٧٩٤٤، ص ١٥٢

قائمة المحتويات

مشاهد الآخرة من علامات الساعة الكبرى إلى آخر الصراط وترتيبها
- دراسة عقدية -

إعداد

إيمان متعب ماجد اليونس

المشرف

الأستاذ الدكتور راجح عبد الحميد سعيد كردي

الملخص

هذا بحث مقدم لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في قسم العقيدة، وقد تناولت الدراسة موضوع: "مشاهد الآخرة من قيام الساعة إلى آخر الصراط في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وترتيبها -دراسة عقدية- "، وتحتوي هذه الرسالة على مقدمة، وفصل تمهيدي، وخمسة فصول، وخاتمة.

عالجت هذه الرسالة قسماً من مراحل الآخرة ابتداءً من قيام الساعة إلى آخر الميزان بدراستها من مصادرها السمعية وهو الوحي من القرآن الكريم والسنَّة الشريفة.

تناول الفصل الأول: "القيامة علاماتها وأهوالها"، حيث بيَّنَ من خلال نصوص الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة علامات الساعة الكبرى: من المسيح الدَجال وما يحدث من فِتَن وملاحم وقتال اليهود، وظهور الشرك واختلاف الإيمان، وطلوع الشمس من مغربها، وظهور الدابة والدخان، ونزول عيسى عليه السلام وخروج الكذابين والنار، وما يحدث من علامات كالنفخ بالصور، وبيان حال الناس وقت النفخ بالصور، وأحداث أخرى تتعلق بالأرض والجبال وأهوال السماء يوم القيامة.

وأما الفصل الثاني بعنوان البعث و النشور ،فتناول هذه القضايا: بعث الأجساد من القبور، النشور، الحشر، أحوال الناس يوم الحشر، الحوض، والكوثر.

كما تكفَّلَ الفصل الثالث " الحشر" قضية الحساب من عرض وجدال ومعاذير، وطلب الفداء وتطاير الصحف، وشهادة الأعضاء والأعمال ، وشهادة الأنبياء والرُسُل ، وشهادة محمد عليه الصلاة والسلام على الخلق والأمة.

وأما الفصل الرابع " الميزن" حيثُ أبرز أوجه الاختلاف في طبيعة الميزان وكفتيه، وأوجه الاختلاف فيوزن الأعمال، وتناول دقة الميزان، والأعمال المنجية والمهلكة، ورضا الرب

وغضبه عند وزن الأعمال، وانتهيت إلى بيان موقف العلماء من ترتيب الأحداث من اليوم الآخر إلى آخر الميزان .

وبالفصل الخامس" الصراط" تطرقت إلى تبيان معنى الورود على الصراط وصفته، وبينت احوال الناس على الصراط وأشكال السقوط عنه، وذكر من أنكر الصراط مع الرد عليهم.

وانتهيت إلى ترتيب قسماً من مشاهد اليوم الآخر وبيان اختلاف العلماء في ترتيب بعضها.

وأما الخاتمة فإنها تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الرسالة، وأسأل الله العلي القدير أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يتقبلها منا، وأسأله أن يلهمنا الرُّشد والسداد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المقدمة

الحمدلله رب العالمين، بديع السموات والأرض، خلق كل شيء فقدره تقديراً، وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى، أكرمنا بالإسلام، وأعزنا بالإيمان، وأنعم علينا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فهدانا من الضلال، وجمعنا من الشتات، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، صلى الله عليه وسلم.

ما كان الإيمان باليوم الآخر وما يتبعه من بعث وحشر وحساب وجنة ونار من أهم القضايا في العقيدة الإسلامية وخصوصًا في هذا الوقت الذي انشغل فيه كثير من الناس بالدنيا وما فيها من المتاع واختلت الموازين فنسوا اليوم الآخر، وما يكون فيه من بعث وحشر وحساب وأهوال عظيمة لا يعلم قدرها إلا الله.

ولكثرة ما دار حول قضايا اليوم الآخر من بحوث قام بها علماء التوحيد من حيث تفاصيلها وتأويل الآيات الكريمة والأحاديث في وصفها وإدراك معانيها ، انطلاقاً من هنا سيكون هذا البحث -إن شاء الله - لبحث هذه القضية وتأصيلها كقضية غيبية أولاً من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وتجلية مذاهب علماء التوحيد فيها مما يخدم الدراسات العقدية في القرآن الكريم والسنة الشريفة ونظراً لطول الموضوع رأيت الاقتصار على أحداث اليوم الآخر ابتداءً من قيام الساعة إلى آخر الصراط.

وهو دعوة للإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وما يكون فيه، وتصديق لما أخبر به الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وكذلك هو دعوة للتأهب لما بعد الموت، فإن الأجل قريب، والإنسان لا يعلم مصيره بعد الموت، وهل ستثقل موازينه فيكون من المفلحين أو تخف فيكون من الخاسرين.

ولهذا رغبت بأن يكون بحثي لمرحلة الماجستير بعنوان:

" مشاهد الآخرة من قيام الساعة إلى آخر الصراط في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وترتيبها -دراسة عقدية- ".

أسأل الله العلي القدير أن يتقبل هذا العمل خالصاً.

مشكلة الدراسة:

تتلخص مشكلة الدراسة في محاولة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

أولاً: ما الآيات الكريمة التي عالجت هذه الأحداث من قيام الساعة إلى آخر الصراط؟

ثانياً: ما الأحاديث النبوية الصحيحة التي عالجت هذه الأحداث من قيام الساعة إلى آخر الصراط؟

ثالثاً: ما منهج النصوص الكريمة من الكتاب والسنة في معالجة هذه الأحداث من قيام الساعة إلى آخر الصراط؟

رابعاً: ما توجيه اختلاف فهم العلماء في وصف هذه الأحداث من قيام الساعة إلى آخر الصراط؟

خامساً:ما موقف العلماء من ترتيب الأحداث من قيام الساعة إلى آخر الصراط؟

أهمية الدراسة

أولاً: تعالج قسماً من مراحل الآخرة ابتداءً من قيام الساعة إلى آخر الصراط بدراستها من مصادرها السمعية وهو الوحي في القرآن الكريم والسنة الشريفة بالاقتصار على الأحاديث الصحيحة.

ثانياً: بيان منهج القرآن الكريم والسنة الشريفة بعرض هذه القضايا باعتبارها قضايا غيبية.

ثالثاً: معرفة آراء علماء العقيدة من ترتيب الأحداث من قيام الساعة إلى آخر الصراط والراجح منها.

أهداف الدراسة:

أولاً: بيان مفهوم الآخرة وإدراك أهميتها في حياة المسلم.

ثانياً: معرفة علامات الساعة من القرآن الكريم والسنة الشريفة الصحيحة.

ثالثاً: بيان مرحلة البعث والنشور في القران دراسة صحيحة.

رابعاً: إدراك مرحلة الحساب وتفاصيلها في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

خامساً: توضيح مرحلة الميزان في الآخرة وإدراك العدالة في وزن أعمال العباد في القران الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

سادساً: التطرق إلى ذكر موقف العلماء من ترتيب الأحداث من قيام الساعة إلى آخر الصراط.

الدراسات السابقة:

لقد رجعت الباحثة إلى رسائل جامعية ولم تجد أحداً كتب عن هذا القسم من مراحل يوم القيامة ابتداءً من قيام الساعة إلى آخر الميزان بدراستها من مصادرها السمعية وهو الوحي في القرآن الكريم والسنة الشريفة بالاقتصار على الأحاديث الصحيحة.

كما تبين الباحثة منهج القران الكريم والسنة في عرض هذه القضايا باعتبارها قضـايا غيبية.

و آراء علماء العقيدة في هذه القضايا ومعرفة مناهجهم في طرحها وفهمها. أمـا هـذه الدراسات السابقة فليست في شمولية البحث الذي أبتغيه ورغبتي فـي ترتيـب هـذه المسـائل والخروج من القضايا الخلافية والأقوال المتعارضة على ضوء النصوص المتوفرة.

ومن هذه الدراسات السابقة:

١- " منهج المتكلمين في إثبات اليوم الآخر وأحداثه، الجراجره، عمر موسى حسن، جامعـة آل البيت،١٩٩٩، المفرق".

بحثت هذه الرسالة منهج المتكلمين والطريقة المتبعة في إثبات وإمكانية اليوم الآخر وأحداثه ولكنها لم تشمل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة الدالة على هذه الأحـداث ولـم تشمل منهج النصوص الكريمة من الكتاب والسنة النبوية الشريفة في معالجة هذه الأحـداث ولم تشمل على مدى أصالة فهم العلماء في وصف هذه الأحداث، ولم تشمل ترتيب الأحداث وما اختلف فيه العلماء في ترتيب بعض الأحداث .

٢- "اليوم الآخر في اليهودية والنصرانية والإسلام: دراسة مقارنة، غرابوس، سراج عثمـان محمد، جامعة آل البيت،١٩٩٧، المفرق".

بحثت هذه الرسالة بعض القضايا والمراحل التي ستحدث في اليوم الآخر ومقارنتهـا مـع الديانة اليهودية والنصرانية ولكنها لم تركز على القضايا الأخرى التي تحدث يوم الآخـرة كاشتمالها على جميع الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الواردة في كل المراحل المتداولـة في رسالتي، ولم تبحث التفاصيل الأخرى من مراحل الآخرة ولم تتعمق في فهم آراء علماء الاعتقاد والتأكد من سلامة فهم منهجهم في فهم هذه القضايا.

منهج البحث:

اتبعت الباحثة المناهج الآتية في هذه الرسالة:

أولاً: جمع الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الصحيحة فيما يتعلق بأحداث اليوم الآخر والصراط وتصنيفها وتبويبها وفق العناوين الكبرى لها .

ثانياً: جمع ما قاله المفسرون وشراح الحديث في هذه الآيات والأحاديث واستقراء المفاهيم الكبرى لها.

ثالثاً:المنهج التحليلي باستنباط المعاني من الآيات والأحاديث والمنهج المقارن لبحث آراء العلماء في هذه القضايا للبحث عن الرأي الراجح فيها.

رابعاً: المنهج الوصفي للقرآن الكريم والسنة النبوية في عرض هذه المناهج.

خطة البحث:

يتضمن هذا البحث مقدمة وتمهيداً وأربعة فصولٍ وخاتمة:

المقدمة: وفيها مسوِّغات الدراسة وشكلها وأهميتها وأهداف الدراسة السابقة ومنهج البحث وخطة الدراسة.

التمهيد: معنى الآخرة وأهمية الإيمان بها وسبب التسمية باليوم الآخر.

الفصل الأول: القيامة وعلاماتها وأهوالها

المبحث الأول: علامات الساعة

المطلب الأول: ظهور المسيح الدجال

المطلب الثاني: الفتن والملاحم

المطلب الثالث: طلوع الشمس

المطلب الرابع: الدابة

المطلب الخامس: الدخان

المطلب السادس: نزول سيدنا عيسى عليه السلام

المطلب السابع: خروج يأجوج ومأجوج

المبحث الثاني: النفخ بالصور

المطلب الأول: معنى النفخ بالصور

المطلب الثاني: النافخ بالصور

المطلب الثالث: وقت النفخ بالصور

أما الخاتمة فإنها تتضمن النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة.

التمهيد

معنى الآخرة وأهمية الإيمان بها

أولاً : معنى الآخرة

الآخرة لغةً:

قال ابن فارس: " أخَّرَ:الهمزة والخاء والراء أصل واحد إليه تُرْجَع فروعهُ، وهو خلاف التقدم.

وهذا قياس أخذناه عن الخليل فإنه قال: " الآخر نقيض المتقدم، والأُخرُ نقيض القُدُم، تقول مضى قُدُماً وتأخَّرَ أُخْرّا،وقال: وآخرة الرحل وقادمته ومؤخّر الرحل ومقدّمه. قال: ولم يجيء مؤخِر مخففة في شيء من كلامهم إلا في مؤخِر العين ومقدم العين فقط. ومن هذا القياس بِعتُك بيعا بآخرة أي نَظِرَة، وما عرفت إلا بآخرة. قال الخليل: فعل الله بالأخِرِ أي بالأبْعَد. وابن دريد يقول:" الآخر تالٍ للأوَّل. وهو قريبٌ مما مضى ذكره، إلا أنّ قولنا قال آخر الرَّجُلين وقال الآخر، هو لقول ابن دريد أشد ملاءمةً وأحسنُ مطابقة. وأخَرُ: جماعة أُخْرَى" [(١)].

قال ابن منظور: " الآخِرُ والمؤخَّرُ، فالآخِرُ هو الباقي بعد فناء خلقِه كله ناطقِه وصامتِه، والمؤخِّرُ هو الذي يؤخر الأشياءَ فَيضعُها في مواضِعها، وهو ضدّ المُقَدَّم، والأُخُرُ ضد القُدُم. تقول: مضى قُدُماً وتَأخَّرَ أُخُراً، والتأخر ضدّ التقدّم"[(٢)].

الآخرة اصطلاحاً:

قال الراغب الأصفهاني: " آخر: يقابل به الأول وآخر يقابل الواحد . ويعبر بالدار الآخرة عن النشأة الثانية، كما يعبر بالدار الدنيا عن النشأة الأولى نحو: قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (العنكبوت: ٦٤)، وربما تُركَ ذكر الدار نحو قوله تعالى:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ ﴿١٦﴾ ﴾ (هود: ١٦)، وقد توصف الدار بالآخرة تارة وتضاف إليها تارة نحو: قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الأنعام: ٣٢﴾،

---

(١) ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م، ص٧٠.

(٢) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط٣، ١٩٩٤م، المجلد١، ص٦٧.

وأيضاً: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (النحل: ٤١)" [١].

قال ابن حجر العسقلاني: "هي الأحداث التي أخبر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بوقوعها في آخر الزمان وتسبق قيام الساعة، وتدل على قدومها" [٢].

ثانياً: سبب التسمية باليوم الآخر :

قال الطبري: "اليوم الآخر: هو يوم القيامة وسُمِّي ذلك اليوم باليوم الآخر لأنه اليوم الذي لا يوم بعده " [٣]، وورد في معجم ألفاظ العقيدة أن اليوم الآخر هو: يوم القيامة الذي لا يوم بعده حيث يبعث الناس أحياء للبقاء إما في دار النعيم أو دار العذاب الأليم [٤] .

قال الباجوري في شرح جوهرة التوحيد: " سمي هذا اليوم باليوم الآخر، لأنه آخر أيام الدنيا، كما يسمى أيضا بيوم البعث، ويوم القيامة، والساعة، والآخرة، ويوم الدين، ويوم الحساب، ويوم الفتح، ويوم التلاقي، ويوم الجمع والتغابن، ويوم الخلود، ويوم الخروج، ويوم الحسرة، ويوم التنادي، والآزفة، والطامة، والصاخة، والحاقة، والغاشية، والواقعة، إلى نحو ثلاثمائة اسم" [٥] .

يقول ابن كثير: "اليوم الآخر في العرف الشرعي له معنيان:

- باعتبار الناس أجمعين: عد نفخة الصور الثانية، وهو ما يحصل من النفخ بالصور إلى استقراء الناس في الجنة أو النار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ ﴾ (الحاقة: ١٣ ــ ١٥)

- باعتبار الفرد: هو ما يحصل للإنسان من ساعة الإحتضار إلى دخول الجنة أو النار، فمن مات فقد قامت قيامته ودخل في حكم الآخرة" [٦].

---

(١)الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القران، تحقيق:محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة، ص١٦.

(٢) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني، تهذيب التهذيب، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤م، ص٢٩٦. و انظر: مصطفى أبو النصر الشلبي، صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة، جدة: مكتبة السوادي، ط١، ١٩٩٢،ص٦٥.

(٣) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصر: دار الهجرة، ط١، ص١١٧.

(٤) عبدالله بن عبد الرحمن بن جبرين، معجم ألفاظ العقيدة، الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ١٩٩٧م،ص٤٣٥.

(٥) الباجوري، شرح جوهرة التوحيد، دار الكتب العلمية : بيروت، ط٢، ١٩٩٢م، ص٣٨٧.

(٦) انظر: النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير، الرياض، مكتبة النصر الحديثة، ط١، ١٩٦٨، وانظر: يوسف الوابل، أشراط الساعة، الرياض: دار ابن الجوزي، ط٧، ١٩٩٧، ص٧٤.

ثالثاً: أهمية الإيمان باليوم الآخر:إن الإيمان باليوم الآخر له انعكاساته وآثاره في حياة المسلمين هو الذي يهيئ الاهتمامات، ويجعل التعلق بالدنيا أمراً لا مجال له عندما يعلم الإنسان أن هذه الدنيا زائلة، وأن الآخرة مقبلة، وأن هذه الأيام والأنفاس ستنقضي لا محالة، وأنه سيقدم على الله في يوم يعرض فيه على ربه لا تخفى منه خافية؛ فنتيجة للإيمان بهذا اليوم، وبأن هناك حشراً و حساباً وصراطاً وجنةً وناراً، عذاباً وجزاءً، نتيجةً لهذا ستنشأ سلوكيات لم تكن لتنشأ لولا الإيمان باليوم الآخر، وستنشأ هناك أعمال لله عز وجل لم تنشأ لو لم يكن هناك إيمان بالله واليوم الآخر[(١)].

وسيتسع تصور المسلم للحياة وللكون عندما يؤمن ويوقن بأن هناك يوماً آخر، وسيعلم بأن الموت في هذه الحياة ليس نهاية كل شيء، وأن هناك أشياء أخرى أعظم مما يجري الآن بكثير، ولا يمكن المقارنة أبداً، ستنفتح عيناه عليها في اليوم الآخر. وأما أولئك الكفرة الذين لا يؤمنون باليوم الآخر فإنهم يحشرون تصوراتهم وأنفسهم وقيمهم في جحر ضئيل ذليل حقير هو الحياة الدنيا، فالكفار -الآن- يعملون وينشطون ويجدون ويخترعون، ويبنون ويعمرون، ويعملون متناوبين آناء الليل وأطراف النهار؛ لأنهم يظنون أن هذه الحياة هي الحياة فقط، وأنه لا شيء بعد ذلك، وأن هذا العمر هو العمر فقط، وأنه لا عمر بعد ذلك، فلأجل ذلك هم يستغلون كل لحظة من هذه الحياة وهذه الأيام وهذا العمر؛ لكي يتمتعوا ويتقدموا، ولكي يأخذوا حظهم من هذه الحياة الدنيا ولذلك ليس عندهم أي تفسيرٍ فيما وراء هذه الحياة الدنيا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (العنكبوت: ٦٤)، لهي الحياة الحقيقة كما أخبر الله عز وجل، وهي الحياة الدائمة، وحياتنا هذه لا تساوي شيئاً بالنسبة للحياة في اليوم الآخر [(٢)] .

عندما يقرأ المؤمن كتاب الله تعالى، وعندما تتلى على مسامعه أحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم فإنه يحس أنها قريبة جداً وأن الآزفة قد أزفت، وأن الموعد قد اقترب فيعمل لآخرته ليلاً نهاراً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ ﴿٩﴾ ﴾ (الزمر: ٩)، والله مدح المؤمنين بأنهم يصدقون بيوم الدين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (النمل: ٣)، ومن فوائد اليوم الآخر إرجاع الحق إلى نصابه، ومن أهميته أن المسلم العامل لدين الله لا يندم على كل عمل ابتغاء مرضاة الله ولو لم ير ثمرة عمله في الدنيا [(٣)].

---

(١) العواجي،غالب بن علي، الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار، مصر: دار لينة، ج١، ص٢٥.

(٢) انظر: عبد الرحمن حبنكة، العقيدة الإسلامية وأسسها، دمشق : دار القلعة، ط١٢، ٢٠٠٤م، ص٣٧٦.

(٣) انظر: محمد المنجد ، مجلة البيان، عدد ٥٦٨، أثر الإيمان باليوم الآخر، ص٤١.

الفصل الأول

القيامة وعلاماتها وأهوالها

المبحث الأول: علامات الساعة

المطلب الأول: ظهور المسيح الدجال

المطلب الثاني: الفتن والملاحم

المطلب الثالث: طلوع الشمس

المطلب الرابع: الدابة

المطلب الخامس: الدخان

المطلب السادس: نزول سيدنا عيسى عليه السلام

المطلب السابع: خروج يأجوج ومأجوج

المبحث الثاني: النفخ بالصور

المطلب الأول: معنى النفخ بالصور

المطلب الثاني: النافخ بالصور

المطلب الثالث: وقت النفخ بالصور

المطلب الرابع: عدد النفخات

المطلب الخامس: حال الناس وقت النفخ بالصور

المبحث الثالث: أهوال يوم القيامة

المطلب الأول: دك الأرض

المطلب الثاني: تفجير البحار

المطلب الثالث: موازن السماء وانفطارها

المطلب الرابع: تكوير الشمس وخسف القمر وتناثر النجوم

الفصل الأول

القيامة علاماتها وأهوالها

يتطرق هذا الفصل لبيان علامات الساعة الكبرى، من ظهور الدَجال، ونــزول عيسى عليه السلام، وقتال اليهود، وطلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج، وأيضاً يتطرق إلى بيان أهوال يوم القيامة ما تشهده من تغيرات على الأرض أو في السماء.

عند التكلم عن علامات الساعة كان لابد لنا من تعريف القيامة، فالقيامة هي يوم البعث، يقوم فيه الخلق بين يدي الحيّ القيوم، قيل: أصله مصدر، يقال :قام الخلق من قبورهم قيامةً، وقيل: هو تعريب قِيَمْثا، وهو بالسريانية بهذا المعنى (١).

المبحث الأول: علامات الساعة الكبرى:

عند النظر للنصوص الشرعية لعلامات الساعة نجد العلماء قد قسموها إلى علامات صغرى وأخرى كبرى، وبعضهم من يقسمها إلى صغرى ووسطى وكبرى، وبعضهم من يقسمها إلى علامات إنقضت وعلامات ابتدأت وهي مستمرة وعلامات لم تأت بعد.

فالمدار على أنها يلزم المسلم الاستعداد لها، وسنعرض فيما يلي العلامات الكبرى التي تأتي الساعة بعدها مباشرة وهي ثابتة شرعاً وتوافقت الأمة على الاعتقاد بها (٢).

المطلب الأول : ظهورالمسيح الدَّجال

أفاضت المصادر الإسلامية في الحديث عن فتنة "المسيح الدّجال"، لا سيما في كتب السنة النبوية فقد حذّر النبي صلى الله عليه وسلم من ظهور هذا الكاذب في آخر الزمان حتى يفتن أهل الأرض ويضلهم، وتذكر الروايات الصحيحة عن نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم أن هذا الدّجال لما يظهر بين الناس فإنه سيقوم بعمل أمور من الخوارق والأعاجيب إمعاناً في إيقاع الناس في الفتنة حتى يكفروا بالله ويؤمنوا به (٣).

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج ١٢، ص ٥٠. وانظر: الشعراوي، محمد متولي، أهوال يوم القيامة، دار الروضة، ط١، ص٨٦.

(٢) انظر : الملا أحمد والرز محمد بشير، العقيدة الإسلامية دراسة وتطبيق، دمشق: دار الكتاب العربي، ١٩٨٤ ، ط١،ص٢٩٤. والميداني، عبدالرحمن حبنكة، العقيدة الإسلامية وأسسها، ١٩٨٦، ط٤، دمشق: دار القلم، ص٦٣٣.

(٣) انظر: اسماعيل حامد، تاريخ المسيح الدّجال وعقيدة المخلص والمهدي المنتظر في اليهودية والمسيحية والإسلام، دار طيبة، ط١، ٢٠١٢، ص١٩٣.

أولا: معنى المسيح الدجال لغةً واصطلاحاً:

قال ابن منظور: المسيح فعيل بمعنى فاعل، سمي به لأنه يمسح المريض فيبرأ بإذن الله تعالى [(١)]، وقال أبو البقاء الكفوي :"والمسيح في حق الدجال لكونه ممسوح أحد العينين أو بمعنى الكذاب "[(٢)].

وسمي هذا الكذاب مسيحاً؛ لأن عينه اليمنى ممسوحة مع حاجبها والمسيح هو الذي أحد شقي وجهه ممسوح، لا عين ولا حاجب فهو فعيل بمعنى مفعول، وقيل سمي بذلك لأنه يمسح الأرض ويقطعها [(٣)].

أما معنى الدجال فقال ابن فارس: " الدال والجيم واللام أصل واحد منقاس،يدل على التغطية والستر، قال أهل اللغة: الدّجل :تمويه الشيء وسمي الكذاب دجالاً "[(٤)]، "والدّجال هو المسيح الكذاب، وإنما دجلُه سِحره وكذبه" [(٥)]، وجاء في المعجم الوسيط: "دجل دجلا: كذب وموه وادعى وهو مأخوذ من قولهم: دجل البعير إذا طلاه بالقطران وغطاه به" [(٦)].

يذكر الإمام القرطبي في معنى اسم الدّجال:" أنّ العلماء قالوا: الدّجال في اللغة يطلق على عشرة وجوه: الأول أنّ الدّجال هو الكذاب ودجلة بفتحها كذبة لانه يدجل الحق الباطل وجمعه دجالون،الوجه الثاني: أنّ الدّجال مأخوذ من الدجل وهو طلاء البغير بالقطران سمي بذلك لأنه يغطي الحق ويستره، الوجه الثالث:إنما سمي بذلك لضربه في نواحي الأرض، الوجه الرابع: أنه من التغطية لأنه يغطي الأرض بمجموعه والدجل التغطية، الوجه الخامس: سمي دجالاً لقطعه الأرض إذ يطأ جميع البلاد إلا مكة والمدينة، السادس: لأنه يغر الناس بشره، السابع:الدجال هو المخرق، الثامن: الدجال هو اللموه، التاسع: الدجال ماء الذهب الذي يطلى به الشيء، العاشر: الدجال جوهر السيف وماؤه" [(٧)].

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة مسح، ج٤، ص٢٠٤.

(٢) الكفوي، أبو البقاء، الكليات، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٣، ص٨٦٠.

(٣) انظر: عبد السلام طويلة، عبد الوهاب، المسيح المنتظر ونهاية العالم، القاهرة: دار السلام، ط١، ١٩٩٩، ص١٠٠.

(٤) انظر: ابن منظور، معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص٣٢٩.

(٥) انظر: لسان العرب، ج٢، ص١٣٣٠.

(٦) الفيومي، احمد بن محمد، المصباح المنير، القاهرة: دار الحديث، ط١، ص١١٦ . والرازي، محمد، مختار الصحاح، القاهرة: دار الحديث، دط ،٢٠٠٠، ص ١١٨. والزيات، أحمد، المعجم الوسيط، استانبول: دار الدعوة، ط١٩٨٩،١م، ج١ ، ص٢٧١.

(٧) انظر: القرطبي، التذكرة، ص٥٧٦-٥٧٧.

قال الفيومي: "والدّجال هو الكذاب، قال ثعلب: الدجال هو المموه، يقال: سيف مدجل إذا طلي بذهب "، ثم قال:" واشتقاق الدجال من هذا؛ لأنه يغطي الأرض بالجمع الكثير وجمعه

دجالون "(١)، وقال الرازي: "والدجال: المسيح الدجال" (٢) ، وقال ابن الأثير في النهاية: "ومنه الحديث:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يكون في آخر الزمان دجالون " (٣) ،أي كذابون مموهون وقد تكرر ذكر الدجال في الحديث وهو الذي يظهر في آخر الزمان يدعي الألوهية" (٤)
.

ولفظة الدجال: أصبحت علَماً على المسيح الكذاب، فإذا قيل: (الدجال) فلا يتبادر إلى الذهن غيره. وسمي الدجال دجالاً: لأنه يغطي الحق بالباطل، أو لأنه يغطي على الناس كفره بكذبه وتمويهه وتلبيسه عليهم. وقيل: لأنه يغطي الأرض بكثرة جموعه (٥).

قال صاحب لمعة الإعتقاد: " رجل مموه يخرج في آخر الزمان يدعي الربوبية، وخروجه ثابت بالسنة، والإجماع" (٦).

سبب تسمية المسيح الكذاب بالدّجال:

* لأنه يغطي الحق ويستره بسحره وشره، ويلبسه على الناس بادعائه وكذبه.

* لأنه يغطي الأرض بمجموعه، ويضرب في نواحيها. والدجالة: الدفعة العظيمة.

* وقد أصبح هذا اللفظ علماً عليه، فإذا أطلق لا يتبادر إلى الذهن غيره (٧).

ثانياً : إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن الدَجال: تعتبر قضية الإيمان بظهور المسيح الدجال من المسلمات لدى كل مسلم يلزمه الإيمان بها وهذا ماعليه عامة المؤمنين وما استقر عليه أهل العلم من السلف والمتكلمين وغيرهم(٨).

---

(١) انظر: الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، مصدر سابق، ص١١٦.
(٢) انظر: الرازي، محمد، مختار الصحاح، القاهرة، دار الحديث، دط، ٢٠٠٠، ص١١٨.
(٣) النووي، شرح صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، رقم ١٥٤٢.
(٤) انظر: ابن الأثير، أبي السعادات المبارك، النهاية في غريب الحديث والأثر، دار الكتب العلمية، ج٢، ط١، ١٩٩٧، ص٩٦.
(٥) انظر: الشلبي، مصطفى أبو النصر، صحيح أشراط الساعة ، جدة: مكتبة السوادي، ط٣، ١٩٩٦، ص٢٠٥.

(٦) السفاريني، محمد ، لمعة الإعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ،بيروت: دار الفكر،ط٢، ص ٣٥
(٧) انظر: ابن الأثير:جامع الأصول من حديث الرسول، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٥، ص٣٣٨-٣٣٩. وانظر:ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المطبعة السلفية، ج١٣، ص٩١.
(٨) انظر: ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية، بيروت: المكتب الإسلامي، ط١، ١٩٨٨، ص ٧٢. والتفتازاني ، سعد الدين، شرح المقاصد، ج٣، ص٣٠٥.وانظر: اللالكائي، هبة الله بن الحسن الطبري، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ، الرياض: دار طيبة، ط٤، ١٩٩٥، ج١، ص١٧٦.

يقول الموفق أبو محمد المقدسي [١] – رحمه الله –: " ويجب الإيمان بكل ما أخبر بـــه رسول الله ﷺ وصح به النقل عنه فيما شهدناه أو غاب عنا، نعلم أنه حق وصدق، وسواء فـــي ذلك ما عقلناه وجهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه، مثل حديث الإسراء والمعراج، ومـــن ذلـــك أشراط الساعة مثل: خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام وقتله لـــه، وخـــروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صح به النقـــل " [٢].

وقد أخبر النبي عليه السلام أصحابه بأن دجالين كثر سوف يظهرون، وقد حددت بعض الروايات أن عددهم يناهز الثلاثين.

فقد ورد في صحيح البخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صـــلى الله عليه وسلم قال:" لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كل يـــزعم أنـــه رسول الله"[٣].

وروى الإمام مسلم: عن ثوبان قال: قال صلى الله عليه وسلم إنه ســـيكون فـــي أمتـــي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي الله وأنا خاتم الأنبياء لا نبي بعدي" [٤].

ثالثاً: وصف المسيح الدجال: صفة الدجال: الدجال فيه عدة صفات خلقية معيبة منها أنه أعور، وأنه ضخم الجثة، مع قصر فيها، وهوكثير الشعر شديد البياض، وشعر رأسه منكس كالرمل إذا هبت عليها الريح، معوج القدمين، ومكتوب بين عينيه كافر.

- أنه أعور جاء في الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن عمر أنه ﷺ قال"... أعـــور العـــين اليمنى كأن عينه عنبة طافية"[٥]، وفي رواية " الدجال ممسوح العـــين"[٦]، . يقـــول الإمـــام القرطبي:" وصف النبي عليه السلام الدجال وصفاً لم يبق معه لـــذي لـــب إشـــكال وتلـــك الأوصاف كلها ذميمة تبين لكل ذي حاسة سليمة. لكن من قضى الله عليـــه بالشـــقاوة تبـــع الدجال فيما يدعيه من الكذب. فقوله عليه السلام:" إنه أعور وأن الله لـــيس بـــأعور" تبـــين

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجمـــاعيلي ثـــم الدمشـــقي الصالحي الحنبلي ، الملقب بموفق الدين ، الفقيه الإمام ، من الأئمة الأعلام الكبار ، له مصنفات كثيرة من أشهرها: " المغني ، الكافي ، المقنع... وغيرها " ، توفي سنة ٦٢٠هـــ. الذهبي، الحافظ شمس الدين، سير أعلام النبلاء (٢٢ / ١٦٥) .

(٢) السفاريني، محمد، لمعة الاعتقاد، مصدر سابق، ص٤٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب أشراط الساعة،٦٧٠٤ .

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب لاتقوم الساعة..، ١٨٤٢.

(٥) صحيح البخاري، باب ذكر الدجال، كتاب الفتن، جـــ١٣ ص ٩٠ رقم ٦٧٠٥ .

(٦) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ٢٥٤١.

للعقول القاصرة أو الغافلة على أن من كان ناقصاً في ذاته عاجزاً عن إزالة نقصه لم يصلح أن يكون إلهاً" [١].

روى الإمام البخاري عن عبدالله بن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " بينا أنا نائم أراني أطوف بالكعبة ، فإذا رجل آدم سبط الشعر يهادي بين رجلين ، ينطف رأسه دما . . أو : يهراق رأسه – فقلت : من هذا ؟ قالوا : هذا ابن مريم، فذهبت ألتفت فإذا رجل أحمر جسيم جعد الرأس أعور العين اليمنى كأنه عينه عنبة طافية ، فقلت: من هذا ؟ فقالوا : هذا الدجال ، أقرب الناس به شبها رجل من خزاعة يقال له : " ابن قطن[٢].

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: " " إني لأنذركموه وما من نبي إلا قد أنذر قومه ، لقد أنذره نوح قومه ، ولكن سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه ، تعلمون أنه أعور ، وأن الله ليس بأعور " [٣].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لا تَعْقِلُوا ، إنَّ مَسِيحَ الدَّجَّالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ ، أَفْحَجُ [٤] ، جَعْدٌ ، أَعْوَرُ ، مَطْمُوسُ الْعَيْنِ ، لَيْسَتْ بِنَاتِئَةٍ وَلا حَجْرَاءَ [٥] ، فَإِنِ الْتَبَسَ عَلَيْكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا" [٦]

- مكتوب بين عينيه كافر، فهذه كتابة ظاهرة على جبهته جعلها الله آية ودليلاً على كفره فلا يراها إلا المؤمنون تفضلاً منه جل وعلا لإعلامهم وتكرماً منه ليكونوا من الناجين بإذنه. روى أنس ابن مالك عن النبي ﷺ قال: "ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب إلا أنه أعور وان ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه :" ك، ف، ر " وفي رواية:" مكتوب بين عينيه كافر، ثم تهجاها { ك، ف، ر }يقرؤه كل مسلم" [٧]وجاء في رواية عند مسلم عن حذيفة قال "... مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤوه كل مؤمن من كاتب وغير كاتب" [٨] وهذا من خوارق النواميس الكونية التي ستكثر في ذلك الزمن قال النووي: "... والصحيح والذي

---

(١) القرطبي، التذكرة، مصدر سابق، ص٥٨٠.
(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب أخبار الدجال، ٧١٢٨.
(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب أخبار الدجال، ٩٠.
(٤) أفحج: هو تباعد بين الساقين.
(٥) لا حجراء: أي غير عميقة.
(٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ٣٥٤٠.
(٧)البخاري، صحيح البخاري، كتاب الفتن، جـ ١٣ ص ٩٠ برقم ٦٧١٢ .
(٨) صحيح مسلم، كتاب الفتن. جـ ١٨. ص ٢٧٤ برقم ٢٩٣٤.

عليه المحققون، أن هذه الكتابة على ظاهرها وأنها كتابة حقيقية جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وأبطاله ويظهرها الله تعالى لكل مسلم كاتب وغير كاتب)[١].

- عقيم لا يولد له. فهومن اليهود ويزيد الله من وضع مكانته وحط شأنه أنه يولد لأبوين ثم يحرمه الله الولد فهوعقيم لا يولد أبداً، وروى مسلم في صفته "أنه يهودي وأنه لا يولد له ولد، وأنه لا يدخل مكة ولا المدينة"[٢].

رابعاً: فتنة الدجال من أعظم الفتن:

الدجال خبيث ماهر يظهر على يديه الكثير من الفتن، لذلك جاء التحذير للمؤمنين بالإبتعاد عنه، وأول ظهوره على الأرض يدعي الصلاح ويأتي بأعمال أما الناس لتصديق قوله ويدعوهم إلى الإيمان ثم لا يلبث بعد ذلك أن يدعي النبوة، ثم بعد ذلك يدعي الألوهية والعياذ بالله [٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال ما حدث به نبي قومه إنه أعور، وأنه يجيء معه بمثل الجنة والار فالذي يقول أنها الجنة هي النار وأني أنذكم كما انذر نوح قومه" [٤].

وعن أبي سعيد الخدريرضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ : مَسَالِحُ الدَّجَّالِ ، فَيَقُولُونَ لَهُ : أَيْنَ تَعْمِدُ ؟ فَيَقُولُ : أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ ، فَيَقُولُونَ لَهُ : أَوَمَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا ؟ قَالَ : يَقُولُ : مَا أَرَى أَحْسِبُهُ حَقًّا ، قَالَ : يَقُولُونَ : اقْتُلُوهُ ، قَالَ : فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ ؟ قَالَ : فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّالِ ، قَالَ : فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، هَذَا الدَّجَّالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : فَيَأْمُرُ بِهِ الدَّجَّالُ فَيُشَبَّحُ ، قَالَ : فَيَقُولُ : خُذُوهُ فَاشْبَحُوهُ ، قَالَ : فَيُشَبَّحُ ، قَالَ : فَيُمْصَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا ، قَالَ : فَيَقُولُ لَهُ : أَمَا تُؤْمِنُ بِي ؟ قَالَ: فَيَقُولُ : أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ ، قَالَ : فَيَأْمُرُ بِهِ فَيُنْشَرُ بِالْمِنْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، قَالَ : ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ ، قَالَ : ثُمَّ يَقُولُ : قُمْ ، فَيَسْتَوِي قَائِمًا ، قَالَ : فَيَقُولُ لَهُ : أَمَا تُؤْمِنُ بِي ؟ قَالَ : فَيَقُولُ لَهُ : مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلا بَصِيرَةً ، قَالَ : ثُمَّ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لا يَفْعَلُ الَّذِي فَعَلَ بِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ، قَالَ : فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ ، فَيُجْعَلُ مَا بَيْنَ

---

(١) النووي، شرح النووي على مسلم. جـ ١٨ ، ص ٢٧٥.
(٢) النووي، شرح النووي على مسلم، كتاب الفتن، جـ ١٨ ص ٢٦٣.
(٣) الظاهري، ابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، المكتبة التوفيقية، ٢٠٠٣، ص٩٢.
(٤) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ١٦٣.

ذَقَنِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاسًا ، فَلا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلا ، قَالَ : فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ ، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّهُ قَذَفَهُ فِي النَّارِ ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ " ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (١)

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم:" أَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنَ الدَّجَّالِ ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ ، أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ ، وَالآخَرُ نَارٌ تَأَجَّجُ ، فَإِنْ أَدْرَكَهُ أَحَدٌ مِنْكُمْ فَلْيَأْتِ النَّهَرَ الَّذِي رَآهُ نَارًا ، فَلْيُغْمِضْ عَيْنَيْهِ ، ثُمَّ لِيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَلْيَشْرَبْ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ ، وَإِنَّ الدَّجَّالَ يَعْرِفُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ ، مَمْسُوحُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ ، وَأَنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٌ وَغَيْرُ كَاتِبٍ " (٢).

قال السفاريني في كتابه المسيح الدجال وأسرار الساعة : قال الخطابي: فإن قيل كيف يجوز ان يجري الله الآية على يد كافر؟ فإن إحياء الموتى آية عظيمة من آيات الأنبياء فكيف ينالها الدجال وهو كذاب مفتري يدعي الربوبية؟" (٣)

الجواب: إنه على سبيل الفتنة للعباد، إذ كان عندهم ما يدل على أنه مبطل غير محق في دعواه، وهو انه اعور، مكتوب على جبهته: كافر، يقرأه كل مسلم، فدعواه داحضة مع وسم الكفر، إذ لو كان إلهاً لأزال ذلك عن وجهه، وآيات الانبياء سالمة من المعارض فلا يشتبهان (٤).

خامساً: مكان الدجال:

عن فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس ، انها سمعت منادي الرسول عليه السلام ينادي: الصلاة جامعة ، فخرجت إلى المسجد ، فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت في صف النساء الذي يلي ظهور القوم ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته جلس على المنبر وهو يضحك ، فقال :" ليلزم كل إنسان مصلاه " ، ثم قال: " هل تدرون لم جمعتكم؟ "قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: " إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً، فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم ، وجذام، فلعب

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب في صفة الدجال، ٢٩٣٧.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ٤٩٤.
(٣) السفاريني، محمد بن أحمد السفاريني، المسيح الدجال وأسرار الساعة، بيروت: دار الجيل، ط٢، ١٤١٩، ص٨٢.
(٤) الجيلاني، فضل الله الجيلاني، فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٨٨ه،ص١٤٢.

بهم الموج شهرا في البحر، ثم ارفؤوا [١] إلى الجزيرة في البحر حيث مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب [٢] السفينة فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابة أهلب [٣] كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا ويلك ما أنت ؟ قالت: أنا الجساسة، قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم، انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، قال: فلما سمت لنا رجلاً، فرقنا أن تكون شيطانة، فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً، وأشده وثاقاً، مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: أناس من العرب، ركبنا في سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم [٤] ، فلعب بنا الموج شهرا، ثم ألقتنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في قاربها فدخلنا الجزيرة، فلقينا دابة أهلب كثيرة الشعر، لا ندري قبله من دبره من كثرة الشعر، فقلنا :ويلك ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة، قلنا :وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل، فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعا ففزعنا منها، وما أمنا أن تكون شيطانة، فقال: أخبروني عن نخل بيسان[٥] قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها، هل يثمر؟ قلنا له: نعم، قال: أما أنها يوشك أن لا تثمر، قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية؟ قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال :هل فيها ماء؟ قلنا: هي كثيرة الماء، قال: أخبروني عن عين زغر [٦] ، قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء، وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا: نعم وهي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون بمائها، قال: أخبروني عن النبي الأمي ما فعل؟ قالوا: خرج من مكة ، ونزل يثر، قال: أفقاتله العرب؟ قلنا: نعم، قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه ظهر على من يليه من العرب، فأطاعوه قال لهم: لقد كان ذلك؟ قلنا: نعم، قال: أما أن ذلك خير لهم أن يصنعوه أن يطيعوه، إني مخبركم عني، إني أنا المسيح، وأنه يوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة، غير مكة، وطيبة [٧] ، وهما محرمتان علي، كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا [٨] يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و طعن بمخصرته

---

(١) ارفؤوا: أي التجؤوا إليه.
(٢) أقرب: جمع قارب.
(٣) أهلب: كثير الشعر.
(٤) اغتلم: هاج وجاوز حده.
(٥) بيسان: ‘حدى مدن فلسطين.
(٦) زغر: بلدة في الجانب القبلي من الشام.
(٧) طيبة: المدينة المشرفة.
(٨) صلتا: أي مسلولة.

المنبر: هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة - يعني المدينة - ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟ فقال النـــاس: نعم، قال: فإنما أعجبني حـــديث تمـــيم الـــداري لأنـــه وافـــق الـــذي كنـــت أحـــدثكم عنـــه، وعن المدينة ومكة ، ألا أنه في بحر الشام، أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق، ما هو [١] من قبـــــــل المشـــــــرق مـــــــا هـــــــو مـــــــن قبـــــــل المشـــــــرق مـــــــا هو من قبل المشرق، وأوما بيده إلى المشرق، قالت: حفظت هذا من رسول الله صلى الله عليـــه وسلم" [٢] .

يُأخذ من ها الحديث عدة فوائد:

١. أن الدجال موجود الآن حي منذ بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه موثوق وثاقاً شديداً [٣].
٢. إن كان له معروفاً جزماً فإنه لا يستطيع أحد أن يصل إليه أو يطلق سراحه لأن لـــه وقتـــاً مقدراً قد كتبه الله فلا يتقدم عنه ساعة ولا يتأخر [٤].
٣. أن خروج الدجال سيسبقه علامات يعرفها هو، منها جفاف بحيرة طبريـــة ونخـــل بيســـان وغيرها[٥].
٤. أن المعقل من الدجال مكة والمدينة فهما محرمتان عليه أن يدخلهما وكذلك بيت المقدس كما جاء في الأثر الصحيح [٦].
٥. كانت رؤية الدجال وحديثه مع تيم الداري سبباً في إسلامه رضي الله عنه وأن بنو تميم أشد الناس على الدجال كما جاء ذلك عن الرسول صلى الله عليه وسلم:" هم أشـــد امتـــي علـــى الدجال وكانت فيهم سبية [٧] عند عائشة فقال: اعتقيها فإنها من ولد إسماعيل" [٨] .

---

(١) ماهو: المراد بها إثبات أنه في جهة المشرق.
(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب أشراط الساعة، ١٩٧.
(٣) السفاريني، المسيح الدجال وأسرار الساعة، القاهرة : مكتبة التراث الإسلامي، ط٢، ١٩٨٠.
(٤) أيوب، سعيد أيوب، المسيح الدجال في أصول الديانات الكبرى، القاهرة: دار الإعتصام، ط١، ١٩٩٠.
(٥) الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، مكتبة لبنان، ١٩٩٠.
(٦) الظاهري،أبومحمد ابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، المكتبة الوقفية، ٢٠٠٣.
(٧) أي جارية أسيرة.
(٨) صحيح البخاري، كتاب العتق، باب من ملك من العرب رفيقاً، ١٧٠.

المطلب الثاني: الفتن والملاحم

الفرع الأول :قتال اليهود:

ورد النص النبوي على ذلك بصورة جلية وواضحة من خلال الحديث المعروف بين المسلمين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله"[١].

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: "ينزل الدجال هذه السبخة -أي خارج المدينة- ثم يسلط الله عليه المسلمين فيقتلون شيعته، حتى إن اليهودي ليختبئ تحت الشجر والحجر، فيقول الحجر والشجر للمسلم: هذا يهودي فاقتله" [٢].

الفرع الثاني: ظهور الشرك واختلاف الإيمان :

من العلامات التي تظهر آخر الزمان ظهور الفتن وكثرتها وكثرة الشرك وانتشاره وهذا ما جاءت به السنة النبوية، فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يتقارب الزمان وينقص العمل ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج، قالوا: يا رسول الله أيم هو؟ قال: القتل القتل" [٣] .

وخير ما وجدت بيان لشرح هذا الحديث ما قاله الإمام ابن حجر العسقلاني في الفتح فقال رحمه الله :" ليس في هذا الحديث ما يحتاج إلى تفسير غير قوله يتقارب الزمان ومعناه الله أعلم تقارب أحوال أهله في قلة الدين حتى لا يكون فيهم من يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر لغلبة الفسق وظهور أهله، وقد جاء في الحديث لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا فإذا ساووا هلكوا يعني: لا يزالون بخير ما كان فيهم أهل فضل وصلاح وخوف من الله يلجأ إليهم عند الشدائد ويستشفى بآرائهم ويتبرك بدعائهم ويؤخذ بتقويمهم وآثارهم. وقال الطحاوي : قد يكون معناه في ترك طلب العلم خاصة والرضا بالجهل، وذلك لأن الناس لا يتساوون في العلم لأن درج

---

(١) البخاري، صحيح البخاري بشرح فتح الباري، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب : لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر... ،حديث رقم ٢٩٢٦ ،ج٦ ،ص ٦١٠

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة، حديث ١٥٤٢،ص٣٢١.

(٣) البخاري، صحيح البخاري بشرح فتح الباري ، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن ، ٦٦٥٢ ،ج ١٣ ،ص ١٧

العلم تتفاوت قال تعالى وفوق كل ذي علم عليم وإنما يتساوون إذا كانوا جهالا، وكأنه يريد غلبة الجهل وكثرته بحيث يفقد العلم بفقد العلماء قال ابن بطال: وجميع ما تضمنه هذا الحديث من الأشراط قد رأيناها عيانا فقد نقص العلم وظهر الجهل وألقي الشح في القلوب وعمت الفتن وكثر القتل "[١].

المطلب الثالث : طلوع الشمس من مغربها :

هذه العلامة من العلامات الكبرى التي وردت في السنة النبوية بشكل صريح ، ودلت النصوص القرآنية عليها بالدلالة الصريحة والقرائن.

وأما الدلالة الصريحة فكانت من خلال السنة النبوية قطعية الثبوت والدلالة.

أولاً: معنى طلوع الشمس من مغربها :

معنى طلوع الشمس: قال ابن فارس:" طلع: الطاء واللام والعين أصل واحد صحيح يدل على ظهور وبروز. يقال طلعت الشمس طلوعاً ومطلعاً " [٢].

مغربها: والمغرب: مكان غروب الشمس وزمان غروبها وجهة غروبها[٣] .

فعلى هذا يقصد بطلوع الشمس من مغربها: ظهور الشمس بداية اليوم والنهار من جهة الغرب.

ثانياً: الإيمان بطلوع الشمس من مغربها :

لا خلاف بين العلماء أن طلوع الشمس من مغربها شرط من أشراط الساعة ، وعلامة من علاماتها الكبرى يقول الطحاوى: "ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء،ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها"[٤] .

دلالة النصوص على طلوع الشمس من مغربها :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (الأنعام:١٨٥).

---

(١) ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، ٦٦٥٢.
(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ص٥٩٨.
(٣) الزيات وآخرون، في أصول الأدب العربي، مصدر سابق ، ص٦٤٧.
(٤) ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية، مصدر سابق، ص ٥٠٤ .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أن اول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها، قريبا منها" [١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون، فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً" [٢]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" بادروا بالأعمال ستا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدهان، ودابة الأرض، وخويصة أحدكم، وأمر العامة"[٣] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه:" قال:قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر حين غربت الشمس: أتدري أين تذهب، قلت: الله ورسوله أعلم. قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها،وتستأذن ولا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي ارتفعي، اصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها، فقال صلى الله عليه وسلم: أتدرون متى ذلكم؟ حين " لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن ءامنت من قبل" [٤] .

قال السيوطي رحمه الله تعالى:" طلوع الشمس من مغربها مقترنين [٥] كالبعيرين القرينين، ثم قرأ:" قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ ﴾ (القيامة: ٩)

وفي المستدرك عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في قوله عز وجل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾** ﴾ (الأنعام:١٨٥).

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب خروج الدجال، رقم الحديث:٢٩٤١
(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، رقم الحديث ٣٥٢
(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب قوله تعالى واتخذ الله..، ٢٠٨.
(٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس، رقم الحديث ١٥٩.
(٥) انظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، مصدر سابق، ج٣،ص٣٨٩، وانظر: الطبراني، سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم، المعجم الكبير، حمدي بن عبد المجيد السلفي، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٩٩٠، ص ٢٣٩

قال : طلوع الشمس من مغربها [١] ثم قرأ هذه الآية: قَالَ تَعَالَى:﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ ﴾ القيامة: (٩ – ١٠)

قال الطبري: رحمه الله : وقولهتَعَالَى:﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ ﴾ (القيامة: ٩) : وجمع بين الشمس والقمر في ذهاب الضوء، فلا ضوء لواحد منهما [٢].

فتح باب التوبة حتى طلوع الشمس من مغربها :

يدل على ذلك آية الأنعام ، وقوله ﷺ : "أن الله جعل بالمغرب باباً عرضه مسيرة سبعين عاماً للتوبة ، لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله "[٣] ، وذلك قوله عز وجل :﴿ **يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۝١٥٨** ﴾ (الأنعام: ١٥٨).

وكل من يتوب قبل ذلك يقبل الله توبته ، لقوله ﷺ : "من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه" [٤].

إغلاق باب التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها :

خلق الله تعالى الشمس، وأجراها وفق سنة إلهية عظيمة حيث تشرق على الأرض من مشرقها، وتغرب من مغرب الأرض، فإذا دنت الساعةواقترب يوم القيامة، فإن الله تعالى يطلع الشمس من مغربها، وهذا إيذان بالساعة، وعلامة من علاماتها الكبار [٥]، قال تعالى:"**لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۝١٥٨** ﴾ (الأنعام: ١٥٨).

قال ابن عطية رحمه الله تعالى: وقال جمهور أهل التأويل، كما تقدم الآية التي لا تنفع التوبة من الشرك أو المعاصي بعدها، هي طلوع الشمس من المغرب [٦]

---

(١) انظر: النيسابوري، مستدرك الحاكم، مصدر سابق، ج٢، ص٥٠٩.
(٢) الطبري، تفسير الطبري، مصدر سابق، ج٢٩، ص١٨٠.
(٣) فتح الباري، كتاب الفتن واشراط الساعة ، باب التوبة، حديث رقم ٢٥٤٧
(٤) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار،رقم الحديث:٢٠٧٥،ج٤،ص.٢٧٠٣ .
(٥)فهد بن عبد العزيز،أشراط الساعة الكبرى في ضوء الكتاب الكريم، دار الكتب العلميه، ط١، ٢٠٠٣،ص١٠٦.
(٦) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،تحقيق المجلس العلمي،نشر مديرية الشؤون الإسلامية بالمغرب،١٣٩٧، ص١٨٨.

قال القرطبي: " الصحيح أن عدم نفع الإيمان أو التوبة إذا طلعت الشمس مـن مغربهـا ليس مختصاً بيو الطلوع [١] بل هو مستمر إلى يوم القيامة، فعن صفوان بن عسال رضـي الله عنه قال: " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن بالمغرب بابـاً مفتوحـاً للتوبـة، مسيرته سبعون ألف سنة، لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه [٢]

قال ابن حجر: "الشمس إذا طلعت من المغرب أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد ذلك، وأن ذلك لا يختص بيوم الطلوع بل يمتد إلى يوم القيامة [٣]

وبناء على ما تقدم فلا بد من المبادرة للأعمال الصالحة قبل إغلاق باب التوبة لقوله ﷺ : "بادروا بالأعمال ستاً : طلوع الشمس من مغربها ، والـدجال ، والـدخان ، ودابـة الأرض، وخويصة أحدكم، وأمر العامة: أمر الساعة" [٤].

المطلب الرابع : الدابة :

من أشراط الساعة الكبرى: الدابة التي تخرج على الناس آية من آيات الله تعالى، وهـي مرادفة لطلوع الشمس من مغربها [٥]، ففي الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهمـا، قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لم أنسه بعد. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" إن أول الآيات خروجاً، طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى. وأيهما كانت قبل صاحبتها. فالأخرى على أثرها قريب" [٦].

الفرع الأول: معنى خروج الدابة: الدابة

دب يدب دبا ودبيبا وكل ماش على الأرض [٧]وهي تقع على كل مـاش فـي الأرض عامة وعلى الخيل والبغال والحمير خاصة فما عدا الأنواع الثلاثة مخصوص من هـذا الإسـم بحكم الإستعمال [١] .

---

(١) القرطبي، التذكرة، مصدر سابق، ص٧٩٣.
(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات،باب في فضل التوبة،رقم الحديث ٥٤٥.
(٣) ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري،ج١١،ص٣٥٥.
(٤) صحيح مسلم ، كتاب الفتـن وأشراط السـاعة،باب في بقيـة من أحاديث الدجال،رقم الحـديث: ٢٩٤٧، ج٤،ص٢٢٦٧.
(٥) دكتور فهد بن عبد العزيز، أشراط الساعة الكبرى في ضوءالكتاب الكريم،مصدر سابق، ط١، ٢٠٠٣م.
(٦) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب خروج الدجال، ٢٢٦٤٠.
(٧) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٨، ص١١٧.

وأما في عرف أهل العلم والعقيدة:

قال الراغب الأصفهاني :" قيل إنها حيوان بخلاف ما نعرفه يختص خروجها بحين القيامة وقيل عني بالأشرار الذين هم في الجهل بمنزلة الدواب "وقال ابن الأثير :"قيل إنها دابة طولها ستون

ذراعا ذات قوائم ووبر. وقيل: هي مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات ينصدع جبل الصفا، فتخرج منه ليلة جمع والناس سائرون إلى منى " (٢).

و ما ذكره الراغب ذلك لأنه يتفق مع دلالة اللغة ومن جهة ثانية لم ترد نصوص تفصيلية ذات دلالة قاطعة على معنى بعينه فهي قضية غيبية .

---

(١) الكفوي، حاشية شرح العقائد، مصدر سابق، ص٤٤٨.

(٢) ابن الأثير ، جامع الأصول من حديث الرسول، مصدر سابق، ج٢ ،ص٩١.

الفرع الثاني::الدليل على خروج الدَّابة:

ذهب علماء العقيدة إلى أن خروج الدابة آخر الزمان أحد علامات الساعة الكبرى وأحد أشراطها، واستدلوا على ذلك بقوله عز وجل :﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (النمل: ٨٢) [١].

ومما يدلل على ذلك من السنة المطهرة قوله ﷺ : "إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيُّهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً" [٢].

قال ابن كثير رحمه الله: "هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله تعالى وتبديلهم الدين الحق، يخرج الله لهم دابة من الأرض قيل من مكة وقيل من غيرها..فتكلم الناس" [٣]

الفرع الثالث: مكان خروجها

اختلف العلماء في مكان خروج الدابة إلى عدة أقوال:

القول الأول: أنها تخرج من جبل الصفا أو من الحرم المكي من غير تحديد [٤]

قال القرطبي: " واختلف من أي موضع تخرج، فقال عبد الله بن عمر: تخرج من جبل الصفا بمكة، يتصدع فتخرج منه، وقال عبد الله بن عمرو نحوه، قال: لو شئت أن أضع قدمي على موضع خروجها لفعلت " [٥]

وقول الطبراني في الاوسط عن حذيفة بن أسيد قال: تخرج الدابة من أعظم المساجد، فبينا هم إذ دبت الأرض، فبينا هم كذلك إذ تصدعت [٦]

---

(١) انظر :الطبري، جامع البيان ،ج١٩،ص١٢. ، وانظر: السيوطي، الدر المنثور، ج٦،ص٣٧٨/٣٧٨ . وانظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ، ج٣، ص٣٧٤. وانظر: الشوكاني، فتح القدير ،ج٤، ص١٥١. وانظر: الرازي، التفسير الكبير ،ج٨،ص٥٧٢. وانظر: السمرقندي: بحر العلوم ، ج٢، ص٥٠٥. وانظر: الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٤٢٦.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الفتن ، باب في خروج الدجال، رقم الحديث: ٢٩١٤،ج٤، ص ٢٢٦٠.

(٣) ابن كثير، تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ص٥٦٨

(٤) أبو النصر الشلبي، مصطفى، صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة،جدة: مكتبة السوادي،ط١، ١٩٩٢،ص٢٥.

(٥) القرطبي، تفسير القرطبي، مصدر سابق، ص٢٣٦

(٦) أخرجه الطبراني في الأوسط، كتاب الفتن، باب خروج الدابة، ٢٦٥٨

القول الثاني: أن لها خرجات، الأولى من أقصى البادية، ثم تختفي، ثم تخرج من بعض أودية تهامة، ويصدق عليها أنه من وراء مكة، وفي المرة الأخيرة تخرج من مكة. وهذا القول الأخير هو الذي يجمع بين الأقوال في خروجها [١]

يقول السخاوي – رحمه الله – " وتخرج كما في بعض المرفوعات أو الموقوفات ثلاث خرجات من الدهر، فمرة من أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية، يعني مكة، ثم تكمن زمانا طويلا ثم تخرج مرة أخرى دون تلك فيعلو ذكرها في أهل البادية ويدخل ذكرها القرية، يعني مكة" [٢] .

وأنا أميل إلى الرأي الراجح وهو انها تخرج من الحرم المكي من غير تحديد، لكثرة ما جاء من أدلة.

المطلب الخامس: الدّخان:

من علامات الساعة الكبرى ظهور الدخان الذي يملأ الأرض كلها، فتصبح كبيت أوقد فيه، وهو إنذارللكافرين ببدء حلول العذاب ونزول النقمة بهم [٣]

الدليل على ظهور الدخان:

١. قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١ ﴾ (الدخان: ١٠ – ١١).[٤]

فظاهر الآية يدل على ظهور دخان من السماء يعم الناس فينادي أهل ذلك الزمان ربهم، يسألون كشف الشدة عنهم [٥]

٢. قوله ﷺ : "إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات – فذكر – الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام ، ويأجوج ومأجوج ،

---

(١) عبد الوهاب،عبد السلام طويلة، المسيح المنتظر ونهاية العالم، القاهرة: دار السلام، ط١، ١٩٩٩م،ص٥٦.
(٢) السخاوي، القناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة، السعودية، الرياض، دار طيبة، ط١، ٢٠٠٤ ، ص٤٠
(٣) الوابل، يوسف الوابل، أشراط الساعة، الدمام: دار ابن الجوزي، ط٣، ١٩٩١م، ص٥٨
(٤) ابن كثير، تفسير القران العظيم، ص٢٣٥.والطبري، جامع البيان،ص٣٦٤..
(٥) وهو مذهب علي وأبي سعيد وابن عباسوالحسن رضي الله عنهم ورجحه ابن كثير، انظر: ابن كثير، النهاية في الفتن والملاحم،بيروت ،دار الكتب العلمية،ط١، ١٩٨٨، ص٦٩.

وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن ، تطرد الناس إلى محشرهم" [(١)] .

ومما يدل على ذلك من السنة قوله ﷺ : "إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر : الدخان ، والدجال ، والدابة " [(٢)].

٣. قوله ﷺ لابن صياد : "إني خبأت لك خبأ" قال : هو الدخ . فقال ﷺ : "اخسأ فلن تعدو قدرك" قال : وقد خبأ له رسول الله ﷺ : "فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين" [(٣)] .

٤.عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: " بادروا بالأعمال ستا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة"[(٤)]

مدة بقاءه:

يخرج الدخان قبل قيام الساعة، ويمكث أربعين يوما،ثم تأتي ريح لينة لطيفة تقبض أرواح المؤمنين جميعاً، وتخلف النفوس الكافرة [(٥)]

ماهية الدخان:

أما ماهية الدخان ومدى تأثيره على البشر فقد جاء توضيحه في حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن ربكم أنذركم ثلاثاً: الدخان يأخذ المؤمنين كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ، حتى يخرج من كل مسمع منه).[(٦)] وورد عنه ﷺ أنه يمكث في الأرض أربعين يوماً [(٧)].

---

(١)أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الفتن،باب في الايات،رقم الحديث:٢٩٠١،ج٤،ص٢٢٢٥و٢٢٢٦.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الفتن،باب في الايات،رقم الحديث:٢٩٠١،ج٤،ص٢٢٢٥و٢٢٢٦.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كيف يعرض الإسلام، رقم الحديث:٣٠٥٥،ج٢،ص٧٢و٧٣. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، رقم الحديث ٢٩٢٤، ج٤، ص٢٢٤٠و٢٢٤١.
(٤) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب أشراط الساعة، ٢٩٧٤.
(٥) انظر: المناوي، محمد عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار الفكر للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٧٢،ص٥٤. و انظر: ابن كثير، عماد الدين إسماعيل ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ،بيروت: دار الفكر،١٩٨٧،ص٩٥
(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. جـ٤ ، مصدر سابق، ص ١٤٩.
(٧) النووي، شرح النووي على مسلم، جـ ١٨ ، ص ٢٤١.

المطلب السادس: نزول سيدنا عيسى عليه السلام

أخبرنا الله تبارك وتعالى أن اليهود لم يقتلوا رسوله عيسى عليه السلام، وإن ادعوا هذه الدعوى، وصدقها النصارى، والحقيقة أن عيسى لم يقتل ، ولكن الله تعالى ألقى شبهه على غيره، أما هو فقد رفعه إلى السماء، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ (النساء: ١٥٧ – ١٥٨).

وأشار الحق في كتابه إلى ان عيسى عليه السلام سينزل في آخر الزمان، وأن نزوله سيكون علامة دالة على قرب وقوع الساعة ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ (الزخرف: ٦١)، كما أخبر أن أهل الكتاب في ذلك الزمان سيؤمنون به، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ (النساء: ١٥٩)

أولاً: لزوم الإعتقاد بنزول عيسى عليه السلام آخر الزمان:

أجمع أهل السنة على نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان[١] وذلك للأدلة التي ستعرض لنا خلال الحديث عن سيدنا عيسى عليه السلام.

يقول الطحاوى:" ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها.."[٢].

قال صاحب لمعة الإعتقاد: نزول عيسى ابن مريم ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.[٣]

---

(١) الكشميري، محمد أنورشاه، التصريح بما تواتر في نزول المسيح، دمشق: دار القلم، ط٥، ١٩٩٢ ،ص٥٨و٥٩. وابن تيمية ، أحمد ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، الرياض، مكتبة العيكان، ط١، ٢٠٠١،ج٣، ص٢٢٦.

(٢) الحنفي، ابن أبي العز ،شرح العقيدة الطحاوية، مصدر سابق ، ص٥٠٤

(٣) السفاريني، محمد، لمعة الإعتقاد ، مصدر سابق، ص ١٤٥

أدلة نزوله

١. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٥٥ ﴾ (آل عمران: ٥٤ – ٥٥)، أشارت الآية إلى أنه معصوم من القتل الذي أراده له اليهود، وصرحت بأنه سيرفع إلى السماء، وأشارت إلى نزوله إلى الأرض ووفاته فيها [(١)]

٢. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ١٥٩ ﴾ (النساء: ١٥٩)، أي إن من أهل الكتاب من سيؤمن بعيسى عليه السلام إيماناً صحيحاً بعد نزوله من السماء في آخر الزمان قبل موته [(٢)]، إذن فهو الآن لم يمت، بل رفع إلى السماء، وسينزل بأمر الله تعالى في آخر الزمان ويؤمن به أهل الكتاب قبل أن يموت.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: " والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها[(٣)]، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: " اقرؤو إن شئتم: " ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ١٥٩ ﴾ (النساء: ١٥٩).

٣. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٤٦ ﴾ (آل عمران: ٤٥ – ٤٦).

٤. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ ١١٠ ﴾ (المائدة: ١١٠).

---

(١) طويلة، عبد الوهاب عبد السلام،المسيح المنتظر ونهاية العالم، مصر: دار السلام، ط١، ١٩٩٩، ص٢٠٧
(٢) ابن كثير، الحافظ ابن كثير، الهاية في الفتن والملاحم، بيروت: دار الكتب العلمية،ط١، ١٩٨٨،ص٩٣.
(٣) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب قتل الخنزير،٢١٠٩.

أشارت الآيتان إلى نزوله، وذلك بذكرهما أنه يكلم الناس بالدعوة إلى الله تعالى، وهو كهل، وقد رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة على الصحيح والكهولة فوق هذه السن [١].

٥. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ (الزخرف: ٦١)

أي أن نزوله علامة على قرب الساعة، لأن الله تعالى ينزله قبلها [٢]

ثانياً: أهم أفعال عيسى عليه السلام بعد نزوله:

١. قتل عيسى عليه السلام للدجال وقتل أتباعه من اليهود :

هذا أول عمل يقوم به عيسى عليه السلام لتخليص الناس من فتنة هذا الدجال [٣] فالدجال يقتل شر قتله عل يد نبي الله عيسى عليه السلام في مدينة لد بفلسطين، ففي صحيح مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" فينزل عيسى ابن مريم عليهما السلام فأمهم ، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لا تذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته [٤].

وفي مسلم أيضاً رحمه الله من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال، ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة وفيه فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم.. إلى أن قال : فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه.فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله [٥]

٢. إبطاله عليه السلام للنصرانية :

يبطل عيسى عليه السلام – بعد نزوله – الدين النصراني ، حيث يكسر الصليب ويقتل الخنزير ولا يقبل من النصارى وغيرهم إلا الإسلام ، فلا يقبل منهم الجزية ، ويدل على ذلك قوله ﷺ : " والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد "[٦]

---

(١) عبد القادر عطا، مصطفى، المسيح عيسى،القاهرة: مكتبة التراث، ط١، ١٩٨٠، ص٥٧

(٢) السفاريني، محمد بن أحمد السفاريني، المسيح الدجال وأسرار الساعة، بيروت: دار الجيل، ط٢، ١٤٠٧ه، ص٩٢.

(٣) دكتور فهد بن عبد العزيز، أشراط الساعة الكبرى في ضوء الكتاب الكريم، مصدر سابق، ص٧٤.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في فتح القسطنطينية وخروج الدجال، ٢٢٢١.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال وصفته، ٢٢٥٠.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب قتل الخنزير،رقم الحديث ٢٢٢٢، ج١، ص٤٨٠ ، ٤٨١ .

٣. قضاؤه على كل الملل إلا الإسلام :

يظهر الله عز وجل في عصر عيسى عليه السلام الإسلام على كل الأديان ، بل ويهلك الله في عصره كل ملل الكفر ، ويميت سبحانه كل كافر يشم رائحة عيسى عليه السلام ورائحته تصل إلى ما يصل إليه بصره [(١)] ، قال ﷺ : " إذا بعث الله المسيح ابن مريم فينـزل عند المنارة البيضاء شرقيّ دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه "[(٢)] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الصف: ٩).

قال الطبري في تفسير الآية : يقول : " ليظهر دينه الحق– الإسلام – الذي أرسل به رسوله محمداً ﷺ على كل دين سواه ، وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام ، وحين تصير الملة واحدة ، فلا يكون دين غير الإسلام"[(٣)] .

وروى الطبري بسنده : عن أبي هريرة " ليظهره على الدين كله ، قال : خروج عيسى ابن مريم"[(٤)] .

٤. دعاء عيسى عليه السلام على يأجوج ومأجوج :

لم يكد يسترح المؤمنون من فتنة المسيخ الدجال حتى تخرج عليهم فتنة يأجوج ومأجوج فيدعو عليه السلام عليهم فيهلكهم الله عن آخرهم ، ففي حديث النواس بن سمعان قال ﷺ : "فبينما هو كذلك، إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي ، لا يدان أحد بقتالهم [(٥)] . فحرز عبادي إلى الطور [(٦)] ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية [(٧)] فيشربون ما فيها ويمر آخرون فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء ويُحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار

---

(١) التويجري، حمود بن عبدالله التويجري، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، ط١، ١٣٩٤هـ، ص٥٦

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال، رقم الحديث: ٢١٣٧، ج٤،ص ٢٢٥٣.

(٣) الطبري، جامع البيان ،ج٢٨،ص ٨٨.

(٤) الطبري ، تفسير الطبري، مصدر سابق ، ج٢٨، ص٩٣

(٥) لا يذان لأحد بقتالهم: أي لا قدرة لأحد بقتالهم.شرح صحيح مسلم ٦٨/١٨

(٦) الطور: جبل في سيناء بين فلسطين ومصر. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان ،ص٤٨.

(٧) بحيرة طبرية: البحيرة المعروفة بين الأدرن وفلسطين، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان،ص١٧.

لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله علـيهم النغـف [١]فـي رقـابهم فيصبحون فرسى [٢]كموت نفسٍ واحدة ...) [٣].

المطلب السابع: خروج يأجوج ومأجوج :

يُعَدّ خروج يأجوج ومأجوج من العلامات الكبرى من بعد نزول عيسى عليـه السـلام، والتي ورد النص عليها في القرآن الكريم والسنة النبوية فما هو معنى يأجوج ومـأجوج ومـا معتقد المسلمين في ذلك وما الأدلة على هذا المعتقد:

أولاً: معنى يأجوج ومأجوج :

يأجوج ومأجوج إسمان لأمتين عظيمتين من ذرية آدم، من ولد يافث بن نوح [٤]، قـال الأزهري في تهذيب اللغة :قال أبو إسحاق في " يأجوج ومأجوج " : هما قبيلان من خلـق الله، جاءت القراءة فيهما بهمزٍ وبغير همز. وهما اسمان أعجميان واشتقاق مثلهما من كلام العـرب يخرج من أجَّتِ انار، ومن الماء الأجاج، وهو الشديد الملوحة والمـرارة، مثـل مـاء البحـر، المُحرق من ملوحته، ويكون التقدير في يأجوج يفعول، وفي مأجوج مفعول ويجـوز أن يكـون يأجوج فاعُولاً، وكذلك مأجوج. وهذا لو كان الاسمان عربيين لكان هذا اشتقاقهما، فأما الأعجمية فلا تُشتقُّ من العربية[٥].

---

(١) النغف "دود يكون في أنوف الإبل والغنم ، واحدتها نغفة" . انظر: ابن كثير: النهاية في غريـب الحـديث والأثر ج٤، ص٨٧ .

(٢) فرسى: "أي قتلى ، الواحد : فرس من فرس الذئب الشاة وافترسها إذا قتلها" . المصدر السابق ج٣،ص٤٢٨ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال ، رقم الحديث: ٢١٣٧، ج٤،ص

(٤) السفاريني، محمد بن أحمد، أهوال القيامة وعلاماتها الكبرى، بيروت: مؤسسة الكتب، ط٦،ص١٣٢

(٥) الأزهري محمد بن أحمد ، تهذيب اللغة، بيروت : دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١، ج٤ ، ص٢٤٦

ثانياً :الأدلة على خروج يأجوج ومأجوج :

١. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾ (الكهف: ٩٨)

٢. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (الأنبياء: ٩٦ – ٩٧)

٣. ومما يدل على أن خروج يأجوج ومأجوج من علامات القيامة الكبرى ، قوله ﷺ : (إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات – فذكر – : الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم ﷺ ، ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف ...) [١].

ثالثاً : أحوال يأجوج ومأجوج بعد خروجهم :

إن القرآن الكريم تحدث قليلاً في بضع آيات عن يأجوج ومأجوج ، ولم يفصل الحديث عن أحوالهم بعد خروجهم آخر الزمان ، ولذلك سيعتمد الباحث على السنة النبوية الصحيحة في ذلك لأنها خير مفسر للقرآن بعد تفسير القرآن بالقرآن ، والتفصيل كما يلي :

أولاً: صفة يأجوج ومأجوج الخُلُقِيَّة:

يأجوج ومأجوج أمتان كافرتان من أهل النار [٢] ويأجوج ومأجوج لا أخلاق لهم، بدليل إفسادهم أيام ذي القرنين ، وإفسادهم بعد خروجهم آخر الزمان .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾

(الكهف: ٩٤)، وفي معنى (مفسدون في الأرض) قال الشوكاني: "واختلف في إفسادهم في الأرض، فقيل هو أكل بني آدم، وقيل هو الظلم والغشم والقتل وسائر وجوه الإفساد، وقيل : كانوا يخرجون إلى أرض هؤلاء الذين شكوهم إلى ذي القرنين في أيام الربيع فلا يدعون فيها

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن ، باب في الآيات ،رقم الحديث، ٢٩٠١، ج٤، ص٢٢٢٥ ، ٢٢٢٦ .
(٢) فائز، أحمد، اليوم الآخر في ظلال القرآن، دمشق: مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٩٨٤م.

شيئاً أخضراً إلا أكلوه" [١]، وقال الكلبي : "لفسادهم بالقتل والظلم وسائر وجوه الشر ، وقيل كانوا يأكلون بني آدم" [٢].

وإفسادهم هو : بكفرهم وفجورهم وفسقهم ، وظلمهم للناس بقتلهم وقهرهم وأكل خيراتهم ، فهم كالتتار وأشد ، وهذا ما سيتضح من الروايات التي تحدث عن إفسادهم بعد خروجهم قبيل القيامة .

ثانياً: كيفية خروجهم :

لا يزال يأجوج ومأجوج يحفرون في السد كل يوم منذ بناه ذو القرنين ، ولكن الله يفشلهم، وفي أيام النبي ﷺ فتحوا منه مثل البيضة لما روي عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبيﷺ دخل عليها فزعاً يقول : (لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه) وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها ، قالت زينب بنت جحش : فقلت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : (نعم إذا كثر الخبث) [٣].

ومما يدل على عجزهم عن اختراقه قوله تعالى :قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾ (الكهف: ٩٧) .

قال المفسرون : أي : ما استطاعوا وما قدروا أن يعلوا ويتسوروا ظهر السد لعلوه وارتفاعه وملاسته ، أو أن يخترقوه من أسفل لصلابته وسمكه [٤].

ولكن إذا جاء وعد الله بخروجهم دكه الله وسواه بالأرض ، فيخرجون لقوله تعالى :قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ (الكهف: ٩٨ – ٩٩)، وقد سبق تفسير الآيات .

---

(١) الشوكاني، فتح القدير، ج٣،ص٣١٢ .
(٢) الكلبي ، التسهيل لعلوم التنزيل ، دار الكتب العلمية، ط٢، ج٢، ص١٩٦ .
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، رقم الحديث: ٣٣٤٦، ج٢، ص١٣٨. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب اقتراب الفتن، رقم الحديث: ٢٢٨٠، ج٤، ص٢٢٠٧.
(٤) انظر: المحلي، تفسير الجلالين ،ص٣٥٤. والصابوني، وصفوة التفاسير، ج٢، ص ٢٠٦.

وكيفية ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفروه غداً ، فيعيده الله أشد ما كان ، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم : ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله تعالى واستثنوا ، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس) [١].

ثالثاً: إفسادهم بعد خروجهم :

بعد انهيار السد يخرج يأجوج ومأجوج على الناس بفسادهم كأمواج البحر المتلاطمة المتتابعة المتداخلة المتدفقة يفسدون في الأرض ويقتلون ويخربون ويأكلون خيرات الأرض ويشربون مياهها ويقهرون الناس بقوتهم ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ (الكهف: ٩٩)، وفي حديث النواس بن سمعان قال رسول الله ﷺ بعد حديثه عن انقضاء فتنة الدجال : (فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عباداً لا يدان لأحد بقتالهم [٢] فحرز عبادي إلى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدبٍ ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء) [٣].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه – السابق – قال النبي ﷺ : (فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون الماء ، ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون سهامهم إلى السماء فترجع عليهم وعليها كهيئة الدم الذي اجفظ فيقولون : قهرنا أهل الأرض ، وعلونا أهل السماء)[٤].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال ، رقم الحديث ٤٠٨٠، ج٢، ص٤٥٧ .

(٢) "لا يدان لأحد بقتالهم" : قال العلماء : معناه لا قدرة ولا طاقة لأحدٍ بقتالهم ، انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ج١٨،ص٦٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال ، رقم الحديث: ٢١٣٧، ج٤، ص٢٢٥٣.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن ، باب فتنة الدجال،رقم الحديث: ٤٠٨٠، ج٢، ص١٣٤٦. وصححه الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث: ٢٢٧٦، ج١، ص ٤٥٢.

رابعاً: نهايتهم وموتهم :

بعد خروج يأجوج ومأجوج يأمر الله عيسى عليه السلام أن يتحصن بالمؤمنين بجبل الطور ببيت المقدس ، وينتهي بهم المطاف إلى الأرض المقدسة ويشربون ماء بحيرة طبرية ويحاصرون المؤمنين ، ويدعو عليهم عيسى عليه السلام وأصحابه ، فيهلكهم الله مهلك رجل واحد بأضعف جنده ، ثم يطهر الله الأرض من رجسهم ونتنهم ، وفي حديث النواس بن سمعان قال رسول الله ﷺ : (... فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى : إني قد أخرجت عباداً لي، لا يدان لأحد بقتالهم ، فحرز عبادي إلى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماءً ، ويُحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه ، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم ، فيصبحون فرسى كموت نفسٍ واحدةٍ ، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض ، فلا يجدون في الأرض

موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم [١]، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت [٢]فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ، ثم يقال للأرض : أنبتي ثمرتك ، وردي بركتك ، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ، ويستظلون بقحفها ...) [٣].

ويمكث المسلمون بعدهم سبع سنين يستوقدون من أدوات حربهم البدائية ، مما يدل على كثرة أعدادهم ، ونوع الحرب في تلك الأيام ، ومما يشير إلى زوال بعض أو كثير من مظاهر الحضارة العلمية الحديثة ، ففي رواية الترمذي عن النواس رضي الله عنه قال ﷺ : (فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت – قال – فتحملهم قال : فتطرحهم بالمهبل [٤]، ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعابهم سبع سنين) [٥].

---

(١) "زهمهم ونتنهم" أي : "دسمهم ورائحتهم الكريهة" .النووي: شرح النووي على صحيح مسلم ٦٩/١٨ .

(٢) "كأعناق البخت" البخثت : هي الأنثى من الجمال ، وهي جمال طوال الأعناق . انظر : ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ١٠١/١ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال ،رقم الحديث: ١١٣٧، ج٤،ص ٢٢٥٣.

(٤) "بالمهبل" هو الهوة الذاهبة في الأرض . ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٥، ص٢٤١.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الفتن ، باب ما جاء في فتنة الدجال ، رقم الحديث ٢٢٤٠، ج٤،ص٤٤٥. حسنه وصححه الترمذي ، وصححه الألباني . صحيح الجامعي رقم الحديث: ٣٦٧٣، ج١،ص ٦٥٨.

المبحث الثاني: النفخ في الصور

المطلب الأول : معنى الصور لغةً واصطلاحاً:

الصّور لغة :

صَوَرَ وهو القرن [١] الذي وكل الله به إسرافيل لينفخ فيه حين يأمره بذلك والصور في لغة العرب القَرْن [٢].

الصور اصطلاحاً:

قرن من نور ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء والثانية للإنشاء وإلى هذا ذهب القرطبي،

قال القرطبي: "هو قرن من نور ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء والثانية للإنشاء وليس جمع صورة كما زعم بعضهم أي نفخ في صور الموتى " [٣].

جاء في الحديث الذي رواه البيهقي في البعث والنشور عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قلت :يارسول الله ،ما الصور؟ قال القرن، قال: قلت: كيف هو؟ قال : عظيم، والذي بعثني بالحق، إن عظم دائرة فيه كعرض السماء والأرض، فينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين" [٤].

المطلب الثاني: صاحب الصور

صاحب الصور هو إسرافيل، قال قتادة: "هو إسرافيل صاحب الصور"[٥]، وإسرافيل هو ملك كريم من ملائكة الرحمن، وكّله الله بالنفخ في الصور منذ أن خلق الله الصور فدفعه إلى إسرافيل، ووكّله بالنفخ فيه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال قال أعرابي: يارسول الله ما الصور؟ قال"قرن يُنفخ فيه"[٦].لذا فإن إسرافيل ينظر دائماً إلى عرش الملك جل وعلا لا يطرف بعينه منذ خلقه الله مستعد للأمر من الملك في أي لحظة من اللحظات وهو متهيء للنفخ فيه.

---

(١) معجم المقاييس، ج٥، ص٢٥٤

(٢) هشام بن عبد القادر، مختصر معارج القبول، الرياض: مكتبة الكوثر، ط٥، ١٤١٨ه، ص٢٢٧.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القران، مصدر سابق، (٢٣٩/١٣).

(٤) رواه البيهقي في البعث والنشور: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي (ح ٦٠٩)، ص٣٣٦، تحقيق:الشيخ عامر حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، ط١٩٨٦،١م.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، (٢٧/١٧).

(٦) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة،باب ما جاء في شأن الصور(ح٢٣٥٤)،وقال: حديث حسن ، قال الألباني:صحيح.

المطلب الثالث: وقت النفخ:

يأمر اللـــه إسرافيل بالنفخ فى الصور يوم الجمعة، كما جاء عن أبي هريرة رضـــي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم : " خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خُلِق آدم ، وفيه أُدخل الجنة ، وفيه أُخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة "[١] .

وفي حديث آخر أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الساعة تقوم في يوم الجمعـــة ، وفيها يُبعث العباد أيضاً ، فعن أوس بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم : " إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خُلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخـــة ، وفيـــه الصَّـــعْقَة[٢]، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة عليَّ " [٣] .

وقد جاءت الأحاديث النبوية مصرحة بالنفختين ، ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبـــي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما بين النفختين أربعون ". قالوا : يا أبا هريرة ، أربعون يوماً ؟ قال : أبيت . قالوا : أربعون شهراً ؟ قال : أبيت ، قالوا: أربعون سنة؟ قال : أبيت "[٤] .

المطلب الرابع: عدد النفخات:

اختلف العلماء في عدد النفخات على قولين:

القول الأول: أنها ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث.

وذلك أن الله تعالى نص على هذه الثلاث نفخات في كتابه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (النمل: ٨٧)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الزمر: ٦٨) وهذه نفخة الصعق ونفخة البعث.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة،باب فضل يوم الجمعة (ح١٤١١)، ج١، ص٢١٦

(٢)صيحة يُغشى منها على من يسمعها أو يموت.

(٣) أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة ،(٨٨٣) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير ، تفسير سورة الزمر ، فتح الباري رقم الحديث: ٢٩٥٥، ج٤، ص٢٢٧٠.

وقالوا إن الفزع مغاير للصعق، واستدلوا بحديث الصور الطويل، وفيه أن النفخات ثلاث[١] ، ورجحه ابن العربي [٢] ، وابن كثير [٣] وشيخه ابن تيمية [٤] والسفاريني [٥]

القول الثاني: أنهما نفختان : نفخة الصعق ونفخة البعث

وقالوا : هذا هو ظاهر النصوص، " قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (يس: ٤٩ – ٥٢)، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ ﴾ (النازعات: ٦ – ٧)

قال ابن عباس: " هما النفختان الأولى والثانية، وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك" [٦]

وفي السنة ما يدعم هذا القول، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم: " ما بين النفختين أربعون،قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً، قال: أبيت، قال: أربعون سنة، قال: أبيت، قال: أربعون شهراً، قال: أبيت، " ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه يركب الخلق" [٧]

ومما يقوي هذا القول أيضاً الجانب اللغوي، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الزمر: ٦٨)

والشاهد هو قوله تعالى: " ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ "، فقد قدمنا أن كلمة أخرى هي مؤنث آخر، وهذه اللفظة لا تستعملها العرب إلا فيما ليس له إلا اثنين من جنسه، فإذا قالوا: جاء رجل وجاء

---

(١) انظر: ابن كثير، صفة الجنة، تحقيق أيمن بن عارف الدمشقي، ص٣٢٥.
(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١١، ص٣٧٧.
(٣) ابن كثير، تفسير القرآالعظيم، ج٣،ص ٣٧٧.
(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ص ٢٦٠.
(٥) السفاريني، لوامع الأنوار، مصدر سابق، ج٢، ص١٦١
(٦) انظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير، ص٤٦٦. وانظر: ابن حجر، فتح الباري، ص٣٧٤.
(٧) البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن العظيم، باب قوله " ونفخ في الصور..."، ٤٥٣٦.

آخر، فإنهم يريدون بذلك أنه لم يات إلا اثنان أو اثنتان، وعليه فقوله تعالى يدل على أن عدد النفخات نفختان ولا تزيد على ذلك [١] .

وأما قول أصحاب القول الأول من أن الفزع غير الصعق فهو بعيد، بل إن الناس عندما يسمعون النفخة الأولى فإنهم يفزعون ثم يصعقون.

قال ابن حجر:" ولا يلزم من مغايرة الصعق للفزع أن لا يحصلا معاً من النفخة الأولى"[٢] ، وفي السنة ما يدل على أن النفخة يستمع إليها الناس من بعيد فيصغون لها الرؤوس، ثم تزداد قوتها فيفزعون ثم يصعقون كما في الآية السابقة الذكر.

فعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي، فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ لا أَدْرِي أَرْبَعِينَ ...إلى فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ : أَلا تَسْتَجِيبُونَ، فَيَقُولُونَ : فَمَا تَأْمُرُنَا فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ: رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ، أَوَ قَالَ يُنْزِلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ نُعْمَانُ الشَّاكُّ، فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ..." [٣]

ورجح هذا القول القرطبي [٤] ، والبغوي [٥] ، والشوكاني [٦] ، وابن حجر [٧] .

والراجح في نظري هو القول الثاني لسلامة استدلاله وقوته.

المطلب الخامس: حال الناس وقت النفخ في الصور

أخبرنا الباري جلَّ وعلا أن بعض من في السماوات ومن في الأرض لا يُصعقون عندما يُصعق من في السماوات ومن في الأرض:قَالَ تَعَالَى:﴿ **وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾** ﴾ (الزمر:٦٨)

وقد اختلف العلماء في تعيين الذين عناهم الحق بالاستثناء في قول الله تعالى : " إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ "[١] .

---

(١) عطية، محمود، فقد جاء أشراطها، السعودية: رمادي للنشر،ط٢، ١٩٩٧، ص٥٦١
(٢) ابن حجر، فتح الباري، (٣٧٧/١).
(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفتن، باب في خروج الدجال، ٢٩٤٠.
(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرطبي، مصدر سابق، ج٥، ص١٨٢.
(٥) البغوي، معالم التنزيل، الرياض: دار الفكر، ١٩٨٠، ص١٣١.
(٦) الشوكاني، فتح القدير، مصر: دار الوفاء، ط١، ١٩٩٤، ص٤٥٨.
(٧) ابن حجر، فتح الباري، ص٣٧٧.

أولاً : ذهب ابن حزم إلى أنهم جميع الملائكة ، لأن الملائكة في اعتقاده أرواح لا أرواح فيها ، فلا يموتون أصلاً[٢].

وهذا الذي ذهب إليه من أن الملائكة لا يموتون لا يُسلم له ، فالملائكة خلق من خلق الله تبارك وتعالى ، وهم عبيد مربوبون مقهورون ، خلقهم ، وهو قادر على إماتتهم وإحيائهم ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه ، وعن غير واحد من الصحابة أنه قال : " إن الله إذا تكلم بالوحي أخذ الملائكة منه مثل الغشى " ، وفي رواية : " إذا سمعت الملائكة كلامه صعقوا " فأخبر في هذا الحديث أنهم يصعقون صعق الغشي ، فإذا جاز عليهم صعق الغشي، جاز عليهم صعق الموت "[٣] .

ثانياً : وذهب مقاتل وغيره إلى أنهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت[٤]، وأضاف إليه بعض أهل العلم حملة العرش[٥] .

وصحة هذا متوقف على أحاديث رووها ، وأهل العلم بالحديث لا يصححون مثلها .

ثالثاً : وذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إلى أن المراد بهم الذين في الجنة من الحور العين والولدان ، وأضاف إليهم أبو إسحاق بن شاقلا من الحنابلة ، والضحاك بن مزاحم : خزان الجنة والنار ، وما فيها من الحيات والعقارب .

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : " وأما الاستثناء فهو متناول لما في الجنة من الحور العين ، فإن الجنة ليس فيها موت "[٦] .

رابعاً : وقد ذهب أبو العباس القرطبي إلى أن المراد بهم الأموات كلهم ، لكونهم لا إحساس لهم ، فلا يصعقون[٧].

وما ذهب إليه أبو العباس صحيح إذا فسرنا الصعق بالموت ، فإن الإنسان يموت مرة واحدة ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الدخان: ٥٦).

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٥، ص ٤٩ .
(٢) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري، مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٧٣١ .
(٣) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى، مصدر سابق، ج ٤، ص ٢٦٠ .
(٤) ابن القيم ، الروح، مصدر سابق ، ص ٥٠ و ابن حجر العسقلاني ، مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٣٧١ .
(٥) ابن حجر العسقلاني ، مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٣٧١ .
(٦) ابن تيمية ، درء تعارض العقل والنقل، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢٦١ .
(٧) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ج ٦ ، ص ٣٣١٠

وقد عقد ابن القيم في كتابه : (الروح) فصلاً بيَّن فيه أن أهل العلم قد اختلفوا في موت الأرواح عند النفخ في الصور .[١]

والذي رجحه ابن القيم أن موت الأرواح هو مفارقتها للأجساد ، وخروجها منها ، وردَّ قول الذين قالوا بفناء الأرواح وزوالها ، لأن النصوص دلت على أن الأرواح تبقى في البـــرزخ معذبة أو منعمة .

أما إذا فسرنا الصعق بالغشى ، فإن الأرواح تصعق بهذا المعنى ولا تكون داخلة فـــيمن استثنى الله تبارك وتعالى ، فإن الإنسان قد يسمع أو يرى ما يفزعه ، فيصعق ، كما وقع لموسى – عليه السلام – عندما رأى الجبل قد زال من مكانه فقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ .

ورواه ايضاً بلفظ : " فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق ، فإذا موسى باطش بجانب العرش ، فلا أدري أكان فيمن أفاق قبلي ، أو كان ممن استثنى الله "[٢].

وهذا الحديث صريح في أن الموتى يصعقون ، فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهـــو سيد المرسلين يصعق ، فغيره أولى بالصعق .

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الذي يصعق صعق غشى هم الشهداء دون غيرهم من الأموات ، وأضاف إليهم آخرون من الأنبياء .

---

(١) ابن القيم الجوزية ، الروح، مصدر سابق، ص٣٥

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق ، باب النفخ في الصور ، رقم الحديث ٢٣٦٥ .

المبحث الثالث: أهوال يوم القيامة

ثمة أهوال وأحوال واضطرابات عظيمة تحدث يـوم القيامـة فـي الأرض والسـماء، فالأرض تتبدلت بدلالات متعددة، فالتبدل الأول يكون بالصفات عند النفخة الأولـى، وهـو مـا يحدث من تسجير للبحار، بأن تصير ناراً، ونسف للجبال، بأن تندك، فتكون كالصوف ثم تصبح هباء منبثاً، ثم تحدث فيها تبدلات أخرى على أنحاء شتى، فتصبح كالبساط الواحد لا معلم فيهـا من جبال أو وديان أو أنهار [(١)].

المطلب الأول: دك الأرض ونسف الجبال:

أخبرنا الله تعالى عن هذه الأرض وما عليها من الجبال الصم الراسية أنها تحمل يـوم القيامة وتـدك دكـاً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ ﴾ (الحاقـة: ١٣ – ١٥)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ ﴾ (الفجر: ٢١).

وعند ذلك تتحول هذه الجبال الصلبة القاسية إلى رمل ناعم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾ (المزمل: ١٤) أي تصبح ككثبان الرمل المتراكمة [(٢)] بعد أن كانت حجارة صماء، والرمل المهيل هو الذي إذا أخذت منه شيئاً تبعك ما بعده، يقال: أهلـت الرمـل أهيلة هيلاً، إذا حركت أسفله فانهال من أعلاه [(٣)]

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ ﴾ الواقعة: ٤ – ٦، أي فتت تفتيتا، والهباء الغبار الذي يسطع في شعاع الشمس، والمنبث الذي تذروه الرياح [(٤)].

---

(١) طويلة، عبد الوهاب عبد السلام، المسيح المنتظر ونهاية العالم، مصدر سابق، ص٣٣٦.

(٢) الأصفهاني، الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان داوودي، دمشـق: دار القلـم، ط١، ١٩٩٢، ص٧٠٣.

(٣) انظر: الشوكاني، تفسير فتح القدير، ج٥، ص٣١٦.

(٤) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ص٢٨٢ بتصرف.

المطلب الثاني: تفجير البحار وتسجيرها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ ﴾ (الانفطار: ٣)، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ ﴾ (الطور: ٦)، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ ﴾ (التكوير: ٦).

وكعادة المشككين في دين الله تعالى الذين يبحثون عن ثغرات في هذا الدين ليطعنوا فيه أنكروا كون الماء ينقلب إلى نار.

فالجواب: إنه قد ثبت في العلوم التجريبية في هذه الأزمان المتأخرة أن قلب الكرة الأرضية إنما هو عبارة عن حمم نارية متراكمة ذات حرارة عالية جداً، وأحياناً تخرج على سطح الأرض بانفجار مهول فيما يسمى بالبراكين، وأحياناً تخرج في البحر مكونة جزراً بركانية(١).

المطلب الثالث: موازن السماء وانفطارها:

وأما السماء العظيمة التي جعلها الله تعالى من أعظم آياته فهي أعظم المخلوقات وأشدها وأكبرها وأوسعها وأعرضها وليس فيها فروج وليس لها عمد ترى وسماكتها مسيرة خمسمائة عام؛ ومع هذا كله فإنها تكون يوم القيامة كالوردة في ضعفها ولونها (٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الرحمن: ٣٧) قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ (الحاقة: ١٦)، ثم إنها تنشق وتنفطر وتنفرج: قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ ﴾ (الانشقاق: ١ – ٢)، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ ﴾ (المزمل: ١٧ – ١٨)، ثم بعد تشققها تصبح كالأبواب المفتحة: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ ﴾ (النبأ: ١٩) عندئذ تنزل الملائكة من أجل الحساب: قَالَ تَعَالَى:

---

(١) مبيض، يسر، اليوم الآخر في الأديان السماوية، المنصورة: دار الوفاء،ط٢، ١٩٩٢، ص١٠٢.
(٢) عبد الباري، فرج، اليوم الآخر بين اليهودية والنصرانية والإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر،ط٢، ١٩٩٢، ص٦٣

﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ﴾ (الفرقان: ٢٥)، ثم تقلع من مكانهــا: قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ ﴾ (التكوير: ١١).

المطلب الرابع: تكوير الشمس وخسف القمر وتناثر النجوم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ ﴾ (التكوير: ١ – ٢)، (كــورت، قال ابن عباس: أظلمت، وقال مجاهد: اضمحلت، قال ابن جرير: والصواب عندنا من القول في ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه على بعض ومنه تكوير العمامة، فمعنى قوله تعالى " كورت" جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمي بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها" [١] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ ﴾ (القيامة: ٨ – ٩)، خُسِف: أظلم وذهب نوره[٢]

وقوله تعالى: " وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ " فسَره النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبــي هريــرة رضي

الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" الشمس واالقمر مكورانيــوم القيامـــة" [٣] يعنـــي مجموعان مظلمان، وزاد البزار قوله:" مكوران في النار" [٤]

والنجوم والكواكب ينفرط عقدها فتنتثر ويذهب ضوؤها فتطمس، قال تعالى:"وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ " (التكوير:٢) ، يعني انتثرت [٥] .

---

(١) الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الأصول، بيروت : دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩١م، ص٢١٣.
(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مصدر سابق، ص٢٨٢.
(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس، رقم ٣٠٢٨.
(٤) انظر: السيوطي: البدور السافرة في أحوال الآخرة، تحقيق محمد حسن الشــافعي، بيــروت: دار الكتــب العلمية، ط١، ص٩٣.
(٥) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مصدر سابق، ص٧٠٤.

الفصل الثاني
البعث والنشور

المبحث الأول: البعث معناه وأدلته

المطلب الأول: مفهوم البعث وكيفيته

المطلب الثاني: وجوب الإعتقاد به وأدلته

المبحث الثاني: النشور

المطلب الأول: خروج الأجسام من القبور وإحياء الله تعالى لها.

المطلب الثاني: حال النشور.

المبحث الثالث: الحشر

المطلب الأول: مفهوم الحشر وأحوال الناس

المطلب الثاني: الشفاعة

المطلب الثالث: الحوض

الفصل الثاني

البعث والنشور

المبحث الأول : البعث معناه وأدلته

بعد النفخ في الصور يكون بعث الناس من قبورهم، فما معنى البعث؟ وما معتقد المسلمين في ذلك وما الأدلة عليه؟

المطلب الأول : مفهوم البعث وكيفيته

الفرع الأول: مفهوم البعث.

أولاً :البعث في اللغة: يأتي على وجهين :

أحدهما: الإرسال، قَالَ تَعَالَى:﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (الأعراف: ١٠٣)، أي: أرسلنا. [١]

الثاني: الإثارة والتحريك، تقول: بعثت البعيرفانبعث أي أثرته فثار، ومنه بعث الموتى وذلك بإحيائهم وإخراجهم من قبورهم، قَالَ تَعَالَى:﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (البقرة: ٥٦)، أي: أحييناكم [٢] .

قال ابن جرير:" وأصل البعث إثارة الشيء من محله، ومنه قيل: فلان بعث راحلته، إذا أثارها من مبركها للسير [٣] .

"يقال: بعثت رسولاً أوصلته وأبعثته كذلك وفي المطاوع فانبعث والفعل يتعدى إلى مفعوله بنفسه فيقال بعثته وكل شيء لا ينبعث بن بنفسه كالكتاب والهدية فإن الفعل يتعدى إليه بالباء فيقال بعثت به" [٤] .

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج٢، ص١١٦.
(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج١، ص٢٦٦.
(٣) الطبري، ابن جرير،مصدر سابق، ج٢،ص٨٤.
(٤) عطاالله، د.عبدالباقي أحمد، اليوم الآخر في الكتاب والسنة، دار المنار، ط١، ١٩٨٨، ص١١٧.

ثانياً: البعث في الإصطلاح

إحياء الأموات يوم القيامة [١] قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (الأنعام: ٣٦)، وذلك أن الله تعالى إذا أذن لنافخ الصور أن ينفخ النفخة الثانية وهي نفخة البعث؛ فتبدأ الأرض تهتز والقبور تتبعثر فتقذف الأرض ما فيها من الجثث فتخرج الناس من هول ما يرون بعد نفخ الروح فيهم، يخرجون يجرون لا يدرون أين يذهبون، وشبههم الله تعالى بالفراش المبثوث [٢] ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ ﴾ (الانفطار: ٤)، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ ﴾ (العاديات:٩)، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ ﴾ (الزلزلة: ٢)، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ ﴾ (الانشقاق: ٣ – ٥)، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (المعارج: ٤٣ – ٤٤).

قال أبو البقاء الكفوي: "إيجاد الأعيان والأنواع والأجناس عن ليس يختص به الباري والإحياء والنشر من القبور" [٣].

قال ابن كثير: " البعث: وهو المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة " [٤].

وقال سعد الدين التفتازاني: " البعث هو أن يبعث الله الموتى من القبور بأن يجمع أجزائهم ويعيد الأرواح إليها" [٥].

وقال عبدالعزيز السلمان :" إعادة الأبدان وإدخال الأرواح فيها، فيخرجون من الأجداث أحياء مهطعين إلى الداعي"[٦] .

وقال السفاريني: "أما البعث فالمراد به المعاد الجسماني؛ فإنه المتبادر عند الإطلاق؛ إذ هو الذي يجب اعتقاده ويكفر منكره[١]، وبظهور العلاقة بين المعنى الشرعي لكلمة (البعث)

---

(١) المقدسي، ابن قدامه، لمعة الإعتقاد، مصدر سابق،ص١١٥.
(٢) المطيري، عبد المحسن، اليوم الآخر في القرآن الكريم والسنة النبوية، دار البشائر، ١٩٩٩،ص٢٢٣.
(٣) الكفوي، أبو البقاء، الكليات، مصدر سابق، ص ٢٤٤.
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج٣ ، ص ٢٠٦.
(٥) التفتا زاني ، سعد الدين شرح العقائد النسفية، ص٣٩٩
(٦) السلمان ،عبد العزيز، الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ، مصدر سابق ،ص٧٨

والمعنى اللغوي لها؛ أجد ترابطاً ظاهراً، وذلك أن من معاني البعث في اللغة الإثارة لمـا كـان ساكناً

من قبل، وكذا الإرسال وهذا ما جاء في كلمة البعث مراداً بها معناها الشرعي الذي هو إرسال الحياة إلى الأموات وإثارتها من جديد، لتتهيأ لما يراد منها من الانطلاقة إلـى الموقـف للحساب" [٢].

فالبعث هو: إحياء الله للموتى وإخراجهم من قبورهم أحياء للحساب والجزاء، ولو كـان الأمـر سيتوقف عند الموت لهان الأمر، ولكنه يبقى أهون مما يليه من عذاب القبر والوقوف بين يـدي الله تعالى.

الفرع الثاني: كيفية البعث

كيفية البعث :

يُنزل الله من السماء ماءً فينبت الناس كما ينبت البقل قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾** ﴾ (الأعراف: ٥٧)، فدلت هذه االآية على تشبيه الحياة الآخرة وكيفية البعث بإنبات النبات وكيف تعود الحياة من جديد بعد نزول المطر .[٣]

وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله : " مَا بَيْنَ النَّفْخَتَـيْنِ أَرْبَعُـونَ " قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، أَرْبَعُونَ يَوْماً ، قَالَ : أَبَيْتُ ، قَالُوا : أَرْبَعُونَ شَهْراً ؟ قَالَ : أَبَيْتُ ، قَالُوا : أَرْبَعُونَ سَنَةً ؟ قَالَ : أَبَيْتُ ، ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ قَالَ : ولَـيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلاَّ يَبْلَى إِلاَّ عَظْماً وَاحِداً وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَـةِ [٤]

.فدل النص النبوي على أن كيفية البعث بإنبات الإنسان كما ينبت النبات [٥]

البعث فى الواقع حقيقة غيبية يعجز العقل البشرى عن إدراكها ،قال القرطبي "وعند أهل السنة أن تلك الأجساد الدنياوية تعاد بأعيانها وأعراضها بلا خلاف بينهم"[٦] .

---

(١) السفاريني ، البحور الزاخرة في علوم الآخرة، مصدر سابق، ص٣٨٧

(٢) العواجي، غالب الحياة الآخرة ،ج١ ،ص٦١

(٣) الميداني ،عبدالرحمن حبنكة ،الأمثال في القرآن ،دمشق : دار القلم،ط٢، ١٩٩٢،ص٢١٧.

(٤) رواه البخاري،كتاب الرقاق، باب نفخ الصور، رقم الحديث ٢٩٥٥. أنظر: ابن حجر العسـقلاني، مصـدر سابق، ج١١، ص ٥٥١

(٥) المحاسبي، أبي عبدالله الحارث بن أسد، البعث والنشور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١٩٨٦،١م،ص٥٨.

(٦) القرطبي، التذكرة ، مصدر سابق ،ص ١٨٢

لا ينبغي للعقل البشريأن يلقى بنفسه في متاهات لا يستطيع إدراك حقيقتهـــا ولا كيفيـــة تصورها ومن ذلك ما يتعلق بكيفية البعث بعد الفناء وكيفية نشاته وكيفية وجوده فكل ذلك غيب لا يعلمه إلا الله تعالى وما ينبغي للعقل أن يخوض في تلك المسائل التي لا سبيل لمعرفتهـــا إلا بالخبر

الموثق [١]، فإذا أتم الخلق واكتمل النمو وأصبحت الأجسام هياكل تامة التكـــوين تحـــت الأرض لا ينقصها إلا أن تحل فيها الأرواح فتدب بها الحياة وتتحرك وتقـــوم وعندئـــذ يرســـل الخالق سبحانه وتعالى الأرواح في مستودعها بعد وفاة صاحبها وهذه الأرواح إمـــا أن يكـــون مكانها العالم العلوي إن كان صاحبها مؤمناً مطيعاً بإخلاص في دنياه أو يكون مكانها بعد الوفاة وقبل البعث في العالم السفلي إن كان صاحبها كافراً فتدخل كل روح تجسدها إذ كان يحي بها في الدنيا ثم ينادى المنادي قائلاً أيتها العظام النخرة والأوصال المتقطعة والشعور المتفرقـــة إن الله تعالى يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء فتسمع وتجيب النداء بعد أن تنشـــق الأرض فتخـــرج سراعاًإلى الحشر بعد تمام النشر ويقفون للعرض على الله تعالى ليحاسبهم عما صنعوا [٢] .

وقال ابن حزم – رحمه الله" : – أجمع جميع المسلمين على أن الله تعالى يبعث الأجساد يوم القيامة، فيرد إليها أرواحها" [٣]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله" : – ومعاد الأبدان متفق عليه عند المســـلمين واليهود والنصارى" [٤]

وقال عضد الدين الأيجي" :أجمع أهل الملل عن آخـــرهم علـــى جـــوازه ووقوعـــه"[٥]
وقال ابن القيم في كتابه (الروح): " معاد الأبدان متفـــق عليـــه بـــين المســـلمين ، واليهـــود، والنصارى" [٦] .

فالبعث هو : المعاد الجسماني فإنه المتبادر عند الإطلاق إذ هو الذي يجب اعتقـــاده ولا يستطيع أحد أن يعلم بكيفيته لأنه من القضايا الغيبية.

---

(١) انظر: حسن الجسو، الحصون الحميدية في المحافظة على العقائد الإسلامية، مصر: مكتبة التوفيقيـــة، ط١، ١٩٩٢،ص١١٨.
(٢) انظر: أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، جده: دار الشروق، ط١، ١٩٩٠،ص٢٨١.
(٣) ابن حزم، محمد، الأصول والفروع،مصدر سابق، ص١٦
(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مصدر سابق،ج٤، ص٢٨٤.
(٥) الإيجي، عضد الدين المواقف، مصدر سابق، ص٣٧٢.
(٦) ابن القيم، الروح، مصدر سابق، ص٥٣.

تفصيل معتقد المسلمين في البعث :

المسألة الأولى: هل البعث للجسم والروح أم الروح وحدها:

أولاً : البعث للجسم والروح : الآيات الكريمة تدل على أن الناس يحشرون بأجسادهم وأرواحهم لا أرواحهم فقط، حيث يقومون من قبورهم بعد النفخ بالصور ينظرون ويحشرون زرقاً، ويفر المرءمن الاحبة، ويشتعل الرأس شيباً، وكل هذا وصف للأبدان، وهذا هو ظاهر القرآن الكريم إذ لا يعدل عن الظاهر إلا لقرينة ولا قرينة هنا.

والأحاديث مصرحة بأن الأرواح ترجع للأبدان يوم القيامة، ومنها حديث عبدالله بن عمرو مرفوعاً، وفيه:" ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً، قال: وأول من يسنعه رجل يلوط حوض إبله. قال: فيصعق ويصعقق الناس ثم يرسل الله تعالى أو قال: ينزل الله تعالى مطراً كأنه الطل، أو الظل فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلم إلى ربكم ." (١) .

قال شارح الطحاوية:" الروح لها بالبدن خمسة انواع من التعلق متغايرة الأحكام:

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنيناً.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى الأرض.

الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه؛ فعنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها إليه التفات البتة، فإه ورد ردُّها إليه وقت سلام المسلم، ووردأنه يسمع خفق نعالهمين يولون عنه، وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه،إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً،فالنوم آخر الموت" (٢)

تدل كلمة البعث على بعث الأجساد والأرواح، وأيضاً تعاد هذه الأبدان، بأعيانها وأعراضها وقد قال القرطبي – رحمه الله" : – وعند أهل السنة أن تلك الأجساد الدنيوية تعاد بأعيانها وأعراضها بلا خلاف بينهم"(٣)

– وقال ابن حزم – رحمه الله" : – أجمع جميع المسلمين على أن الله تعالى يبعث الأجساد يوم القيامة، فيرد إليها أرواحها" (١)

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدّجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى، رقم ٢٩٤٠.

(٢) ابن أبي العز الحنفي الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، مصدر سابق، ص٥٧٩. وقد سبقه لهذا التقسيم ابن القيم، الروح، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٠، ص٨٤.

(٣) القرطبي، التذكرة،، مصدر سابق ،ص١٨٢.

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله" : – ومعاد الأبدان متفق عليه عند المسلمين واليهود والنصارى"[٢]

- وقال صاحب المواقف" :أجمع أهل الملل عن آخرهم على جوازه ووقوعه" [٣].

أدلتهم :

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ﴾ (يس: ٧٨ – ٧٩).

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: " ليس من الإنسان شيء إلا يبلى ، إلا عظمًا واحدًا وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة" [٤] إذ المعاد الجسماني هو المتبادر عند الإطلاق في النصوص الشرعية[٥].

ثانيا : المبعوث هو الروح فقط: نحا إلى هذا الرأي الفارابي [٦] في أحد آراءه التي نقلت عنه:

" ذلك أن النفوس جميعا خالدة، فالنفوس الفاضلة إذا فارقت أجسادها حصلت على السعادة القصوى، أما النفوس الشريرة الجاهلة فإنها تبقى بعد الموت في آلام لا نهاية لها بقاء لا نهاية له.ورأي آخر لهم في ذلك حيث قرروا أن النفوس الشريرة الجاهلة غير مستكملة استكمالا تفارق به المادة، حتى إذا بطلت المادة بطلت هذه النفوس و انعدمت، إذ لا بقاء إلا للنفوس الكاملة" [٧].

ومما يرد به على هذا الرأي :

الأول : ما دلَّ عليه الحديث السابق، ولقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح "كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم

---

(١) ابن حزم ،الأصول والفروع، مصدر سابق، ص١٦

(٢)ابن تيمية ،مجموع الفتاوى، مصدر سابق، ج ٤، ص٢٨٤.

(٣) الإيجي ،عضد الدين ،المواقف، مصدر سابق، ص٣٧٢.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب ما بين النفختين، ٤٦٥١.

(٥) ابن مانع محمد ، الكواكب الدرية لشرح الدرة المضنية، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧ ص ٦٥. انظر: الشهرستاني ،الملل والنحل ج٣ ص ٥٩٧.

(٦) أبو نصر محمد الفارابي هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابي . ولد عام 260 هـ 874/م في فاراب في اقليم تركستان وتوفي عام 339 هـ950/م. فيلسوف مسلم اشتهر بإتقان العلوم الحكمية وكانت له قوة في صناعة الطب.

(٧) عاطف، العراقي، مذاهب فلاسفة المشرق ،القاهرة: دارالمعارف، ط٩، ١٩٨٧، ص ٢٢٤

اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض، فقال:ا جمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيت، فغفر له[١].

الثاني :إن قولهم هذا قوى شبهة الفلاسفة في نفي المعاد الجسماني، حيث أن الله تعالى يخلق جسماً آخر تتنعم فيه الروح أو تتعذب، فهي – أي الروح – المقصودة بالعذاب أو النعيم.

الثالث :إن الإعادة التي ذكرها الله تعالى في كتابه، هي الإعادة التي فهمها المسلمون والمشركون، وهي تقتضي إعادة المخلوق من المادة التي استحال منها بعد فنائه، من الفرق بين النشأة الأولى والثانية، والجسد هو الأول بعينه.[٢]

الرابع : إن هذا القول يلزم منه، ألا يسمى البعث بهذا الاسم، وإنما يسمى خلقاً جديداً، وهذا باطل[٣]

المسألة الثانية : هل الإعادة عن عدم، أم عن تفريق؟

واختلف علماء السلف والمتكلمون هل الإعادة عن عدم، أم عن تفريق على قولين:

الأول :إن الإعادة عن عدم، بمعنى أن الأجساد تعدم، ثم تعاد خلقاً آخر **وهو قول الأكثرية من الأشاعرة وبعض المعتزلة-.**

حيث قالوا ببعث الأجساد عن اعدام، أي أنه تعالى يعدم الذوات والأجزاء كليا، بحيث تفنى ثم يعيدها يوم البعث إلى الوجود والحياة مرة أخرى بإيجاد بعد الفناء والعدم. لأن إعادة المعدوم جائزة عندهم.[٤]

واستدلوا على ذلك بقوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ (الحديد: ٣) وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (القصص: ٨٨).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء، باب: "أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم "رقم: ٣٢٩٤،ج٣، ص١٢٨٣.أخرجه مسلم ،كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه رقم: ٢٧٥٦

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مصدر سابق، ج ١، ص٢٤٦

(٣) ابن قيم الجوزية،الفوائد، ص١٥-١٦.

(٤) الإيجي، المواقف، مصدر سابق، ص٣٧٢

واستدل الإيجي من الأشاعرة على أن المعاد هي الأجزاء الأصلية، وليست سائر الأجزاء، حيث يرى بأن هذه الأجزاء الأصلية التي كانت للإنسان المأكول تعد فضلا في الآكل، إذ إن الأنسان باق مدة عمره، وأجزاء الغذاء تتوارد عليه وتزول عنه. وذلك دلالة على أن المعاد بعينه الذي كان من قبل، بناء على بقاء الأجزاء الأصلية التي من خلالها يقوم عليها المعاد الجسماني.

الثاني : إن الإعادة عن تفريق، بمعنى أن أجزاء الميت تتفرق، ثم يجمعها الله تعالى بعد ذلك، وينفخ فيها الروح، وقال به بعض المعتزلة[١]ورجحه القرطبي ، ومال إليه شيخ الإسلام ابن تيمية و ابن القيم . ودليلهم هو الظاهر من النصوص تدل على الجمع المتفرق .

المسألة الثالثة: هل المبعوث الجسم الأول بعينه، أو غيره ؟

واختلفوا أيضاً هل المبعوث الجسم الأول بعينه، أو غيره على قولين أيضاً

والذي عليه سلف الأمة أن الأجساد تستحيل تراباً كما كانت عدا عجب الذنب [٢]كما في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال" :كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب"[٣] ، وهذه الاستحالة ليست أمراً مستحيلاً فها هي النطفة تستحيل علقة، ثم مضغة، ثم تكتمل بشراً سوياً، وكذلك في أثناء حياته فهو يبدأ طفلاً ثم شاباً، ثم كهلاً، وهكذا الإعادة، يعاد الخلق بعد أن استحالوا تراباً[٤].

– القول الثاني: بعض الكرامية وبعض المعتزلة.

ذهب إلى عدم تفريق. أي أنه تعالى لايعدم الأجزاء اعداما. بل يفرقها ويزيل التأليف عنها، ثم ركبها يوم البعث بجمع تلك الأجزاء وإعادة التأليف إليها وخلق الحياة فيها مرة أخرى. وإنما قالوا ذلك لأنهم يرون امتناع إعادة المعدوم بعينه، هذا ما قال به الحسن البصري.[٥]

---

(١) الرازي، الأربعين في أصول الدين، مصدر سابق، ص٢٨٤ ،واالقرطبي ،التذكرة ، مصدر سابق، ص ١٧٨و ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مصدر سابق، ج١٧، ص،١٧٩وابن قيم الجوزية، صيد الفوائد، مصدر سابق، ص ١٥

(٢) الألوسي، روح المعاني ، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠، ج٢٣ ،ص ٥٧ –٦١

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين، رقم: ٢٩٥٥ ج4 ص2271

(٤) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، مصدر سابق ، ص ٤٧١

(٥) التفتا زاني، سعد الدين ،شرح العقائد النسفية، مصدر سابق، ج٢، ص ١٥٨

- **القول الثالث: التوقف أي عدم الجزم.**

وقد نقل التفتازاني عن الجويني نصا يفيد أنه اختار التوقف وعدم الجزم في هذه القضية أي كيفية إعادة الروح إلى الجسم (١)

أول من يبعث وأول من ينشق عنه القبر يوم القيامة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله : " أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَـــةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ "(٢).

فأول من يبعث وتنشق عنه الأرض هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفي صـــحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " استب رجل من المسلمين ، ورجل مـــن اليهود ، فقال المسلم : والذي اصطفى محمداً على العالمين ، فقال اليهودي : والـــذي اصـــطفى موسى على العالمين ، فرفع المسلم عند ذلك يده ، فلطم اليهودي ، فذهب اليهودي إلى رســـول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الذي كان من أمره وأمر المسلم ، فقـــال: لا تُخيرونـــي علـــى موسى، فإن الناس يصعقون ، فأكون أول من يفيق ، فإذا موسى باطش بجانب العـــرش ، فـــلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق ، أو كان ممن استثنى الله عز وجل " . (٣)

قال ابن تيمية: " إنه من المعلوم ببداهة العقول أن خلق السماوات والأرض أعظم مـــن خلق أمثال بني آدم ، والقدرة عليه أبلغ – وأن هذا الأيسر أولى بالإمكان والقدرة من ذلك "(٤) .

وقال شارح الطحاوية : " أخبر تعالى أن الذي أبدع السماوات والأرض على جلالتهما ، يحي عظاماً قد صارت رميماً ، فيردها إلى حالتها الأولى "(٥) .

فأول من وأول من ينشق عنه القبر يوم القيامة هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

المطلب الثاني: وجوب الإعتقاد بالبعث وأدلته

أولاً: أوجه الإستدلال بالقرآن الكريم على عقيدة البعث :

إن الإيمان هو التصديق وعدم الشك فمن آمن بالله ، وصدق برسوله صـــلى الله عليـــه وسلم آمن وصدق بما أخبر الله به (٦)

---

(١) التفتا زاني، سعد الدين ،شرح العقائد النسفية، المصدر السابق، ج٢ ١٥٩.
(٢) الحجاج مسلم صحيح مسلم بشرح النووي مصدر سابق بحديث رقم ٢٢٧٨ كتاب الفضائل باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق وكتاب الصلاة باب صفة الأذان ج٤ ص ٣٢٢
(٣) ابن حجر، العسقلاني، أحمد، فتح الباري ، كتاب الأنبياء ،باب قوله تعالى (وإن يـــونس لمـــن المرســـلين)بحديث رقم ٣٢٣٣، ج٣، ص١٢٥٤
(٤) ابن تيمية، أحمد، مجموع فتاوى ،شيخ الإسلام، ج٣، ص ٢٩٩
(٥) إبن أبي العز ،شرح العقيدة الطحاوية، مصدر سابق ص٤٦١
(٦) عاشور، عبداللطيف، حياتنا بعد الموت، ط١، القاهرة: مكتبة القرآن،١٩٨٨،ص ٥٦.

فلو نظرنا فى صفحات القرآن الكريم سنجد أن الإخبار عن هذه القضية قد تنوعت أســاليبه ليكون أوقع فى النفوس [١] ، وأقرب إلى القلوب :

١. بعض المواضع نجد الحق سبحانه وتعالى يقسم على وقوعه ومجيئه ،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ (النساء: ٨٧).

٢. يقسم أيضاً على تحقق ذلك الوقوع بما شاء مـن مخلوقاتـه ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾ ﴾ (الذاريات: ١ – ٦).

٣. ذم أولئك المكذبين بيوم البعث[٢]،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (يونس: ٤٥).

٤. وبعض المواضع يمدح المؤمنين الموقنين بـالآخرة ،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (البقرة: ٣ – ٥)

٥. أحيانا يخبر الحق سبحانه عن مجيئه واقترابه[٣] ،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ ﴾ (النحل: ١).

(١) الرازي،تفسير الرازي، محمد، مصدر سابق، ج ٢١،ص٢٤٢.
(٢) الشوكاني، فتح القدير، مصدر سابق، ج٣، ٢٣٤.
(٣) الألوسي ،مصدر سابق، ج٥ ،ص٩٠

ثانياً : النشأة الأولى

إن خلق الإنسان على هذا النحو هو– فى حد ذاته – أعظم دليل على البعث،قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ ﴾ (مريم: ٦٦ – ٦٧).

فكل عاقل يعلم بالضرورة أن القادر على البدء قادر على الإعادة من باب أولى – ولله المثل الأعلى – ، ومن المعلوم أن الإعادة أهون من الابتداء وهذا بحسب مقاييسنا البشرية(١) .

أما بالنسبة لله سبحانه فالكل سواء ، ويكفى أن يزيل الإنسان حجاب الغشاوة والغفلة لكى يدرك هذه المسألة ويوقن بها ، لقد كان الأصل من التراب ثم من سلالة من ماء مهين ، ثم تحول الماء إلى نطفة ، ثم إلى علقة ، ثم إلى مضغة ، إلى أن نفخ فيها الروح ، فالقادر على هذا الخلق المشاهد المعلوم ، قادر على إعادة الخلق وإحياء الموتى(٢) ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ (الحج: ٥ – ٧) .

ثالثاً : دليل إحياء الأرض بعد موتها

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (فصلت: ٣٩).

---

(١) القرطبي، مصدر سابق ،ج١٠، ص٢٧٤

(٢) قطب ،سيد ،مشاهد القيامة في القرآن، ص ١٠٢

ذلك أن هذه الأرض الساكنة الهامدة ينزل عليها الماء ، فتتفجر وتتشقق وتنبت من كل زوج بهيج[١] .

رابعاً : دليل خلق السماوات والأرض

لفت القرآن الكريم أنظار الناس إلى مشاهد القدرة الإلهية من خلق السماوات والأرض[٢]،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (الرعد: ٢).

ذلك أن السماوات بكل ما فيها من عظمة وإبداع واتساع ونظام، وبكل ما فيها من كواكب ونجوم ، ومع الأبعاد الهائلة التى تفصل بين كل كوكب وآخر وبين مجرة وأخرى رغم هذا كله فإن هذه المجرات مع نجومها تدور بدقة وانتظام بلا خلل ولا اصطدام وسبحانك ربى أنت القائل فى محكم تنزيلك : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (غافر: ٥٧).

خامساً : تحويل الخلق من حال إلى حال

يؤكد القرآن الكريم طلاقة قدرة الله سبحانه فى تحويل الخلق من حال إلى حال[٣] ، فهو الذى يميت ويحيى ، ويخلق ويفنى ، يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ (الأنعام: ٩٥ – ٩٦).

---

(١) ابن كثير، تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج٣، ٥٨١

(٢) الزمخشري ، الكشاف، مصدر سابق، ج٢ ، ص ٤٩٣

(٣) الرازي، تفسير الرازي، مصدر سابق، ج١٩ ،ص ٩

إن الحبة الصلبة الجامدة يخرج الله منها نباتا أخضراً ، يزدهر ويثمر، ثم تعطـــى هــذه النبتة الحية حبوبًا جامدة ميتة ... ومن الطيور الحية يخرج البيض الميت ، ومن هــذا البــيض تخرج الطيور المتحركة ، التى تنطلق فى القضاء ، تغرد وتطير [١]

إن هذا التقلب فى المخلوقات وتحويلهم من حال : موت فحياة ، ثم حياة فموت ؛ لهـــو أعظم دليل على قدرة الواحد القهار ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (البقرة: ٣٨).

سادساً : عودة الحياة إلى بعض الأموات فى الحياة الدنيا

لا يقتصر القرآن الكريم على ضرب الأمثلة التى تقرب إلى الناس قضية البعث ، وإنما يذكر بعض الوقائع الفعلية والحوادث التى حدثت بالفعل فى الحياة الدنيا ، والتى كانـــت علـــى مرأى ومسمع من الناس[٢].

ومنها :

- ما أخبر الله تعالى به عن قتيل بنى إسرائيل الذى أريد أن يعرف قاتله ، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة صفراء فاقع لونها ، تسر الناظرين ، وهى أيضًا لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها ثم يضربونه ببعضها ، وفعلوا ذلك فقام القتيـــل حيـــا [٣]،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (البقرة: ٧٣) .
- أيضاً ما أخبر الله تعالى به عن هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر المـــوت[٤]، فأماتهم الله ، ثم أحياهم [٥] ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ (البقرة: ٢٤٣).

---

(١) الأشقر، عمر، القيامة الكبرى، ص٥٢
(٢) الشوكاني ، فتح القدري، مصدر سابق، ج،٤ ص ٦٣-٦٤
(٣) الأشقر ،عمر، القيامة الكبرى ،مصدر سابق، ص ٥١
(٤) ابن كثير، ج،١ مصدر سابق ، ص ٤٤١
(٥) الأشقر ،عمر الأشقر، القيامة الكبرى، مصدر سابق، ص ٥٢

- ومنها ما أخبر الله به عن ذلك الرجل الذى مر على قرية خاوية على عروشها ، أصابها الخراب والدمار، فاستبعد أن تعود الحياة إليها مرة أخرى فأماته الله مائة عام ثم بعثه[١] ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ (البقرة: ٢٥٩).

- ومن ذلك أيضاً ما أخبر به القرآن الكريم عن سيدنا إبراهيم عليه السلام حينما رأى جيفة مطروحة على سطح البحر تأكل منها السباع والطيور، فقال كما حكى عنه القرآن الكريم :قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ (البقرة: ٢٦٠).

- ولم يكن سؤال إبراهيم – عليه السلام – لربه عن ريبة أو شك فى البعث ولكن كان من باب التطلع إلى مشاهدة هذا الأمر العجيب ليطمئن القلب ، وليكون دليلاً عمليا للناس على تحقق البعث [٢]

وبهذا فإننا أمام وقائع فعلية حدثت في الحياة الدنيا لتكون دلائل وبراهين ساطعة على تحقق وقوع البعث يوم القيامة .

---

(١) الأشقر ،عمر الأشقر، القيامة الكبرى ، المصدر السابق، ص ٥٤

(٢) عبد الكافي ،عمر، رحلة إلى الدار الآخرة، دار النور، ط١، ٢٠١٠ ،ص١٥٩

وهذه حقائق لايقبل من أي كان نكرانها أو الغفلة عنها لذلك ،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الأنعام: ٦٠).

ولا شيء فى هذا الكون يمضى عبثاً أو يقع عفوًا، كل شيء يمضى بتقدير وحساب وتسجيل، كل شيء فى الكون يعلن عن عظمة الخلاق العليم جل فى علاه[١].

إن أرجاء الكون كلها مليئة بالأدلة الساطعة التى تدل دلالة واضحة على طلاقة القدرة الإلهية ، وعجباً للإنسان الغافل الذى لا ينظر ولا يتأمل ولا يتذكر، ذلك أن التأمل فى ميدان العقيدة هو أعظم إيقاع على أوتار القلب البشرى الذى يهتز بعنف حينما يرى ما تنطوى عليه صفحات هذا الوجود المترامى الأطراف من عجائب الصنع وباهر الآيات فقد صدق المولى عز وجل في فوله الكريم[٢] :قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ (المؤمنون: ١١٥ – ١١٦) .

– أوجه الإستدلال بالسنة النبوية في إثبات البعث

لا شك أن العقيدة السليمة هي أساس الدين. و أن اعتماد القرآن الكريم للأدلة العقلية في محاجتهم وعدم اكتفائه بتقرير الحق والإعراض عما هم عليه من الباطل لهو منهج جدير بالدراسة واستخلاص العبر، فدلت السنة النبوية على البعث من خلال مايلي: [٣]

١. قال البخاري – رحمه الله تعالى – : حدَّثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" قال الله : كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأمَّا تكذيبه إيَّاي فقوله: لن يعيدني كما بدأني ، وليس أوَّل الخلق بأهون عليَّ من إعادته . وأما شتمه إيَّاي فقوله: اتَّخذ الله ولداً ، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحدا "[٤] **فدل هذا**

---

(١) التفتا زاني، سعد الدين ،حاشية التفتازاني على العقائد النسفية ، مصدر سابق، ص ٤٠٠

(٢) الأشقر ،عمر القيامة الكبرى ،مصدر سابق ،ص ٥٦

(٣) الحكمي، معارج القبول، مصدر سابق، ج٢ ،ص٩٢٤

(٤) ابن حجر العسقلاني، أحمد، مصدر سابق، بحديث رقم ٤٩٧٤،ج١١ ،ص ١٤٢

الحديث على البعث من خلال استنكار إنكاره ومن خلال دليل عقلي وهو أ، الإيجاد من عدم أول الأمر أصعب من الإعادة[١] .

٢. وروى مسلم من طريق معمر عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول صلى الله عليه وسلم، فذكر أحاديث ، منها : وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : " إنَّ في الإنسان عظماً لا تأكله الأرضُ أبداً فيه يركب يوم القيامة . قالوا : أيُّ عظم هو يا رسول الله ؟ قال : عجب الذنب "[٢] .**وفيه بيان أنه لا يتبقى من الإنسان سوى عجب الذنب وقد ثبت حول العديد من الذين انتقلوا إلى الدار الآخرة أنه لم يتبق إلا هذا الجزء المذكور في الحديث وقد أجريت تجارب عدة لتفتيته دون جدوى[٣] .**

٣. وحديث عبدالله بن عمرو وفيه : " ثُم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحدٌ إلاّ أصغى ليتا ورفع ليت، قال : وأول من يسمعه رجلٌ يلوط حوض إبله قال فصعق ويصعق الناس ، ثم يرسلُ الله – أو قال يُنْزِل الله – مطراً كأنه الطلُّ – أو الظل، نعمان الشاك – فتنبت منه أجساد الناس، ثمَّ ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون . ثم يقال : يا أيها الناس ، هلمُّوا إلى ربِّكم ، وقفوهم إنهم مسؤولون . قال ثم يقال : أخرجوا بعث النار، فيقول : مِنْ كم ؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين . قال : فذلك يومٌ يجعل الولدان شيبا ، وذلك يوم يكشف عَنْ ساق "[٤]

---

(١) البوطي، محمد سعيد رمضان، مصدر سابق، ص ٣٢٨
(٢) الحجاج، مسلم ،صحيح مسلم بشرح النووي، بحديث رقم ٢٩٥٥ ،ج ١٨، ص ٩١
(٣) النجار ، زغلول ، الإعجاز العلمي في السنة النبوية ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط ٥ ، ٢٠٠٤ ، ج ١ ، ص ٨٨
(٤)أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، بحديث رقم ٢٩٤٠ ،ج ١٨، ص ٧٦

المبحث الثاني: النشور

النشور: من أسماء يوم القيامة: يوم النشور، فيأخذ الإنسان كتابه الذي سُجِل فيه كل أعماله، وسينشر في الصحف شيئان: مجمل الحسنات ومجمل السيئات، فتوضع الحسنات بكفة وتوضع السيئات بكفة، ولا تظلم نفس شيئاً [١]

المطلب الأول : خروج الأجسام من القبور وإحياء الله تعالى لها

أولاً: النشور في اللغة:

قال ابن فارس: "النشور من نشر أي تفرق وانبسط" [٢]، قال ابن منظور: "تؤخذ كلمة النشور من مادة نشر وتأتي بمعنى البسط، والانتشار" [٣]

قال الرازي : ونشر الميت فهو ناشر، عاش بعد الموت وبابه دخل ومنه يوم النشور[٤]

ثانياً:النشور في الاصطلاح :

يطلق ويراد به معنى البعث ، فهو انتشار الناس من قبورهم إلى الموقف للحساب والجزاء [٥].

قال ابن كثير : " أي بعثه بعد موته " ، وقال : " ومنه يقال : البعث والنشور "[٦] .

قال ابن الأثير: " يقال : نشر الميت ينشر نشوراً : إذا عاش بعد الموت ، وأنشره الله : أي أحياه " [٧].

وقال السفاريني: " وأما النشور فهو يرادف البعث في المعنى ، نشر الميت ينشر نشوراً إذا عاش بعد الموت ، وأنشره الله أي أحياه[٨] .

وتميل الباحثة أن البعث كما رأيناه في تعريفات العلماء السابقة من أنه يراد به البعث في اليوم الآخر و خروج الناس من قبورهم أحياء و نشر الله للأموات وإحياؤهم من قبورهم فالنشور يراد به سريان الحياة في الأموات .

---

(١) المحاسبي، الحارث المحاسبي، البعث والنشور، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ص٦٨.
(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ص ٢٤١.
(٣) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ص٣١٢
(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ص٣٥٣
(٥) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مصدر سابق، ص٤٩٥
(٦) ابن كثير، تفسير ابن كثير، مصدر سابق ،ج٤، ص٤٧٢
(٧) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، مصدر سابق ،ج٥ ،ص ٥٤
(٨) السفاريني، لوامع الأنوار البهية، مصدر سابق ،ص٣٨٨

المطلب الثاني : حال النشور

إذا شاء الله تبارك وتعالى إعادة العباد وإحياءهم أمَرَ إسرافيل، وإسرافيل ملك من حملة العرش موكل بنفخ الصور ينفخ فيه نفختين، النفخة الأولى للصعق والإهلاك والإبادة ، والنفخة الثانية : للإحياء والإعادة [١] ، فهاتان نفختان، وهما اللتان قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الزمر: ٦٨)، هذه النفخة الثانية ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الزمر: ٦٨).

- **أقسام الناس حال النشور**

" فالناس يوم القيامة حال النشور ثلاثة أقسام :

١. الكفار والمنافقون .
٢. المؤمنون المتقون .
٣. عصاة الموحدين" [٢].

أولاً :أحوال الكفار يوم القيامة حال النشور:

الذلة والهوان والحسرة واليأس: إن المتامل الذي يتأمل في نصوص الكتاب والسنة التي تحدثنا عن مشاهد القيامة يرى الأهوال العظام والمصائب الكبار التي تنزل بالكفرة المجرمين حال النشور في قوله تعالى :قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (المعارج: ٤٣ – ٤٤).

وذلك لشدة الهول، وأفئدتهم خالية إلا من الهول الذي يحيط بهم ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴾

---

(١) الألوسي، شهاب الدين الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج١٥، ص٧١
(٢) عبد الكافي ،عمر، رحلة إلى الدار الآخرة ، مصدر سابق ،ص ١٦٨

(إبـــراهيم: ٤٢ -٤٤) وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (يـــونس: ٢٧)،

ومن علامة حسرتهم أنهم يتمنون أن يروا الذين أضلوهم ليقتلوهم وطئاً بالأقدام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (فصلت: ٢٩).

ويبرز الله تعالى النار لهم حتى تزداد حسرتهم: فيرونها من بعيد ثم يساقون إليها ســـوقاً عنيفاً وهم ينظرون إليها، ثم يعرضون على النار فتزداد حسراتهم حســـرات فـــوق حســـرت، ويتمنون

النجاة من هذا العذاب بكل وسيلة حتى لو أن يفدى بأقرب الناس له [١] ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾ ﴾ (الكهف: ٥٣)

ويصور القرآن الفزع الذي يسيطر على نفوس الكفار في يوم الموقف العظيم فيقـــول : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ (غافر: ١٨).

والآزفة القريبة العاجلة هي القيامة ، واللفظ يصورها كأنها زاحفة والأنفاس مـــن ثـــم مكروبة لاهثة، وكأنما القلوب المكروبة تضغط على الحناجر ، وهم كاظمون لأنفاسهم ولآلامهم ولمخاوفهم ، والكظم يكربهم ، ويثقل على صدورهم ، وهم لا يجدون حميماً يعطف عليهم ، ولا شفيعاً ذا كلمة تطاع في هذا الموقف العصيب المكروب "[٢] .

---

(١) المطيري، عبد المحسن، اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، مصدر سابق، ص٢٥٠.
(٢) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج٦، ص٣٠٤

وعندما يرى الكفار العذاب والهوان الذي يصيبهم ويصيب أمثالهم من الكفرة المشركين يأخذهم الحسرة والندم ، ولكثرة حسرة العذاب سمى الله ذلك اليوم بيوم الحســرة[١] ،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (مريم: ٣٩).

ثانياً: أحوال المؤمنين المتقين يوم القيامة حال النشور

يفزع الناس يوم القيامة وصنف من عباد الله لا يفزعون عندما يفزع الناس، ولا يحزنون عندما يحزن الناس، أولئك هم أولياء الرحمن الذين آمنوا بالله ، وعملوا بطاعة الله استعداداً لذلك اليوم، فيؤمنهم الله في ذلك اليوم، وعندما يبعثون من القبور تستقبلهم ملائكة الرحمن تهدئ مــن روعهم ، وتطمئن قلوبهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (الأنبياء: ١٠١ – ١٠٣)، والفزع الأكبر، هو ما يصيب العباد عندما يبعثون من القبــور،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ (إبراهيم: ٤٢).

والسر في هذا الأمن الذي يشمل الله به عباده الأتقياء، أن قلوبهم كانت في الدنيا غامرة بمخافــة الله، فأقاموا ليلهم، وأظمؤوا نهارهم، واستعدوا ليوم الوقوف بين يدي الله، فقد حكى عنهم ربهــم أنهم كانوا يقولون [٢]:قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ (الإنسان: ١٠)، ومــن كــان حاله كذلك فإن الله يقيه من شر ذلك اليوم ويؤمنه [٣]،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ (الإنسان: ١١ – ١٢).

---

(١) الأشقر ،عمر، القيامة الكبرى ،مصدر سابق، ص ٦٩
(٢) عبد الكافي، عمر، رحلة إلى الدار الآخرة ،مصدر سابق، ص ١٧٦
(٣) الجزائري، أبو بكر، عقيدة المؤمن،ط١، بيروت ، دار الكتب العلمية،١٩٩٠، ص ٢٧٦

ثالثاً: أحوال عصاة الموحدين يوم القيامة حال النشور

وهم المؤمنون الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فاتوا بشعائر الإسلام وأركانه ولكنهم وقعوا ببعض المعاصي، وقد ذكر الله تعالى عذاب أولئك العصاة [(١)]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ (الماعون: ٤ – ٧).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ ﴾ (البقرة: ١٧٤).
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ (آل عمران: ١٦١)

عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم» :تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ الله ذا الوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاءِ بوَجْهٍ، وَهَؤُلاءِ بوَجْهٍ[(٢)] فدلت هذه النصـــوص على الحال التي يكون عليها من تهاون في الصلاة وكتم الأحكام الشرعية والعلم ومن أكل المال العام من أنه ينتشر ويأت والنار في بطنه ويأت بما غل ولكن هيهات له ذلك فما له إلا المصير السيئ.

---

(١) ابن القيم، الوابل الصيب، دمشق: مكتبة دار البيان، ط٤، ١٩٩١م، ص ٦٨.
(٢) العسقلاني، احمد، فتح الباري، مصدر سابق، بحديث رقم ٦٧٥٧، ج٣ ،ص٢٦٢٦

المبحث الثالث: الحشر

المطلب الأول : مفهوم الحشر وأحوال الناس فيه

إن اجتماع الناس للحساب بينته النصوص الشرعية بيان يظهر للمرء الدار الآخرة كأنـــا رأي العين فما معنى الحشر وكيفيته :

أولاً: مفهوم الحشر

لغة : يقال حشرتهم جمعتهم وتأتي الحشر الجمع مع سوق والمحشر موضع الحشر[١] .

اصطلاحاً : سوق الناس وجمعهم للحساب يوم القيامة[٢] .

قال الأصفهاني : ولا يقال الحشر إلا في الجماعة[٣] .

ثانياً: أنواع الحشر وأحوال الناس فيه

١. أنواع الحشر:

الحشر قسمان :

الأول : حشر إلى موقف الحساب لعموم الخلق كلهم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾ (الكهف: ٤٧).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الملك: ٢٤)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الأنعام: ٣٨)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الملك: ٢٤)

---

(١) ابن فارس ،معجم مقاييس اللغة ،مصدر سابق ،ص ٢٤٧

(٢) ابن باديس ، عبد الحميد ، تفسير ابن باديس ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٢ ، ص ٣٠٠ .

(٣) الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن، مصدر سابق، ص ١٢٧

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله يَقُولُ : " يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلا ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ! النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعاً ، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ ، قَال : يَا عَائِشَةُ الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ "[(١)].

الثاني : حشر إلى دار القرار في الجنة أو النار للإنس والجن .

المؤمنون يساقون إلى الجنة مكرمين والكفار يساقون إلى نار جهنم مهانين

كما قال سبحانه وتعالى : قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (الزمر: ٧٣)"

و قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٌ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (الزمر: ٧١ – ٧٢).

٢. طبيعة يوم الحشر :

الأول : أن الله عز وجل وصف ذلك اليوم بالعظيم والثقيل والعسير والعبوس وغير ذلك من الأوصاف المروعة .[(٢)]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥﴾ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (المطففين: ٤ – ٦).

و قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (الإنسان: ٢٧).

٣. أحوال الناس في الحشر

أ. الرعب والفزع الذي يصيب الناس في ذلك اليوم[(٣)].

(١) الحجاج مسلم صحيح مسلم بشرح النووي بحديث رقم ٢٤٦٧ ج ١٨ ص ٤٩
(٢) الأشقر، عمر، القيامة الكبرى ،مصدر سابق، ص ٧٣
(٣) الأشقر، عمر، القيامة الكبرى، مصدر سابق ،ص ٧٤

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢ ﴾ (الحج: ١ – ٢).

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٤٢ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ٤٣ ﴾ (إبراهيم: ٤٢ – ٤٣)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣ ﴾ (لقمان: ٣٣)

ب. فرار الخلق من بعضهم لشدة الأهوال والمخاوف .[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣ ﴾ (لقمان: ٣٣).

ت: استعداد الكفار لبذل كل شيء للنجاة من العذاب .[2]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٥٤ ﴾ (يونس: ٥٤).

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧ ﴾ (المائدة: ٣٦ – ٣٧).

(١) الأشقر، عمر، القيامة الكبرى ،مصدر سابق، ص ٧٥
(٢) الأشقر ،عمر، القيامة الكبرى ،مصدر سابق ،ص ٧٦

ث: طول الحشر :

حتى يظن الناس أنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة ،قَالَ تَعَالَى:﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (الروم: ٥٥)

ج: شدة الحرارة في الموقف خلال الحشر

عَنِ المِقْدَاد بْن الأَسْوَدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله يَقُولُ : " تُدْنَى الشَّمْسُ ، يَوْمَ القِيَامَةِ ، مِنَ الخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ " ، قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: " فَوَالله ! مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالمِيلِ أَمَسَافَةَ الأَرْضِ، أَمِ المِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ العَيْنُ ،قَالَ : " فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي العَرَقِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إِلْجَاماً . قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ الله بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ " [١] .

ح. من يحشر يوم القيامة :

قَالَ تَعَالَى:﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ (مريم: ٩٣ – ٩٥).

و قَالَ تَعَالَى:﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾ (الكهف: ٤٧).

و قَالَ تَعَالَى:﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الواقعة: ٤٩ – ٥٠)

و قَالَ تَعَالَى:﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ﴾ (مريم: ٦٨).

٤. أرض المحشر :

قَالَ تَعَالَى:﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ (إبراهيم: ٤٨)

و قَالَ تَعَالَى:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ (طه: ١٠٥ – ١٠٧).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه بحديث رقم٤٢٤٥

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : " قَالَ رَسُولُ الله : يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ ، عَفْرَاءَ ، كَقُرْصَةِ النَّقِيّ ، لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لأَحَدٍ"[١] .

فالأرض التي يحشر العباد عليها في يوم القيامة أرض أخرى غير هذه الأرض ، وقد حدثنا الرسول صلى الله عليه وسلم عن صفة هذه الأرض الجديدة التي يكون عليها الحشر[٢] ، ففي صحيحي البخاري ومسلم عن سهل بن سعد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي " قال سهل أو غيره : " ليس فيها معلم لأحد "[٣] .

قال الخطابي : العفر : بياض ليس بناصع . وقال عياض : العفر بياض يضرب إلى حمرة قليلاً . وقال ابن فارس : معنى عفراء خالصة البياض.

والنَقِيّ : فتح النون وكسر القاف ، أي : الدقيق النقي من الغش والنخال. والمعْلم : العلامة التي يُهتدى بها إلى الطريق ، كالجبل والصخرة ، أو ما يضعه الناس دالاً على الطرقات ، أو على قسمة الأراضي .[٤]

وقد سمى الله يوم الدين بيوم الجمع ، لأن الله يجمع العباد فيه جميعاً [٥]:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (هود: ١٠٣) ، ويستوي في هذا الجمع الأولون والآخرون،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الواقعة: ٤٩ – ٥٠)

وقدرة الله تحيط بالعباد ، فالله لا يعجزه شيء ، وحيثما هلك العباد فإن الله قادر على الإتيان بهم ، إن هلكوا في أجواز الفضاء ، أو غاروا في أعماق الأرض ، وإن أكلتهم الطيور الجارحة أو الحيوانات المفترسة ، أو أسماك البحار ، أو غيبوا في قبورهم في الأرض، كل ذلك

---

(١) رواه مسلم في صحيحه .بحديث رقم ٢٧٩٠، ج٤، ص٢١٥
(٢) عبد الكافي، عمر ،رحلة إلى الدار الآخرة، مصدر سابق، ص ١٨٥
(٣) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ، مصدر سابق ،كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض، ج١١ ،ص٣٧٢
(٤) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، كتاب الرقاق ، باب يقبض الله الأرض، ج١١ ،ص٣٧٥
(٥) حسان، محمد، في رحاب الآخرة ، دار ابن رجب، ط١، ٢٠٠٧ ،ص ١٧٧

عند الله سواء :قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾ (البقرة: ١٤٨) .

وكما أن قدرة الله محيطة بعباده تأتي بهم حيثما كانوا ، فكذلك علمه محيط بهم ، فلا ينسى منهم أحد ، ولا يضلُّ منهم أحد ، ولا يشذُّ منهم أحد ، لقد أحصاهم خالقهم تبارك وتعالى ، وعدَّهم عداً ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ (مريم: ٩٣ – ٩٥). وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾ (الكهف: ٤٧).

وهذه النصوص بعمومها تدل على حشر الخلق جميعاً الإنس والجن والملائكة ، ولا حرج على من فقه منها أن الحشر يتناول البهائم أيضاً .

وقد اختلف أهل العلم في حشر البهائم[١] ، فذهب ابن تيمية – رحمه الله – إلى أن ذلك كائن فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " وأما البهائم فجميعها يحشرها الله سبحانه ، كما دل عليه الكتاب والسنة [٢].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الأنعام: ٣٨)، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ ﴾ (التكوير: ٥).

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الشورى: ٢٩)، وحرف (إذا) إنما يكون لما يأتي لا محالة .

وحكى القرطبي خلاف أهل العلم في حشر البهائم ورجح أن ذلك كائن للأخبار الصحيحة في ذلك ، قال القرطبي : " واختلف الناس في حشر البهائم ، وفي قصاص بعضها من بعض ، فروي عن ابن عباس أن حشر البهائم موتها ، وقاله الضحاك . وروي عن ابن عباس في رواية أخرى أن البهائم تحشر وتبعث ، وقاله أبو ذر وأبو هريرة وعمرو بن العاص ،

---

(١) عبد الكافي ،عمر ،رحلة إلى الدار الآخرة، مصدر سابق، ص ١٨٧
(٢) ابن تيمية ،مصدر سابق، ج٤ ،ص٢٤٨

والحسن البصري وغيرهم ، وهو الصحيح ، لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝٣٨ ﴾ (الأنعام: ٣٨).

قال أبو هريرة رضي الله عنه: يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة : البهائم ، والطير ، والدواب ، وكل شيء ، فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماء من القرناء ، ثم يقول : كوني تراباً ، فذلك قوله تعالى حكاية عن الكفار ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ۝٤٠ ﴾ (النبأ: ٤٠)

٥. صِفَةُ حشر العبَاد

يحشر العباد حفاة عراة غرلاً ، أي : غير مختونين[١] ، عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً " ثم قرأ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٠٤ ﴾ (الأنبياء: ١٠٤).

وعندما سمعت عائشة الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : "يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً " قالت : يا رسول الله ، الرجال والنساء جميعاً ، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال : " يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض "[٢]

وقد جاء في بعض النصوص أن كل إنسان يبعث في ثيابه التي مات فيها ، فقد روى أبو داود وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد الخدري أنه لما حضره الموت دعا بثياب جدد، فلبسها ، ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها " وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، وقال الشيخ ناصر الدين فيه : وهو كما قالا [٣].

---

(١) الأشقر، عمر، القيامة الكبرى ،مصدر سابق، ص ٨٢

(٢) الحجاج مسلم صحيح مسلم بشرح النووي بحديث رقم ٢٨٥٩ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ج١٦ ص ٦٥

(٣) الألباني مصدر سابق ج٤ ص٢٣٤ رقم١٦٧١

وقد وفق البيهقي بين هذا الحديث وسابقه بثلاثة أوجه[١] **:**

الأول : أنها تبلى بعد قيامهم من قبورهم ، فإذا وافَوْا الموقف يكونون عراة ، ثم يلبسون من ثياب الجنة .

الثاني : أنه إذا كسي الأنبياء ثم الصديقون ، ثم من بعدهم على مراتبهم فتكون كسوة كل إنسان من جنس ما يموت فيه ، ثم إذا دخلوا الجنة لبسوا من ثياب الجنة .

الثالث : أن المراد بالثياب ها هنا الأعمال ، أي يبعث في أعماله التي مات فيها من خير أو شر ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الأعراف: ٢٦)، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴿٤﴾ ﴾ (المدثر: ٤).

واستشهد البيهقي على هذا الجواب الأخير بحديث الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يبعث كل عبد على ما مات عليه "[٢]

وحديث جابر هذا رواه مسلم في صحيحه ، ولا يفقه من أن العبد يبعث في ثيابه التي كُفِّنَ فيها أو مات فيها ، وإنما يبعث على الحال التي مات عليها من الإيمان والكفر ، واليقين والشك ، كما يبعث على العمل الذي كان يعمله عند موته ، يدلُّ على هذا ما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إذا أراد الله بقوم عذاباً ، أصاب العذاب من كان فيهم ، ثم بعثوا على أعمالهم "[٣] .

فالذي يموت وهو محرم يبعث يوم القيامة ملبياً ، عن عبد الله بن عباس قال : إن رجلاً كان مع النبي صلى الله عليه وسلم فوقصته ناقته وهو محرم فمات [٤]، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اغسلوه بماء وسدر ، وكفنوه في ثوبيه ، ولا تُمِسُّوه بطيب ، ولا تخمروا رأسه ، فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً "[٥]

---

(١) ابن حجر العسقلاني مصدر سابق ج٣ ص٢٨٧٣
(٢) ابن حجر العسقلاني أحمد فتح الباري مصدر سابق ج ٣ ص٢٨٧٣
(٣) رواه مسلم في صحيحه بحديث رقم ٢٨٧٩ ج٢ ص٢٢٠٦
(٤) عبد الكافي، عمر، رحلة إلى الدار الآخرة، مصدر سابق، ص ١٩٠
(٥) رواه ابن ماجة ،في سننه بحديث رفم ،٢٧٦٧ ج،٢ ص٩٢٤

المطلب الثاني : الشفاعة

أولاً: معنى الشفاعة:

الشفاعة لغة :الضم إلى الفرد وشفعت في الأمرشفعا وشفاعة طالبت بوسيلة أو ذمام واستشفعت به طلبت الشفاعة[١] .

الشفاعة اصطلاحا : هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه.[٢]وهو الله سبحانه وتعالى .

ثانياً: أقسام الشفاعة:

للشفاعة يوم القيامة قسمان[٣]:

الأولى : شفاعة خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم :

وهي أنواع : [٤]

١. شفاعته صلى الله عليه وسلم في أهل الموقف ، فيشفع فيهم ، ويقضي الله بينهم وهي المقام المحمود له ، وهذه هي الشفاعة العظمى كما سبق .
٢. شفاعته صلى الله عليه وسلم في أناسٍ من أمته ، فيدخلون الجنة بغير حساب ، وهم السبعون ألفاً كما سبق .
٣. شفاعته صلى الله عليه وسلم في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة .
٤. شفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم .
٥. شفاعته صلى الله عليه وسلم في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه .
٦. شفاعته صلى الله عليه وسلم في جميع المؤمنين أن يدخلوا الجنة .
٧. شفاعته في أهل الكبائر من أمته: شفاعة النبي عليه السلام فيه خلاف كبير وسببه حكم مرتكب الكبيرة الذي قال فيه الخوارج الى أنه كافر مخلد في النار لأن ارتكاب الكبيرة فسق

(١) الفيومي، مصدر سابق، ص١٩١
(٢) الجرجاني، الشريف محمد، التعريفات ١٩٨٨، دار الفكر، دط ،ص ٩٢
(٣) ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة، مصدر سابق ص٢٥٥
(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر، تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة، ٢٠٠٧، ط١، دار سحنون تونس ص ١٧١و عبد الكافي عمر رحلة إلى الدار الآخرة مصدر سابق ص ٢٨٠

والفسق كفر، و ذهبت المعتزلة إلى أن مرتكب الكبيرة فاسق ليس بمؤمن ولا كافر بل هـو في منزلة بين المنزلتين مع موافقتهم لأهل السنة من كونه كافر إذا فعلها استحلالاً.وقد وافق المعتزلة الخوارج فيالحكم وهو خلود مرتكب الكبيرة في النار وخالفوهم بالإسـم قـالوا لا نطلق عليه اسم المؤمن ولا اسم الكافر بل هو في منزلة بين المنزلتين بل إن اهـل السـنة قالوا إن عفا الله عنه ابتداء فضلا منه وإن شاء عذبه ابتداء عدلا منه وإن عذبه فإنه لا يخلد في النار إذا لم يكن مستحلا للكبيرة فسيخرج من النار بإذن الله تع٨الى بشفاعة النبي عليـه السلام أو شفاعة الشافعين،ولأجل القول بخلود مرتكب الكبيرة في النار لأنه كـافر رفـض الخوارج والمعتزلةر فكرة شفاعة النبي عليه السلام في الكبائر. وعنوا بالمنزلتين الإيمـان والكفر ليس الجنة النار، ونؤيد شفاعة النبي عليه السلام بأهل الكبائر من أمته.

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رَسُولُ الله : " أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الجَنَّةِ ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعاً "(١) .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ ، فَقَـال : لعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ .

الثانية : شفاعة عامة للنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الملائكة والأنبياء والمؤمنين .

وهذه الشفاعة تكون فيمن استحق النار أن لا يدخلها ، وفيمن دخلها أن يخرج منها .

قَالَ تَعَالَى:﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ (النجم: ٢٦).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رَسُولُ اللهِ : " لكُلِّ نَبِيٍّ دَعْـوَةٌ مُسْـتَجَابَةٌ ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةَ لأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ ، فَهِيَ نَائِلَةٌ ، إِنْ شَاءَ اللهُ ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لا يُشْرِكُ بِالله شَيْئاً "(٢) .

ثالثاً: شروط الشفاعة

يشترط لقبول الشفاعة شرطان(٣) ، هما : (٤)

الأول : إذن الله في الشفاعة .

الثاني : رضا الله عن الشافع والمشفوع له .

---

(١) ابن حجر، العسقلاني، مصدر سابق ،ج١١، ص٤٣٧
(٢) رواه أحمد في مسنده بحديث رقم ٢٢٣٥٧ ج ٥ ٢٦٧
(٣) ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة، مصدر سابق ص ٢٥٣
(٤) الأشقر، عمر، القيامة الكبرى ،مصدر سابق ،ص ١٧٥

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ (النجم: ٢٦).

حكم الشفاعة للكفار:لا يقبل الله الشفاعة في أحدٍ من الكفار؛ لأنهم مخلدون في النار، ولو فرض أن أحداً شفع لكافر لم تنفعه الشفاعة .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ (النساء: ٤٨).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (المدثر: ٤٦ – ٤٨).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللهُ عَنهُ، عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال : " يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لا تَعْصِنِي ، فَيَقُولُ أَبُوهُ : فَاليَوْمَ لا أعْصِيكَ ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ : يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ ؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى : إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ ، ثُمَّ يُقَال : يَا إِبْرَاهِيمُ ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ "[١] [٢].

رابعاً: طلب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم .[٣]

دلت النصوص على أن من أراد شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم فليطلبها من ربه ، ويتبع ذلك بالعمل الصالح الموجب لها بإخلاص العبادة لله وحده ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وسؤال الوسيلة له .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قال : قِيلَ : يَا رَسُولَ الله، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ ؟ قال رَسُولُ الله : " لَقَدْ- ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ ، مَنْ قال لا إِلَهَ إلا اللهُ، خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ ، أَوْ نَفْسِهِ"[٤] .

---

(١) ابن حجر، العسقلاني أحمد ، فتح الباري، مصدر سابق، كتاب تفسير القرآن بحديث رقم ٣٣٥٠ ج٨ ص ٣٦٩

(٢) ابن كثير،مصدر سابق، ج٣، ص٢٨٨ وابن عاشور ، مصدر سابق ،ج٧ ،ص٣١٠

(٣) عبد الكافي، عمر، رحلة إلى الدار الآخرة، مصدر سابق ص ٢٨٧

(٤) العسقلاني احمد بن حجر فتح الباري مصدر سابق بحديث رقم ٩٩ كتاب العلم باب الحرص على الحديث ج١ ص ١٨٥

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُول : " إِذَا سَمِعْتُمُ المُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً ، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الوَسِيلَة ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إِلا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الوَسِيلَة حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ "[١] .

المطلب الثالث : الحوض

أولاً: معنى الحوض

لغة: هو الهدم في الأرض والحوض حوض الماء [٢]

اصطلاحاً:هو المكان الذي يتجمع فيه الماء الخارج من الجنة يرده المؤمنون قبل دخولهم لها ويقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم يسقي منه من لم يبدل دين الله تعالى .[٣]

وقد وردت أدلة كثيرة عن الرسول عليه الصلاة والسلام في بيان صفة الحوض[٤] ، وكلها تفيد أنه من نعم الله الجليلة على نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعلى أمته من بعده قد اختصت به ، وأنه لا يشرب منه من خرج على اتباع المصطفى ، وانساق وراء الأهواء والشبه ، ففي الحديث :"حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً " [٥] .

وترد فيه مسألتان هما :

- **زمن وروده للشرب منه .**
- **حال رواده .**

زمن ورود الناس للشرب منه :وقد اختلف العلماء في زمن الشرب من الحوض ، وهذا مما لا يضر الجهل به وأورد القرطبي وابن حجر أقوال العلماء في ذلك [٦].

والذي يظهر أن ما ذهب إليه القرطبي أصح ما قيل في ذلك ، فقد ذهب رحمه الله إلى أن الحوض يكون قبل الصراط ، واستدل بحديث البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " بينما أنا قائم على الحوض إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم ، فقال : هلم ، فقلت : أين ؟ قال : إلى النار والله ، قلت : وما شأنهم ؟ قال : إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم

---

(١) الحجاج مسلم صحصح مسلم بشرح النووي مصدر سابق بحديث رقم ٣٨٤ ج١ ص١٣٢
(٢) ابن فارس محمد معجم مقاييس اللغة مصدر سابق ص ٢٧١
(٣) البوطي محمد سعيد رمضان كبرى اليقينيات الكونية مصدر سابق ص ٢٩٠
(٤) انظر :صحيح مسلم كتاب الطهارة باب ١٢ حديث رقم ٢٤٩ ، ج١ ص ٢١٨ .وسنن أبي داود ،كتاب الجنائز باب ٨٣ حديث رقم ٣٢٣٧ ، ج٣ ص٥٥٨ ،سنن النسائي كتاب الطهارة صفة الوضوء باب ١١٠، ج١ ص ٩٣
(٥) رواه البخاري في صحيحه بحديث رقم ٦٢٠٨ ج٥ ص٢٤٠٥
(٦) القرطبي، محمد، التذكرة ،مصدر سابق ،ص ٣٠٥

القهقرى ، ثم إذا زمرة ، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم ، فقال : هلم ، قلت أيـــن ؟ قال : إلى النار والله ، قلت : ما شأنهم ؟ قال : إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقـــرى ، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم .

يقول القرطبي في وجه الاستدلال به : " فهذا الحديث مع صحته أدل دليـــل علـــى أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط ؛ لأن الصراط إنما هو جسر على جهنم ممدود يجـــاز عليه، فمن جازه سلم من النار "[١]

- **حال الناس مع الحوض في ورودهم إياه** : فقد وردت أدلة كثيرة تفيد أن الحوض ترده أمـــة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه يرد عنه أهل الابتداع منهم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إني فرطكم على الحوض، من مر علي شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبداً ، ليردن علي أقـــوام أعرفهم ويعرفونني ، ثم يحال بيني وبينهم ، فأقول : إنهم مني ، فيقال : لا تدري مـــا أحـــدثوا بعدك ، فأقول : سحقاً سحقاً لمن غير بعدي "[٢] .[٣]

---

(١) القرطبي ،محمد، مصدر سابق ، ص٣٠٦

(٢) العسقلاني ، أحمد بن حجر ،فتح الباري ،مصدر سابق ،ج١١، ص ٤٦٨

(٣) البوطي، محمد سعيد رمضان، كبرى اليقينيات الكونية، مصدر سابق ،ص ٢٩٠

الفصل الثالث

الحساب

المبحث الأول: العرض والجدال والمعاذير

المطلب الأول: معنى العرض لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: معنى الجدال والمعاذير

المطلب الثالث: طلب الفداء

المطلب الرابع: تطاير الصحف

المبحث الثاني: الشهادات

المطلب الأول: شهادة الأعضاء والأعمال

المطلب الثاني: شهادة الأنبياء والرسل

المطلب الثالث: شهادة محمد صلى الله عليه وسلم

المطلب الرابع: شهادة الأرض

المطلب الخامس: شهادة الملكين

الفصل الثالث

الحساب

المبحث الأول : العرض والجدال والمعاذير

ورد بجمل معاجم اللغة العربية أن الحساب يراد به: العدد والمعدود والإحصاء بالدقة الكاملة دون الزياده أو النقصان [١] .قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ (الغاشية: ٢٥ – ٢٦)، يقول ابن كثير: " أي نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها، إن خيراً فخير وإن شراً فشر" [٢] .

والحساب أطول مشهد من مشاهد يوم القيامة ، يقف العباد بين يدي الله تعالى قبل الإنصراف من المحشر فيعرفون بما عملوا وما يستحقون من عقاب وثواب ثم ما يسلمونه من كتب بأيمانهم إن كانوا مؤمنين أو بشمالهم إن كانوا من الأشقياء.

ما علاقة العرض بالحساب ؟ هذا السؤال سأجيب عليه من خلال المطالب الاتيه:

المطلب الأول: العرض لغةً واصطلاحاً

إنه بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية لمادة العرض يتبين انه يعني التالي:

قال ابن فارس : " العين والراء والضاد بناءٌ تكثرُ فروعُه، وهي مع كثرتها ترجعُ إلى أصلٍ واحد، وهو العَرْض الذي يُخالف الطُّول.

ومَنْ حَقَّقَ النظرَ ودقَّقه عَلِمَ صحَّة ما قلناه، وقد شرحنا ذلك شرحاً شافياً.فالعَرْض خِلافُ الطُّول. تقول منه: عَرُض الشيء يعرُضُ عِرَضاً، فهو عريض.وقال أبو زيد: عَرُض عَرَاضَةَ"[٣].

وقال ابن منظور: " العرض خلاف الطول والجمع أعراض" [٤] .

---

(١) ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق،، ص٣٢٩.

(٢) ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القران العظيم، تحقيق: دكتور السيد محمد السيد، دكتور وجيه محمد احمد وغيرهما، القاهرة، دار الحديث، بدون رقم الطبعة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.ص٢٥٦

(٣) ابن فارس، معجم المقاييس، مصدر سابق ،ص٥٦٢.

(٤) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، المجلد : ٩، ص١٧٨. وانظر المعجم الوسيط ص٥٤٩.

أما العرض في اصطلاح العلماء فلا يختلف معناها عن المعنى اللغوي فيعرف الراغب الأصفهاني العرض بأنه خلاف الطول أصله يقال في الأجسام ثم يستعمل في غيرها.والعــرض خصَ بالجانب وعرضَ الشيء بدا عرضُهُ وعَرَضتُ العودَ على الإناءِ واعترض الشــيءُ فــي حلقه وقف فيه بالعرض (١) .

وقال الجرجاني: " العرض انبساط في خلاف جهة الطول" (٢).

من خلال استطلاعي على الكتب العقدية تبين أن العرض هو بروز الخلائق وعرضهم على الله سبحانه وتعالى في الموقف، عندها يتجلى الله تعالى للعباد لحسابهم والقضاء بينهم، وهو أيضا عرض أعمال العباد عليهم، ومعنى العرض الخاص بالإصطلاح هو أخص من العــرض اللغوي العام كما أفادته النصوص الشريفة من الكتاب والسنة، والمؤمن يحاسب حســاباً يســيراً وهو العرض ليعرف فضل الله عليه في العفو والمغفرة (٣) ، وقام الشيخ حافظ الحكمي رحمــه الله معاني بتقسيم العرض إلى معنيين، فقال: "العرض له معنيان: عام، وهو عــرض الخلائــق كلهم على ربهم عز وجل، بادية له صفحاتهم، لا تخفى عليه منهم خافية، وهذا يدخل فيــه مــن يناقش الحساب ومن لا يحاسب، والثاني: عرض معاصي المؤمنين علــيهم، وتقريــرهم بهــذه المعاصي، وسترها عليهم، ومغفرتها لهم"(٤) .

والمقصود هنا هو ذكر عرض جميع الخلائق على الله تعالى، أما العرض الاخر وهــو عرض المناقشة والحساب (٥) .

قال الإيجي : " جميع ما جاء به الشرع من الصراط، والميزان، والحســاب، وقــراءة الكتب، والحوض المورود، وشهادة الأعضاء ، حق ، والعمدة في إثباتها : إمكانها في نفســها إذ لا يلزم من فرض وقوعها محال لذاته مع اخبار الصادق عنها، وأجمع عليها المســلمون قبــل ظهور المخالف، ونطق به الكتاب:قَالَ تَعَالَى:﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ (الانشقاق: ٨).

قال القرطبي وكذلك ابن كثير في تفسير الاية : "فسوف يحاسب حســاباً يســيراً" : " لا مناقشة فيه.

---

(٥) الراغب الأصفهاني،أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القران ، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت : دار المعرفة، ص٤٢٨.
(٢)الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق: د. عبد المنعم الحفني، القاهرة: دار الرشاد، ص١٦٠.
(٣)التويجري، محمد بن إبراهيم، اليوم الاخر صفة الجنة والنار، السعودية: دار أصداء المجتمع، ط٥، ١٤٣٣ه-٢٠١٢م، ص٣٠.
(٤) الحكمي، الحافظ بن أحمد، معارج القبول، السعودية: دار الكتب العلمية، ط١، ج٢، ١٤٢٧ه، ص٢٤٧.
(٥)العواجي، غالب بن علي، الحيــاة الآخــرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار، مصر : دار لينة، ط١، ١٩٨٢م، ج٢، ص٨١٥.

كذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من حوسب يوم القيامة عذب، قالت: فقلت يا رسول الله أليس قد قال الله:

" فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا " فقال: " ليس ذاك الحساب، إنما ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب " [١] " [٢] .

فسر ابن حجر العسقلاني معنى حديث عائشة رضي الله عنها: "هو من النقش وهو استخراج الشوكة والمراد بالمناقشة الاستقصاء في المحاسبة والمطالبة بالجليل والحقير وترك المسامحة يقال انتقشت منه حقي أي استقصيته" [٣] .

قال ابن كثير : " أي سهلا بلا تعسير ، أي لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله فإن من حوسب كذلك يهلك لا محالة" [٤] .

" ان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم كما أخرج الإمام أحمد عن عائشة قال: " سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته : " اللهم حاسبني حساباً يسيراً " ، فلما انصرف.

قلت: يا نبي الله ما الحساب اليسير؟ قال: "أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه، إنه من وقش الحساب يومئذٍ يا عائشة هلك، وكل ما يصيب المؤمن يكفّر الله عزّ وجلّ به عنه حتى الشوكة تشوكه" [٥]

وصفة العرض جاءت مفسرة في أحاديث منها حديث صفوان بن محرز، قال: بينا ابن عمر يطوف إذ عرض رجل، فقال : يا أبا عبد الرحمن، أو قال: يا ابن عمر، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم في النجوى فقال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " يدنى المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، تعرف ذنب كذا؟ يقول: أعرف، يقول: رب أعرف، مرتين، فيقول: سترتها في الدنيا وأغفرها لك اليوم، ثم تطوى صحيفة حسناته، وأما

---

(١)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عُذّب، رقم الحديث ٦١٧١، وأخرجه مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب، رقم: ٢٨٧٦.

(٢) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القران، تحقيق: د. عبدالله عبد المحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧ه-٢٠٠٦م، ج١٩، ص٢٧٢. و ابن كثير ، تفسير القران العظيم،ج٨، ص ٣٥٧.

(٣)ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١١،ص١٠٤

(٤)ابن كثير، تفسير القران العظيم، ج٨،ص٣٥٥.

(٥) أخرجه الإمام أحمد (رقم : ٢٣٦٩٥) ، وقال الألباني في تخريج السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٤٢٩) : إسناده صحيح

الاخرون أو الكفار فينادى على رؤوس الأشهاد : " هؤلاء الذين كذبو على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين" [(١)].

شرح السيوطي هذا الحديث على مسلم بأن دنو المؤمن هنا هو دنو كرامة وإحسان لا دنو مسافة كنفه بفتح النون أي ستره وعفوه [(٢)].

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له فإن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه " [(٣)].

وقد ورد في الخبر أن الناس في هذه المرحلة يدعون بأسمائهم، فعن أبي الدرداء قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسمائكم " [(٤)].

إذن فالعرض : " هو أن يقرأ كتابه ليقرأه ويعرف ما كان منه من حسنة وسيئة ثم يتجاوزعن سيئاته من غير أن يقال: لم فعلت هذا ، ولم تركت هذا. فيسأل عن الحجة إذا سئل عنها لم يجدها، فكان العذاب يحق عليه، ومناقشة الحساب أن يقول: هلا فعلت هذا؟ ، أم هلا تركت هذا؟ ولم تركت هذا؟ ويطالب بالحجة ، فإذا لم يجدها عذب" [(٥)] .

كما اتضح لي من خلال استطلاعي على الكتب العقدية والأحاديث النبوية أن الحساب أنواع :

---

(١) متفق عليه، البخاري، كتاب تفسير القران، باب قوله تعلى " ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم" ، رقم : ٤٤٠٨، ومسلم ، التوبة ، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم : ٢٧٦٨.

(٢) السيوطي، عبدالرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل، بدون تحقيق، بيروت : دار الفكر، ج٦، ١٤١٤ه، ص١٠٩.

(٣) أخرجه المسلم في صحيحه، كتاب الإيمان ،باب آخر أهل النار خروجاً،رقم الحديث: ٢٧٢،ج١، ص١٧٧

(٤) القرطبي، التذكرة ، ص٢٥٨.

(٥) المصدر السابق، بتصرف

أولاً : قوم لا يحاسبون بل يدخلون الجنة بغير حساب ولا مناقشة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ (غافر: ٤٠).

ثانياً : قوم من المؤمنين يحاسبون حساباً يسيراً مستوراً وهذا ما يسمى بالعرض .

ثالثاً : عصاة الموحدين: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ (هود: ١٨).

رابعاً : من يحاسب حساباً عسيراً وهذا الحساب شديد لدرجة أنه بحد ذاته عذاب: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (الفرقان: ٢٦).

المطلب الثاني: الجدال والمعاذير

لا بد أولاً من تعريف كل من الجدال والمعاذير :

الجدل لغةً:

قال ابن فارس: " الجيم والدال واللام أصلٌ واحدٌ، وهو من باب استحكام الشيء في استرسالٍ يكون فيه، وامتدادِ الخصومة ومراجعةِ الكلام .ويقال للزّمام المُمَرِّ جَديل "(١) .

وقال ابن منظور: " جادله أي خاصمه مجادلةً وجدالاً، والإسمالجدل وهو شدة الخصومة وفي الحديث: "ما أوتي الجدل قومٌ إلا ضلو" ، الجدل مقابل الحجة بالحجة والمجادلة المناظرة والمخاصمة والمراد به في الحديث الجدل على الباطل وطلب المغالبة به لا إظهار الحق فإن ذلك محمود لقوله تعالى " وجادلهم بالتي هي أحسن". (٢) .

وورد في المعجم الوسيط أن الجدال هو النقاش والخصام (٣) .

الجدل اصطلاحاً:

---

(١) ابن فارس، معجم المقاييس، مصدر سابق، ص٥٦

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ص٦١

(٣) الجرجاني، التعريفات، مصدر سابق، ص٧٩

قال الجرجاني: " الجدل: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة، أو شبهة أو يقصد به تصحيح علامة وهو الخصومة في الحقيق. والجدال عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها" (١) .قال الراغب: " الجِدَال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة" (٢) .

محمد أبو زهرة في كتابه تاريخ الجدل: " يكو الغرض من الجدل إلزام الخصم ، والتغلب عليه في مقام الاستدلال... قد يطلق الجدل في اللغة ويراد منه المناظرة "(٣) ، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (النحل: ١٢٥) ، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

المعاذير لغةً واصطلاحاً

العذر : " فالعُذْر معروف، وهو رَوْم الإنسان إصلاحَ ما أنكِرَ عليه بكلام. يُقَال منه : عَذَرْتُه فأنا أعْذِرُه عَذْراً، والاسم العُذْر " (٤)

ورد في الصحاح " الاعْتِذارُ من الذنب . واعْتَذَرَ رجلٌ إلى إبراهيم النَخَعِيِّ، فقال له: قد عَذَرْتُكَ غيرَ مُعْتَذِرٍ، أن المَعاذيرَ يشوبُها الكذب.واعْتَذَرَ بمعنى أعْذَرَ، أي صار ذا عُذْرٍ " (٥)

وفي لسان العرب : " الحجة التي يُعْتَذر بها؛ والجمع أعذارٌ. يقال: اعْتَذر فلان اعْتِذاراً وعِذْرةً ومَعْذُرة من دِيْنِهِ فعَذَرْته، وعذرَ يَعْذُرُهُ فيما صنع عُذْراَوعِذْرةً وعُذْرَى ومَعْذُرة "(٦)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (الحاقة: ١٨).

---

(١) زيات، المعجم الوسيط، مصدر سابق، ص١١١

(٢) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القران، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة، ص١٨٩.

(٣) ابو زهره، محمد ، تاريخ الجدل، بدون تحقيق، مصر: الإسكندرية، دار الفكر، ط١ ، ١٩٣٤ه،ص٥و٦

(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، ص١٤٢

(٥) مختار الصحاح، مصدر سابق، ص٢٣٥

(٦) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ص٤٣١.

قوله تعالى : { يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية } أي تعرضون على عالم السر والنجوى ، الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم ، بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر ، ولهذا قال تعالى : { لا تخفى منكم خافية } ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ ح وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ أَخْبَرَنَاابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ (عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ) قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ قَالَ وَمَعْنَى قَوْلِهِ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ يَقُولُ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُرْوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ وَإِنَّمَا يَخِفُّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا وَيُرْوَى عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ لَا يَكُونُ الْعَبْدُ تَقِيًّا حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ كَمَا يُحَاسِبُ شَرِيكَهُ مِنْ أَيْنَ مَطْعَمُهُ وَمَلْبَسُهُ. [1]

المطلب الثالث: طلب الفداء

إن الإسلام يفتح باب التوبة فلا يغلقه في وجه من يريد التوبة والتوبة لا تكون إلا صادقة، فأما الكفار الذين يصرون على الكفر هؤلاء لا توبة لهم ولا نجاة ولن ينجيهم أن يقدموا ملء الأرض ذهباً ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة، فقد أفلتت الفرصة وأغلقت الأبواب ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَـٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ (آل عمران: ٩٠ – ٩١).

يقول تعالى متوعدا ومتهددا لمن كفر بعد إيمانه ثم ازداد كفرا ، أي : استمر عليه إلى الممات ، ومخبرا بأنه لا يقبل لهم توبة عند مماتهم ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ

---

(١) الصابوني ،محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني،بيروت : لبنان ،دار القران الكريم،الطبعة :السابعة ،١٤٠٢ ه –١٩٨١م ،ص٣٥٢٥،سنن الترمذي – كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، رقم الحديث ٤٢٥٩،،،ص٥٥١

ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ (النساء: ١٨).

يكمل تفسيره بالقول : " ولهذا قال هاهنا: (لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون) أي : الخارجون عن المنهج الحق إلى طريق الغي " [١] .

قال القرطبي: " قال قتادة وعطاء الخراساني والحسن : نزلت في اليهود كفروا بعيسى والإنجيل ، ثم ازدادوا كفرا بمحمد - صلى الله عليه وسلم – والقرآن . وقال أبو العالية : نزلت في اليهود والنصارى كفروا بمحمد - صلى الله عليه وسلم – بعد إيمانهم بنعته وصفته ثم ازدادوا كفرا بإقامتهم على كفرهم . وقيل: ازدادوا كفرا بالذنوب التي اكتسبوها . وهذا اختيار الطبري ، وهي عنده في اليهود . لن تقبل توبتهم مشكل لقوله : وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات فقيل : المعنى لن تقبل توبتهم عند الموت " [٢] .

إن الله تعالى يقرر مصائر الأعمال و الأقوال ، فمن استجاب لله فله الحسنى والذين لم يستجيبوا له يلاقون من الهول ما يود أحدهم لو ملك ما في الأرض ومثله معه أن يفتدي به وما هو بمفتد، أنما هو الحساب الذي يسوء، وإنما هي جهنم لهم مهاد، ويا لسوء المهاد: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ﴾ (الرعد: ١٨) .

قال ابن كثير : " يخبر تعالى عن مآل السعداء والأشقياء :(للذين استجابوا لربهم) أي أطاعوا اللّه ورسوله وانقادوا لأوامره وصدّقوا أخباره الماضية والآتية، فلهم الحسنى وهو الجزاء الحسن وقوله :(والذين لم يستجيبوا له) أي لم يطيعوا اللّه، (لو أن لهم ما في الأرض جميعا) أي في الدار الآخرة، لو أنه يمكنهم أن يفتدوا من عذاب اللّه بملء الأرض ذهباً ومثله معه لافتدوا به، ولكن لا يتقبل منهم، لأنه تعالى لا يقبل منهم يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً (أولئك

---

(١) القرطبي، تفسير القرطبي، المصدر السابق، ص٢٥١.
(٢) القرطبي،تفسير القرطبي، المصدر السابق، ج٤، ص١٢٤

لهم سوء الحساب) أي في الدار الآخرة، أي يناقشون على النقير والقطمير، والجليل والحقير، ومن نوقش الحساب عذب، ولهذا قال : (ومأواهم جهنم وبئس المهاد)" [١] .

إن أقصى ما يتصوره الخيال على أساس الافتراض، أن يكون للذين كفروا كل ما في الأرض جميعاً، ولكن القران الكريم يفترض لهم ما هو فوق الخيال في عالم الافتراض، فيفرض أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه، ويصورهم يحاولون الإفتداء بهذا وذلك، لينجوا به من عذاب يوم القيامة، قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " [٢] .

ويرسم مشهدهم وهم يحاولون الخروج من النار ثم عجزهم عن بلوغ الهدف، وبقاءهم في العذاب الأليم المقيم : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ (المائدة: ٣٧) .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذاباً ، لو كانت لك الدنيا كلها، أكنت مفتدياً بها، فيقول نعم، فيقول : قد أردت منك أيسر من هذا ؟ وأنت في صلب ادم أن لا تشرك بي شيئاً ولا أدخلك النار وأدخلك الجنة فأبيت إلا الشرك" [٣] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (يونس: ٥٤).

قال ابن كثير: " يقول تعالى: ويستخبرونك (أحق هو) أي المعاد بعد صيرورة الأجسام تراباً(قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين) أي ليس صيرورتكم تراباً بمعجز اللّه عن إعادتكم كما بدأكم من العدم (فإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) ، وهذه الآية ليس لها نظير في القرآن إلا آيتان أخريان، يأمر اللّه تعالى رسوله أن يقسم به على من أنكر المعاد في سورة سبأ، (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم) ، وفي التغابن (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على اللّه يسير) ، ثم

(١) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج٥، ص٦٥٨

(٢) في ظلال القران الكريم، ص٢١٢. المائدة :٣٦

(٣) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً ،رقم٢٨٠٥.

أخبر تعالى أنه إذا قامت القيامة يود الكافر لو افتدى من عذاب اللّــه بمــلء الأرض ذهبــاً، (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط {أي بالحق) وهم لا يظلمون " [١] .

(١) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ص١٨٥٥.

المطلب الرابع: تطاير الصحف

من الأهوال التي تحدث يوم القيامة ؛ تطاير صحف الأعمال؛ حيث تذهب كل صحيفة لصاحبها؛ فمنهم من يأخذ كتابه باليمين؛ ومنهم من يأخذ كتابه بشماله، ويبقى الناس في حيرة حتى تستقر كل صحيفة بيد صاحبها؛ فيستبشر المؤمنون عندما تستقر صحفهم بأيمانهم؛ بينما يزداد الكافرون والمنافقون غمًّا حينما تستقر صحفهم بشمائلهم .

أولاً: تعريف الصحف:

جمع صحيفة، والصحيفة هي الكتاب التي أحصت فيها الملائكة مثاقِيل الذَّر ومثاقيل ، فكل ما فعله الإنسان في الحياة الدنيا من الأ قوال والاعتقادات وأعمال الجوارح مسطورة ومسجلة[١] .

قال السفاريني: الصُحُف جمع صَحِيفة،وهي الكتب كتبتها الملائكة،وأحصَوا ما فعله الإنسان من سائر أعماله القولية والفعليه في الدنيا. [٢]

ثانياً: أدلة تطاير الصحف في القران والسنة:

١. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ (الإسراء: ١٣ – ١٤).

٢. قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الإسراء: ٧١)

٣. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ ﴾ (التكوير: ١٠) .

٤. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ (الكهف: ٤٩)

---

(١) انظر: تفسير جزء عم: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ص٧٢) إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م

(٢) السفاريني، لوامع الأنوار،مصدر سابق، ج٢، ص١٨٠.

٥. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الحاقة: ٢٠ – ٢٩)

قال ابن كثير: " يخبر تعالى عن سعادة من أوتي كتابه يوم القيامة بيمينه ، وفرحه بذلك، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه " هاؤم اقرءوا كتابيه " أي : خذوا اقرؤوا كتابيه ؛ لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة ؛ لأنه ممن بدل الله سيئاته حسنات . " (١)

قال الطبري: " قوله تعالى : فأما من أوتي كتابه بيمينه إعطاء الكتاب باليمين دليل على النجاة . وقال ابن عباس : أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب ، وله شعاع كشعاع الشمس . قيل له : فأين أبو بكر ؟ فقال : هيهات هيهات! زفته الملائكة إلى الجنة . ذكره الثعلبي . وقد ذكرناه مرفوعا من حديث زيد بن ثابت بلفظه ومعناه في كتاب " التذكرة " (٢)

أدلة صحائف الأعمال من السنة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت :" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :ليس أحد يحاسب إلا هلك قالت قلت يا رسول الله جعلني الله فداءك ليس يقول الله عز وجل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ (الانشقاق: ٧ – ٨) ، قال: ذلك العرض يعرضون ومن نوقش الحساب عُذِّب" (٣)

أدلة صحائف الأعمال من الإجماع

ينقل الإمام الصابوني عن عقيدة أهل السنة والجماعة في أخذ العباد للكتب ، فيقول:"ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت ، وبكل ما أخبر الله سبحانه ...من أخذ

(١) ابن كثير ، تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج٨، ٢١٤
(٢) القرطبي، التذكرة، مصدر سابق، ج ١٨،ص٢٤٨
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب فسوف يحاسب حسابا يسيرا، (ح٤٥٥٨).

الكتب بالأيمان وا لشمائل والإجابة عن المسائل ...ونشر الصحف التي فيها مثاقيل الذر من الخير والشر وغيرها. (١)

ثالثاً: طريقة استلام الكتب:

بين تعالى أن بعض الناس ي أخذ كتابه بيمينه ، وأن من أوتيه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا، ويرجع إلى أهله مسرورا، وبعضهم يستلمون كتبهم بشمائلهم مـــــــــن وراء ظهورهم، ثم يدعون بالويل والثبور.

١.المؤمن:

أ.المؤمن المطيع: يأخذ كتابه بيمينه من أمامه :قَالَ تَعَالَى:﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ الحاقة: ١٩ – ٢٣ .

ب. المؤمن العاصي "الفاسق" ، وفيها خلاف:

أولاً: جزم الماوردي بأن المشهور أن الفاسق الذي مات على فسقه دون توبة يأخذ كتابه بيمينه

ثانيا : وقال بعضهم يُعطى المؤمن العاصي كتابه بشماله من امامه.

ثالثا : وقال بعضهم بالتوقف. (٢)

٢. الكافر والمنافق.

يأخذ الكافر والمنافق الكتاب بشماله كما قَالَ تَعَالَى:﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الحاقـــة: ٢٥)، أو م وراء ظهـــره ، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ ﴾ (الانشـــقاق: ١٠)، ثم يدعون بالويل والثبور ، قال ابن عثيمين :"ظاهر أن هذا الاخـــتلاف اخـــتلاف صفات؛ فالذي يأخذ كتابه من وراء ظهره هو الذي يأخذ كتابه بشماله؛ فيأخذ بالشمال ، وتجعل يده من الخلف؛ فكونه يأخذه بالشمال؛ لأنه من أهل الشمال ، وكونه مـــن وراء ظهره؛

---

(١)أبو عثمان إسماعيل بن عبد الـرحمن الـــصابوني ،عقيدة السلف وأصحاب الحديث ، دراســـة وتحقيق: ناصر الجديع، ط١، دار العاصمة، ١٤١٥هـ، ص٢٥٧

(٢) أنظر: السفاريني، لوامع الأنوار، مصدر سابق، (٢/١٨٣).

لأنه لما استدبر كتاب الله ، وولى ظهره إياه في الدنيا؛ صـــار مـــن العـــدل أن يجعل كتاب أعماله يوم القيامة خلف ظهره ، فعلى هذا ، تخلع اليد الشمال حتى تكــون من الخلف". [١]

المبحث الثاني: الشهادات

كما يوجد محكمة عدل دنيوية تتطلب وجود شهود يشهدون ضد أو مع ، حيث تطــوي المحكمة اوراقها وتصدر حكمها وفقاً على ذلك، أيضاً هناك محمكة العدل الإلهي، إذ يوجد فــي ذلك الوقت أنواعاً من الشهود يشهدون على أعمال الإنسان وما اقترفه في الدنيا، حيث يقــيم الله تعالى على الكافرين والعصاة الشهود قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ (يونس: ٦١).

فأعظم الشهداء عليهم هـــــو ربهـــــموخالقهم، وكذلك الأرض والأيام والليالي والمال والملائكة وأعضاء الإنسان ، والحفظة الكرام، والمال، كل ذلك من الشهود.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ (غافر: ٥١ – ٥٢)

قال الطبري: "(وَيَوْمَ يَقُومُ الأشْهَادُ) يوم يقوم الأشهاد من الملائكة والأنبياء والمــؤمنين على الأمم المكذبة رسلها بالشهادة بأن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهــم، وأن الأمــم كــذّبتهم. والأشهاد: جمع شهيد، كما الأشراف: جمع شريف " [٢] .

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، محمد بن صالح بن محمــد العثيمــين (٨/ ٥٠٩) جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن، دار الثريا، الطبعة الأخيرة، ١٤١٣ هـ.

(٢) الطبري، تفسير الطبري، مصدر سابق، ج٢١، ص٤٠٢

المطلب الأول : شهادة الأعضاء والأعمال

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (يس: ٦٥)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (النور: ٢٤)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (فصلت: ٢١).

لا يكتفي حساب الله تعالى بإقامة الدليل على الإنسان يوم القيامة بصحائفه التي تكون إلى جانبه فتشهد عليه، بل يزيد بأنه سبحانه وتعالى ينطق له جوارحه كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (النور: ٢٤).

وذلك حتى يوفيهم دينهم الحق وحتى يعترفوا ويعلموا ان الله تعالى هو الحق المبين.

قال الطبري في تفسير الاية السابقة : " لهم اللعنة والغضب وباءوا بسخط من الله، وكان ذلك في أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثم نزل بعد ذلك:(وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ)... إلى قوله:(فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فأنزل الله الجلد والتوبة، فالتوبة تُقبل، والشهادة تردّ....... وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: نزلت هذه الآية في شأن عائشة، والحكم بها عامّ في كلّ من كان بالصفة التي وصفه الله بها فيها.

وإنما قلنا ذلك أولى تأويلاته بالصواب؛ لأن الله عمَّ بقوله:(إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ) كلّ محصنة غافلة مؤمنة، رماها رام بالفاحشة، من غير أن يخصَّ بذلك بعضا دون بعض، فكلّ رام محصنة بالصفة التي ذكر الله جلّ ثناؤه في هذه الآية فملعون في الدنيا والآخرة، وله عذاب عظيم، إلا أن يتوب من ذنبه ذلك قبل وفاته، فإن الله دلّ باستثنائه بقوله:(إِلا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا) على أن ذلك حكم رامي كل محصنة، بأيّ صفة كانت المحصنة المؤمنة المرمية،

وعلى أن قوله:(لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) معناه: لهم ذلك إن هلكوا ولم يتوبوا.

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (النور: ٢٤).

يقول تعالى ذكره: ولهم عذاب عظيم(يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ) فاليوم الذي في قولــه: (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ) من صلة قوله:(وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) وعُني بقوله:(يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ) يوم القيامة، وذلك حين يجحد أحدهم ما اكتسب في الدنيا من الذنوب، عند تقرير الله إيــاه بهــا فيختم الله على أفواههم، وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون

فإن قال قائل: وكيف تشهد عليهم ألسنتهم حين يختم على أفواههم؟ قيل: عني بــذلك أن ألسنة بعضهم تشهد على بعض، لا أنَّ ألسنتهم تنطق وقد ختم على الأفواه.

وقد حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا عمرو، عن درّاج، عــن أبــي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ عُرِّفَ الكَــافِرُ بعَمَلِه، فَجَحَدَ وَخَاصَمَ، فَيُقَالُ لَهُ: هَؤُلاءِ جِيرَانُك يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ، فَيَقُولُ: كَذَبُوا، فَيَقُــولُ: أهْلُــكَ وعَشِيرتُكَ، فَيَقُولُ: كَذَبُوا، فَيَقُولُ: أتَحْلِفُونَ؟" [١]

قال ابن كثير : " هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغــافلات –خُــرِّج مخرج الغالب –المؤمنات.

فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة، ولا سيما التي كانــت ســبب النزول، وهي عائشة بنت الصديق، رضي الله عنهما. [٢]

هذه الجوارح الخرساء التي لا تعقل ولا تدرك ينطقها الله تعالى بقدرتــه فتشــهد علــى صاحبها بما جنت يداه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (فصلت: ١٩ – ٢٢)

عن ابن مسعود قال: " عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ " : اجْتَمَــعَ عِنْــدَ الْبَيْتِ ثَلاثَةُ نَفَرٍ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ ، أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ قَلِيلٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ ، كَثِيرٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ ، قَــالَ أَحَدُهُمْ : أَتَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ ؟ فَقَالَ الآخَرُ : يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا ، وَلا يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَــا ، وَقَالَ الآخَرُ : إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا ، فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا ، قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَمَا

---

(١) الطبري، تفسير الطبري، مصدر سابق، ج ١٩، ص١٤٠
(٢) ابن كثير ،تفسير ابن كثير، ج٦، ص٣١

كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ " (١)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (يس: ٦٥).

في الترتيب وجوه الأول : أنهم حين يسمعون، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (يس: ٦٤): يريدون (أن) ينكروا كفرهم كما قال تعالى عنهم ما أشركنا وقالوا آمنا به فيختم الله على أفواههم فلا يقدرون على الإنكار وينطق الله غير لسانهم من الجوارح فيعترفون بذنوبهم.

الثاني : لما قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ (يس: ٦٠)، لم يكن لهم جواب فسكتوا وخرسوا وتكلمت أعضاؤهم غير اللسان ، وفي الختم على الأفواه وجوه :

أقواها ، أن الله تعالى يسكت ألسنتهم فلا ينطقون بها وينطق جوارحهم فتشهد عليهم، وإنه في قدرة الله يسير ، أما الإسكات فلا خفاء فيه ، وأما الإنطاق فلأن اللسان عضو متحرك بحركة مخصوصة فكما جاز تحركه بها جاز تحرك غيره بمثلها والله قادر على الممكنات والوجه الآخر أنهم لا يتكلمون بشيء لانقطاع أعذارهم وانتهاك أستارهم فيقفون ناكسي الرؤوس وقوف القنوط اليؤوس لا يجد عذراً فيعتذر ولا مجال توبة فيستغفر ، وتكلم الأيدي ظهور الأمور بحيث لا يسع معه الإنكار حتى تنطق به الأيدي والأبصار ، كما يقول القائل : الحيطان تبكي على صاحب الدار ، إشارة إلى ظهور الحزن ، والأول الصحيح وفيه لطائف لفظية ومعنوية.

أما اللفظية فالأولى منها : هي أن الله تعالى أسند فعل الختم إلى نفسه وقال : { نَخْتِمُ } وأسند الكلام والشهادة إلى الأيدي والأرجل ، لأنه لو قال تعالى : نختم على أفواههم وتنطق أيديهم يكون فيه احتمال أن ذلك منهم كان جبراً وقهراً والإقرار بالإجبار غير مقبول فقال تعالى : {وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ } أي باختيارها بعد ما يقدرها الله تعالى على الكلام ليكون أدل على صدور الذنب منهم الثانية : منها هي أن الله تعالى قال : { تُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ } جعل الشهادة للأرجل والكلام للأيدي لأن الأفعال تسند إلى الأيدي قال تعالى : { وَمَا عَمِلَتْهُ

(١) البخاري (كتاب تفسير القران، باب : " ومَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ.." ، رقم : ٤٥٣٨) ، ومسلم (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، رقم : ٢٧٧٥).

أَيْدِيهِمْ } [يس : ٣٥] أي ما عملوه وقال : { وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ } [البقرة : ١٩٥] أي ولا تلقوا بأنفسكم فإذا الأيدي كالعاملة ، والشاهد على العامل ينبغي أن يكون غيره فجعل الأرجل والجلود من جملة الشهود لبعد إضافة الأفعال إليها ، وأما المعنوية فالأولى : منها أن يوم القيامة من تقبل شهادته من المقربين والصديقين كلهم أعداء للمجرمين وشهادة العدو على العدو غير مقبولة ، وإن كان من الشهود العدول وغير الصديقين من الكفار والفساق غير مقبول الشهادة فجعل الله الشاهد عليهم منهم ، لا يقال الأيدي والأرجل أيضاً صدرت الذنوب منها فهي فسقة فينبغي أن لا تقبل شهادتها ، لأنا نقول في رد شهادتها قبول شهادتها ، لأنها إن كذبت في مثل ذلك اليوم فقد صدر الذنب منها في ذلك اليوم ، والمذنب في ذلك اليوم مع ظهور الأمور ، لا بد من أن يكون مذنباً في الدنيا ، وإن صدقت في ذلك اليوم فقد صدر منها الذنب في الدنيا ، وهذا كمن قال لفاسق : إن كذبت في نهار هذا اليوم فعبدي حر ، فقال الفاسق : كذبت في نهار هذا اليوم عتق العبد ، لأنه إن صدق في قوله كذبت في نهار هذا اليوم فقد وجد الشرط ووجب الجزاء ، وإن كذب في قوله كذبت فقد كذب في نهار ذلك اليوم ، فوجد الشرط أيضاً بخلاف ما لو قال في اليوم الثاني كذبت في نهار اليوم الذي علقت عتق عبدك على كذبي فيه. (١)

أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْقَاهِرِ ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْغَافِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى الْجُلُودِيُّ ، أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سُفْيَانَ ، أَخْبَرَنَا مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي النَّضْرِ ، حَدَّثَنِي هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ الأَشْجَعِيُّ ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيُّ ، عَنْ عُبَيْدٍ الْمُكْتِبِ ، عَنْ فُضَيْلٍ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَضَحِكَ فَقَالَ " : هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ " ؟ قَالَ : قُلْنَا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : " مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ ، يَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ ؟ قَالَ : فَيَقُولُ : بَلَى . قَالَ :

فَيَقُولُ : فَإِنِّي لا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلا شَاهِدًا مِنِّي . قَالَ : فَيَقُولُ : كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا ، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا . قَالَ : فَيَخْتُمُ عَلَى فِيهِ ، فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ : انْطِقِي . قَالَ : فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ . قَالَ : ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلامِ ، فَيَقُولُ : بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا ، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ"(٢)

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٣، ص٨١.

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٦٩

المطلب الثاني: شهادة الأنبياء والرسل

الشهود هو الإجراء الثالث من إجراءات الحساب، ودور الشهود تأتي بعد المساءلة التي تكون لكافة المكلفين وقد جاء ذكر هذه المساءلة عما في لائحة الأعمال ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ (الأعراف:٦ – ٧)

يشهد كل رسول على أمته وأنه قد بلغهم وبين لهم وأزال عنهم الشُبَه لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (يونس: ٤٧) .

قال القرطبي في تفسير الآية الكريمة :قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ (النساء: ٤١)

ويجوز أن يكون المعنى أنهم لا يعذبون في الدنيا حتى يرسل إليهم، فمن آمن فاز ونجا، ومن لم يؤمن هلك وعذب.دليله:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ (الإسراء: ١٥) القسط: العدل. وهم لا يظلمون: أي لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤاخذون بغير حجة. (١)

فإذا جاء الرسول عليه السلام يوم القيامة قضي بينهم، وسماه الله تعالى شهيداً كما في قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (النحل: ٨٤)" .

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (النحل: ٨٩)

أي نبعث لهم في الدنيا – وهو الرسول صلى الله عليه وسلم- من يكون شهيداً عليهم يوم القيامة.

---

(١) القرطبي ، التذكرة، ج٨ ، ص٣٤٩.

الإشكال هنا : ألا يحتمل أن المعنى : نبعث عليهم شهيداً يوم القيامة لا الدنيا؟

الجواب: لا يحتمل، لقوله تعالى: " نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ "، ولم يقل : (نبعث من كل أمة) . [١]

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " : يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ بَلَّغْتَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ! فَيُدْعَى قَوْمُهُ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : هَلْ بَلَّغَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ ، وَمَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ ، قَالَ : فَيُقَالُ لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ : مَنْ يَشْهَدُ لَكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ، قَالَ : فَذَلِكَ قَوْلُهُ : "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا" سورة البقرة آية ١٤٣ قَالَ : الْوَسَطُ : الْعَدْلُ [٢]

المطلب الثالث: شهادة محمد عليه الصلاة والسلام على الخلق والأمة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ ﴿٧٨﴾ ﴾ (الحج: ٧٨).

تدل هذه الآية الكريمة أن رسولنا صلى الله عليه وسلم يشهد على أمته يوم القيامة وهذا ظاهر ، ويدل عليه أيضاً عموم النصوص السابقة التي تدل على أن كل رسول يشهد على أمته ومنهم نبينا صلى الله عليه وسلم.

المطلب الرابع: شهادة الأرض

عن أبي هريرة قال : قرأ رسول الله صل الله عليه وسلم قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾ الزلزلة: ٤،قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال:" فإن أخبارها أن تشهد عل كل عبد وأمة بما عمل عل ظهرها، تقول: عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها"[٣]

---

(١) المطيري، اليوم الآخر في القران العظيم والسنة المطهرة، ط١، ص٣٣٨

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: [وكذلك جعلناكم أمة وسطا] (ح ٤١٢٧).

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الزلزلة،٣٣٥٠.

المطلب الخامس: شهادة الملكين

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (ق: ٢١) . يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره: "أي: ملك يسوقه إلى المحشر، وملك يشهد عليه بأعماله" لم يكن يتوقع أن يحدث له هذا بل كان غافلاً عن هذا الموقف، وعندها يبدأ الشاهد، وهو القرين الذي لازمه طيلة حياته، يكتب عليه ما يلفظ وما يعمل وهو غافل عنه، وعن دقة كتابته، يبدأ بالشهادة أمام الله تعالى : "هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ" ق: ٢٣، [١] قال مجاهد رحمه الله: "هذا كلام الملك السائق يقول: هذا ابن آدم الذي وكلتني به، قد أحضرته."[٢]

---

(١) ابن كثير، تفسير ابن كثير، مصدر سابق،ص٢٥٦.
(٢) مجاهد، تفسير مجاهد، مصدر سابق، ص٣٢٠.

الفصل الرابع
وزن الأعمال وعدالة الميزان

المبحث الأول: طبيعة الميزان وكفتاه

المطلب الأول: طبيعة الميزان في اللغة

المطلب الثاني: طبيعة الميزان وكفتاه

المبحث الثاني: وزن الأعمال ودقة الميزان

المبحث الثالث: تعدد الموازين

المبحث الرابع: أهوال الناس عند وزن الأعمال

المبحث الخامس: اختلاف العلماء في ترتيب الحوض قبل أو بعد الصراط والميزان

الفصل الرابع
وزن الأعمال وعدالة الميزان

إذا تمت محاسبة العباد على أعمالهم ، أعطى كل عبد كتابه المشتمل على أعماله كلها فأما المؤمن فيعطاه بيمينه تكرمة له ، وهو الناجي المسرور يوم القيامة.

المبحث الأول : طبيعة الميزان وكفتاه

المطلب الأول: الميزان في اللغة :

قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة:" الواو والزاي والنون : بناء يدل على تعديلٍ واستقامه: ووزنتُ الشيء وَزْناً، والزنة ، قدر وزن الشيء،والأصل وَزْنَة، ويقال قام ميزانُ النهار إذا انتصف النهار، وهذا يوزن ذاك،أي هو محاذيه ، ووزين الرأي أي معتدله، وهو راجح الوزن إذا نسبوه إلى رجاحة العقل وشدة الرأي [١] .

والميزان أصله مِوْزان، فقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها فأصبحت ميزان، والميزان المقدار، وقام ميزان النهار أي انتصف، والميزان العدل [٢]، وجمعه موازين، والميزان اسم للآلة التي يوزن بها الأشياء، أو هو ما تقدر به الأشياء خفة وثقلاً" [٣] .

بين الراغب قائلاً في المفردات:" هو اسم للآلة التي توزن بها الأشياء والوزن هو معرفة قدر الشيء " [٤]، وذكر بعض الآيات التي تدل على أنه يأتي مراداً به المعدلة في جميع ما يتحراه الإنسان من الأفعال والأقوال نحو قوله تعالى:" ﴿ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ ﴾ (الشعراء:١٨٢)

---

(١) ابن فارس،معجم المقاييس،ص٣٤٢

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٤٤٨، بتصرف.

(٣) محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ، ط١،ص٨١٩٢.

(٤) انظر: أبو القاسم، الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني،لبنان:دار المعرفة، ط١، ١٩٨٧،ص٥٢٢.

وقد يأتي الميزان بمعنى العدل في محاسبة الناس، كما قال تعالى:" ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الأنبياء: ٤٧) وهو قول مجاهد والضحاك والأعمش [١] .

وقال الجوهري في الصحاح :" أصله مِوْزان. وقام ميزان النهار، أي انتصف . ووزنت الشيء وزناً و زنَة، ويقال: " وزنتُ فلان وَ وَزَنْتُ لفلان، إلى غير ذلك من المعاني المقاربة" [٢].

يتضح مما سبق أن الميزان قد يأتي بعدة معانٍ في اللغة: قدر الشيء، أو العدل، أو المعدلة.

تعريف الميزان شرعاً :-

اختلف العلماء فيه على أقوال:

القول الأول:

يقول الماوردي في تفسيره أن الميزان:" هو موازنة الحسنات والسيئات بعلامات يراها الناس يوم القيامة" [٣]، دون أن ينبه إلى قائله.

ونرد هذا القول الفاسد بأنه لا دليل على صحة هذا التأويل من القرآن الكريم ولا من السنة النبوية الشريفة .

وفي قوله أن هناك علامات تتم من خلالها موازنة الحسنات والسيئات يوم القيامة غما هذه العلامات وما مميزاتها؟ فهو لن يذكر أي منها.

لم نجد صاحب هذا القول ولم يرد أي حجة على صحة هذا الرأي.

القول الثاني:

هو الميزان الذي أخبر الله تعالى عنه في كثير من الآيات القرآنية الكريمة ، وأخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم في الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة في اكثر من مناسبة، تنويهاً

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ص٤٤٨، ابن حجر، فتح الباري، مصدر سابق، ج١٣،ص ٥٣٩، والقرطبي، التذكرة، ج٧، ص ١٠.

(٢)الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري ،الصحاح في اللغة،تحقيق: محمد زكريا يوسف،بيروت : دار العلم للملايين، ط٤ ، ١٩٩٠، ج٧، ص٦٣.

(٣) الماوردي، تفسير الماوردي، ج٢، ص١٠.

بعظم شأنه وخطورة أمره، وهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان توزن به الأعمال خيرها وشرها يوم القيامة، وقد اخبر الله تعالى عن الميزان جملةً لا تفصيلاً في الوقت الذي فصلت وشــرحت السنة النبوية الشريفة لحقيقة الميزان، وهو قول الجمهورلظاهر الأحاديث الواردة [١]

وقال الأشعري:" قال أهل الحق في تعريف الميزان شرعاً: له لسان وكفتان، وتوزن في إحدى كفتيه الحسنات وفي الأخرى السيئات، فمن رجحت حساته دخل الجنـــة، ومـــن رجحـــت سيئاته دخل النار، ومن تساوت حسناته بسيئاته تضل الله تعالى عليه إن شاء ودخل الجنة" [٢] .

فميزان الآخرة في عقيدة أهل الحق ميزان حسي له لسان وكفتان، أحدهما نيـــرة وهـــي اليمنى المعدة للحسنات والأخرى مظلمة وهي اليسرى المعدة للسيئات [٣] .

وهذا هو مذهب ابن عباس رضي الله عنهما فقد قال فيه : " إنه ميزان له لسان وكفتان ، لا يوزن فيه إلا الأعمال " [٤].

قال القرطبي:" وقد جاء في الخبر أن الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يســـار العرش ويؤتى بالميزان فينصب بين يدي الله تعالى، كفة الحسنات النيرة عن يمين العرش مقابل الجنة، وكفة السيئات المظلمة عن يسار العرش مقابل النار" [٥]

القول الثالث: هو العدل والإنصاف:

الميزان هو العدل والإنصاف والقضاء السوي في تقدير ما به يكـــون الجـــزاء علـــى الاعمال، لأن حمل الوزن على هذا المعنى سائغ في اللغة، وذلك لأن العدل في الأخذ والإعطاء لا يظهر إلا بالكيل والوزن في الدنيا فلا يبعد جعل الوزن كناية عن العدل [٦] .

هذا قول مجاهد والضحاك ةالأعمش وإليه ذهب المعتزلة، إلا أن منهم من جوز الـــوزن بالمعنى المتعارف عليه عقلاً وأن لم يقض بثبوته كالعلاف وبشر المريسي، ومنهم من أحاله لأن

---

(١) قحطان الدوري، أصول الدين الإسلامي، بغداد: دار الحكمة، ط٤، ١٩٩٠، ص٤٧٣.
(٢) الأشعري، مقالات الإسلاميين، مصدر سابق، ج٢، ص١٦٤.
(٣) الأشعري، مقالات الإسلامينن، المصدر السابق، ج٢، ص ٧٢،٧٣.
(٤) صحيح البخاري، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وأن أعمال بنـــي آدم وقولهم يوزن، ١٢٤.
(٥) القرطبي، التذكرة، مصدر سابق، ص٣٦٤.
(٦) الإيجي، شرح المواقف، مصدر سابق، ج٨، ص ٣٢١.

الأعمال أعراض وهي لا تبقى ومما لا يمكن اعادتها، وبهذا يتبين أن قول ابن فورك رحمه الله تعالى " أنكرت المعتزلة الميزان " [١] عام على كل المعتزلة.

رد الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى على ذلك مبيناً : أن الميزان هو ما يوزن به الاعمال وهو غير العدل، كما دل على ذلك الكتاب والسنة قال تعالى:" ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ ﴾ (القارعة: ٦)، وقال تعال:" ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الأنبياء: ٤٧)، وساق بعض الاحاديث التي فيها وزن الاعمال... ثم قال:" وهذا وأمثاله مما يبين أن الأعمال توزن بموازين يبين بها رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس، فهو مما به يتبين العدل " [٢] .

الرد على من فسر الميزان بالإنصاف والعدل:

١. الميزان موصوف بالثقل والخفة وكونه معروفاً بهذين الوصفين مما لا خلاف فيه، فتفسيره بالعدل والإنصاف يجرده عن وصفية الضرورين وهذا باطل.
٢. الإنسان يوم القيامة إما أن يكون مؤمناً بأن الله تعالى عادل منزه عن الظلم وإما أن لا يكون، فإن كان معتقداً بعدله سبحانه فقد كفاه اعتقاده هذا حكم الله تعالى في أعماله الصالحة والطالحة، وهو عندئذٍ لا يحتاج إلى ميزان يزن أعماله بناءً على أن معنى الميزان هو العدل والله تعالى عدل، وهو فاسد لأن الدليل القطعي قام على إثبات نصب الميزان يوم القيامة قال تعالى:" ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الأنبياء: ٤٧)، وإن كان الإنسان غير معتقد بعدل الله تعالى واتصافه بصفات الكمال وأنه تعال منزه عن الظلم والجور فهو لا يستطيع أن يشاهد عدله يوم القيامة لأن الميزان عبارة عن العدل والإنصاف وهو أمر معنوي ، فلا بد إذن من أن يكون الميزان آلة محسوسة وحتى لا تبقى لدى الكافر أي حجة.

الرأي الراجح:

الرأي الراجح هو رأي الجمهور فالميزان هو ميزان حقيقي له لسان وكفتان توزن به أعمال العباد خيرها وشرها يوم القيامة.

---

(١) القرطبي، التذكرة، مصدر سابق، ج٧، ص١٦٥.
(٢) الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في صحيح الإعتقاد، بيروت: دار الثقافة، تحقيق أسعد تيم، ط١، ١٩٨٥، ص ٣٦٥.

المطلب الثاني: طبيعة الميزان وكفتاه:

الميزان من أمور الغيب الواجب الإيمان بها؛ وذلك لما رواه عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال: «الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالجنة والنار والميزان، وتؤمن بالغيب بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره»(١).

وهو في معتقد أهل السنة والجماعة هو ميزان حقيقي وليس مجازيًا ستوزن به حسنات وسيئات العباد يوم القيامة (٢)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الأنبياء: ٤٧)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (المؤمنون: ١٠٢ – ١٠٣)

وللميزان كفتان عظيمتان توضع في إحداهما الحسنات وفي الأخرى السيئات، وذلك لما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن الله سيخلص – أي يميز ويختار – رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا- أي كتابًا -، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة؛ فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزن، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة؛ فلا يثقل مع اسم الله تعالى شيء»(٣).

قال ابن عباس توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان (٤)، و قال البغوي:" أراد به وزن الأعمال بالميزان، وذاك أن الله تعالى ينصب ميزانا له لسان

---

(١) رواه البيهقي في شعبه ، وابن حبان (١٧٣) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٩٨).
(٢) الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية، مصدر سابق، ص٤٢٣.
(٣) رواه الإمام أحمد – الفتح الرباني – (٢٤-١٥١) ، والترمذي واللفظ له (٢٦٣٩) ، وابن ماجة (٤٣٠٠) والحاكم (٧) وابن حبان (٢٢٥) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٧٦).
(٤) انظرالبيهقي، شعب الإيمان، (٢٦٠/١)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٤٩/٧)، السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٤١٨/٣)، العمادي، أبي السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : (١٣٩/٩) .

وكفتان، كل كفة بقدر ما بين المــشرق والمغرب،"[١]، وقال البيضاوي :"الأعمال توزن بميزان له لــسان وكفتــان ينظــر إليــه الخلائق،إظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة ، كما يسألهم عن أعمالهم فتعتــرف بهــا ألــسنتهم ، وتشهد بها جوارحهم" [٢].

ولقد ورد عن الحسن [٣]، هو ميزان له كفتان ولسان [٤] ، ونقل الإمام الطحاوي ما يؤكد هذا الكلام فقال :"وثبت أن الميزان له كفتان والله تعالى أعلــم بما وراء ذلك من الكيفيات" [٥] "، وذكر في شرح قصيدة ابن القيم :" فتوزن الأعمال بميــــزان له كفتان ولسان وليس ذلك أمرا معنويا ، بل هو محسوس . والله أعلم " [٦] .

ومما يؤكد ما سبق قول الإمام الأشعري في معرض كلامه عن معتقد أهل الحق من أهل السنة :" قال أهل الحـــق: له لسان وكفتان ، توزن في إحدى كفتيه الحسنات وفى الأخــــرى الــسيئات،

فمـــــــن رجحت حسناته دخل الجنة ، ومن رجحت سيئاته دخل النار، ومن تساوت حسناته وسيئاته تفضل الله عليه فأ دخله الجنة"[٧]، ولقد ورد عن السلف في تفسيره قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ ﴾ (الرحمن: ٩)، وقال مجاهد [٨] .

ويتضح مما سبق من الأدلة الواردة من الكتاب والسنة وأقوال السلف علــى صــفة الميزان، أن له لسانا وكفتين توزن أعمال العباد الحسنات والسيئات ، وهذا هو الراجح، وهذا الذي نميل إليه ونتعبد الله به .

---

(١) انظرالبغوي، معالم التنزيل،٢١٤/١)

(٢) انظرالبيضاوي، تفسير البيضاوي (٦/٣).

(٣) الحسن بن أبي الحسن : يسار البصري الأنصاري مولاهم أبو سعيد مولى زيد بن ثابت ويقال : مـــــولى جابر بن عبد الله ويقال : مولى جميل بن قطبة بن عامر بن حديدة ويقال : مولى أبي اليسر وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وســلم.انظر: الوافي بالوفيات : صلاح الدين خليل بن خليل بن أيبك الصفدي (١٩٠/١٢) تحقيـــــــق:أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت – ١٤٢٠هــ– ٢٠٠٠م

(٤) انظرالنسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النــسفي، تفسير النسفي ، تحقيــق الشــيخ : مروان محمد الشعار،بيروت: دار النفائس، ٢٠٠٥ (٨٢/٣).

(٥)ابن أبي العز الحنفي ،شرح العقيدة الطحاوية ،(٤٧٢/١)

(٦)أحمد بن إبــراهيم بـــن عيـــسى ،توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم : تحقيق: زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الثالثة، ١٤٠٦ ،(٥٩٣/٢)،

(٧)الأشعري، مقالات الإسلاميين (٤٧٢/١)

(٨)مجاهد :(مجاهد بن وردان المدني ، من كبار التابعين ، من الطبقة السابعة ، قال عنه ابن حجر صدوق ، والذهبي ثقة) ،المزي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبــو الحجــاج المــــزي، تهذيب الكمال ، تحقيق: د. بشار عواد معروف مؤسسة الرسالة – بيروت– الطبعة الأولى ،١٩٨٠، (٢٣٩/٢٧–٢٣٨)بتصرف .

ثانيا: صفة الميزان عند المخالفين لأهل السنة والجماعة والرد عليهم :-

أنكر المبتدعة من الجهمية والمعتزلة وغيرهم الميزان، وزعموا أنه عبارةٌ عن العدل، مخالفين بذلك الكتاب والسُّنَّة، نصَّ أئمة أهل السُّنَّة والجماعة على الميزان في مصنفاتهم، وأوضحوا أنه حقٌ يجب الإيمان به، كما صنع الأئمة أحمد واللالكائي وابن أبي زمنين وابن أبي عاصم وعبد القاهر البغدادي وابن بطة العكبري وابن تيمية وابن ناصرالدين وغيرهم .

وأنكر المعتزلة البغداديون الميزان الحسي، وقالوا: إن المراد به الميزان المعنوي، وهو عبارة عن العدل، وليس هناك ميزان حسي له كفتان، ولا توضع أعمال ولا شيء، وإنما المراد العدل؛ فالله – تعالى – عادل ، ولا يخفى عليه شيء من أعما ل العباد ، ولا يحتاج إلى ميزان حسي إلا البقال والفوال، أما الرب فلا يحتاج إلى الميزان، وهذا من جهلهم وضلالهم،وهذا من الإلحاد . لأن المعتزلة يعتمدون على عقولهم؛ ولا يعتمدون على النصوص فيجعلون النصوص وراءهم ظهريا، ويعتمدون على العقول، لأن المعتزلة من :"التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "(١)، وقالوا: إن التوحيد وكذلك العدل من الأصول العقلية وأن العقل أدرك ذلك قبل مجيء الشرع ، ويقولون إن العقل كاف الإنسان يعني في التوحيد ستروا تحته معنى باطل وهو قول نفي الصفات، وخلق القرآن وأن الله لا يرى في الآخرة، والعدل ستروا تحته التكذيب بالقدر، وقالوا: هذا معروف بالعقل، وقالوا إن العقل كاف في إقامة الحجة، وأما الكتاب والسنة فهما زائدان احتياطيان، فالكتاب والسنة بمثابة الشهود الزائدين على النصاب كما لو طلب القاضي شهودا ثم تأتي بأربعة شهود يأخذ القاضي شاهدين والباقي احتياط ، فيذكرون الكتاب والسنة احتياطا والعقل كاف، وقالوا: مثل الكتاب والسنة بالنسبة للعقل كمثل المدد اللاحق بجيش والجيش مستغن عنه، مثل الاحتياطي، حتى غلا على المعتزلة في العقل وقالوا في قوله الله تعالى :" وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً" قالوا : الرسول هو العقل ومن هذا المبدأ أنكروا الميزان الحسي وقالوا: ليس هناك ميزان حسي أبداً.

لقد ذهب المعتزلة إلى أن خبر الآحاد لا يفيد اليقين ، بينما حكم العقل يقيني ، إذ هو مناط التكليف ، وردوا أخبار الآحاد في العقيدة جملة بدعوى أن العقيدة يجب أن تثبت بطريق عقلي لا بطريق ظني كخبر الواحد . بل يكفي مخالفته لما ادعوه معقولا لرده وعدم العمل به ، بل والقدح في رواته .

---

(١)انظر:الأشعري، مقالات الإسلاميين ،ج١، ص٢٧٨.

وقالوا إن المتواتر وحده هو الذي يفيد اليقين القطعي ، وإن جعلوا الحكم العقلي مقــدما عليه كذلك حين التعارض ! .

وكان من جراء ذلك أن رد المعتزلة الكثير من العقائد الثابتة عن رسول الله صـــلى الله عليه وسلم كعــذاب القبر وكالإيمان بالحوض والصراط والميزان والشفاعة (١) .

شبهة المعتزلة في تأويل الميزان :-

قالت المعتزلة : الأعمال أعراض لا تقبل الوزن ، ومثلها يوزن بميزان معنوي ، هو العدل ، وهو إقامة العدل ونفي الظلم في ذلك الموقف العظيم .

وإنما يقبل الوزن الأجسام، قالوا : والله لا يحتاج إلى الميزان، ولا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال، أما الله فلا يحتاج إلى الميزان ، هكذا المعتزلة حرفوا النصوص بأهوائهم.

يقول شارح الطحاوية " ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع ، لخفاء الحكمة عليه ، ويقدح في النصوص بقوله : لا يحتاج إلى الميزان إلا البقـــال والفوال !! وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنا . ولو لم يكن مـــن الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده ، فإنه لا أحد أحب إليه العـــذر من الله ، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين . فكيف ووراء ذلك من الحكم مــــا لا اطلاع لنا عليه "(٢).

الرد على شبهة المخالفين لأهل السنة والجماعة في طبيعة الميزان والرد عليهم:

شبهة المخالفين لأهل السنة والجماعة في صفة الميزان هو تأويلهم الميزان بالعدل .

حكى الإمام الأشعري اختلاف المسلمين في الميزان فقال : "اختلفوا في الميزان : فقال أهل الحق : له لسان وكفتان تـ وزن في إحدى كفتيه الحسنات وفي الأخــرى الــسيئات فمــن رجحت حسناته دخل الجنـ ة ومن رجحت سيئاته دخل النار" (٣)

وذكروا وجهين لوجوب التأويل:-

الأول: أن وزن الأعمال مستحيل، إذ هي أعراض، والأعراض لا توزن .

الثاني: أن قدر هذه الأعمال معلوم عند الله عز وجل ولا فائدة في الوزن .

وذهب جمهور أهل السنة والجماعة إلى إثبات الميزان الحسي كما تقدم .

---

(١)انظر : محمد عبــده، طارق عبد الحليم، المعتزلة بين القديم والحديث ، لبنــان: دار ابن حزم بيـــروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م،،(ص٨٤)

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز ، ص ٤٧٥

(٣) مقالات الإسلاميين :الأشعري،ج١،ص٤٧٢.

ويدل على هذا حديث البطاقة والسجلات، الذي سبق وفيه : "فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، ف طاشت السجلات وثقلت البطاقة ".وغيرها من أقوال السلف.

وقد أجاب جمهور أهل السنة والجماعة على الوجه الأول الذي أوجب به المعتزلة ومن وافقهم حمل النصوص الواردة على المجاز . (١)

وأما الجواب عن الوجه الثاني : أنا لا نسلم كون أفعال الله معللة بالأغراض (٢) ،ولا نسلم عدم الفائدة في الوزن . فمن فوائده وحكمه كما قال الغزالي :" أن يشاهد مقدار أعماله ويعلم

أنه مجزي بها بالعدل ، أو يتجاوز الله عنه باللطف "(٣)

وإذا بطلت الاستحالة رجع الأمر إلى جواز حمل النصوص الواردة على الحقيقة لا المجاز ويكون الترجيح بإبقاء الخبر الوارد في البطاقة والسجلات على حقيقته . وذهب إلى الإيمان والباجوري والدواني والشاطبي فريق من العلماء منهم ابن حزم الظاهري بالميزان وتفويض كيفيته إلى الله عز وجل يقول الدواني : "الميزان حق، وهو عبارة عما يعرف به مقادير الأعمال، وليس علينا البحث عن كيفيته . بل نؤمن به ونفوض كيفيته إلى الله تعالى" . (٤)

المبحث الثاني وزن الأعمال ودقة الميزان:

اختلف العلماء فيما يوزن، تبعاً لاختلاف الأحاديث الواردة فيه

[أولاً] وزن العبد:

وهو الإنسان صاحب العمل، فيوزن العبد ليظهر قدر ما فيه من إيمان بالله عز وجل، وهو رأي عبيد بن عمير حيث قال:" يؤتى بالرجل العظيم الجثة فلا يزن جناح بعوضة" (٥) ، وعن زر بن حبيش ﷺ عن ابن مسعود ﷺ أنه كان يجتني سواكًا من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ «**مم تضحكون**»؟ قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه، فقال: «**والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد**»(٦).

---

(١) انظر: أجوبة جمهور أهل السنة والجماعة على الوجه الأول ص١٠٤.
(٢) انظر : الإيجي،المواقف :عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ،ج٣، ص٥٢٤.
(٣) الغزالي، محمد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد ، ص ١٥٩ .
(٤)انظر : جلال الدين الدواني ، محمد بن أسعد الصديق، شرح العقائد العضدية ، ص (١٢٣) .
(٥) البروسي، تفسير البروسي، ج٦، ص١٠.
(٦) رواه الإمام أحمد واللفظ له –الفتح الرباني – (٣١٢/٢٢) .

[ثانيًا] وزن العمل

أي الأعمال التي توضع في كفتي الميزان وتوزن بنفسها وهو قول ابن عباس رضـــي الله عنهما والحسن البصري والسدي، وإبراهيم النخعي [١] .

وقال الحسن البصري:" إن الذي يوزن هو الحسنات والسيئات بوضع أحـــدهما فـــي كفـــة والأخرى في كفة " [٢] .

وقد جاءت أحاديث تشير إلى أن الأعمال ستجسم أمام صاحبها منذ دخوله قبره، ومن ذلك:

(١) ما رواه البراء بن عازب ﷺ عن النبي ﷺ فيما يخص مرحلة خروج روح العبد الصـــالح والتي جاء فيها قوله ﷺ «... نادى مناد من السماء: أن صدق عبدي فافرشوه من الجنـــة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يســـرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقـــول: أنـــا عملك الصالح...»[٣].

(٢) وما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفـــق نعالهم حين يولوا مدبرين، فإن كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف والإحســـان إلى الناس عند رجليه، فيؤتى من قبل رأسه، فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عـــن يمينه، فيقول الصيام: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يساره، فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجليه، فيقول فعل الخيرات من الصدقة والمعروف والإحسان إلى الناس: ما قبلي مدخل...الحديث»[٤].

أما أهم الأحاديث التي تشير إلى أن الأعمال ستجسم أمام صاحبها يوم القيامة ثـــم تـــوزن فهي:

---

(١) عبد السلام اللقاني، شرح جوهرة التوحيد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٣، ص٢٣٤.

(٢) البروسي، تفسير البروسي، ج٢، مصدر سابق، ص ١٠.

(٣) رواه الإمام أحمد واللفظ له –الفتح الرباني- (٧٤/٧) ، وأبـــو داود (٤٧٥٣) ، والحـــاكم (١٠٧) ، وابـــن خزيمة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٧٦).

(٤) رواه ابن حبان (٣١١٣) ، والحاكم (١٤٠٣) ، والطبراني في الأوسط (٢٦٣٠) ، وحســـنه الألبـــاني فـــي صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٦١).

(١) ما رواه أبو الدرداء ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة»[١].

(٢) وما رواه أبو مالك الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن -أو تملأ- ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها»[٢].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: فقوله «والحمد لله تملأ الميزان» فيه دلالة على أن العمل نفسه وإن كان عرضًا قد قام بالفاعل يحيله الله يوم القيامة فيجعله ذاتًا وتوضع في الميزان أ هـ[٣].

(٣) وما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «من احتبس فرسًا في سبيل الله إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده، فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة»[٤].

يرى ابن حجر رحمه الله تعالى أن قوله ﷺ «وروثه وبوله في ميزانه»: يريد ثواب ذلك لا أن الأرواث بعينها توزن[٥] ، بينما يرى السندي رحمه الله تعالى خلاف ذلك وأن ذلك يدل على أنه كما توزن الأعمال كذلك الأجرام المتعلقة بها[٦].

(٤) وما رواه أبو أمامة الباهلي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان -أو كأنهما غيايتان- أو كأنهما فرقان من طير صواف-، تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة»[٧] ، قال الملا علي قارئ في معنى البطلة: أي أصحاب البطالة والكسالة لطولها، وقيل: أي

---

(١) رواه الإمام أحمد-الفتح الرباني- (٧٨/١٩) ، والترمذي واللفظ له (٢٠٠٣) ، وأبو داود (٤٧٩٩) ، وابن حبان (٤٨١) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٢٦).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٧٩/٢٢) ، ومسلم واللفظ له (٢٢٣) ، والترمذي (٣٥١٧) ، وابن ماجة (٢٨٠) ، والدارمي (٦٥٣) ، وابن حبان (٨٤٤).

(٣) كتاب الفتن والملاحم – وهو النهاية – لابن كثير (٥٩/٢).

(٤) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٣١/١٤) والبخاري وللفظ له (٢٨٥٣) ، والنسائي (٣٥٨٤) ، وابن حبان (٤٦٧٣) ، والحاكم (٢٤٥٦) ، والبيهقي (١٩٥٣١).

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (٦٨/٦ ح ٢٨٥٣).

(٦) شرح سنن النسائي للسندي (٥٣٤/٦ح ٣٥٨٤).

(٧) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٦٩/١٨) ، ومسلم (٨٠٤) ، وابن حبان (١١٦) والبيهقي (٣٨٦٢) ، والطبراني في الكبير(٧٥٤٢).

السحرة لأن ما يأتون به باطل، سماه باسم فعلهم الباطل[١].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: والمراد أن ثواب تلاوتهما يصير يوم القيامة كذالك أ هـ[٢].

(٥) وما رواه عمر بن الخطاب ﷺ قال: ذكر لي أن الأعمال تباهي فتقول الصدقة: أنا أفضلكم[٣].

(٦) وما رواه أبو ذر ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ: ماذا ينجي العبد من النار؟ قال: «الإيمان بالله»، قلت: يا نبي الله مع الإيمان عمل؟ قال: «أن ترضخ – أي تعطي – مما خولك الله، وترضخ مما رزقك الله»، قلت: يا نبي الله فإن كان فقيرا لا يجد ما يرضخ؟ قال: «يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر»، قلت: إن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ قال: «فليعن الأخرق»– وهو الذي لا صنعة له – قلت: يا رسول الله أرأيت إن كان لا يحسن أن يصنع؟ قال: «فليعن مظلومًا»، قلت: يا نبي الله أرأيت إن كان ضعيفًا لا يستطيع أن يعين مظلومًا؟ قال: «ما تريد أن تترك لصاحبك من خير؟ ليمسك أذاه عن الناس»، قلت: يا رسول الله أرأيت إن فعل هذا يدخله الجنة؟ قال: «ما من عبد مؤمن يصيب خصلة من هذه الخصال، إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة»[٤].

فإذا كانت الأعمال تتكلم يوم القيامة وتتباهى في ما بينها، وتأخذ بيد صاحبها لتدخله الجنة، فلا وجه للغرابة إذا جسمت ووزنت في الميزان.

[ثالثا] وزن صحائف الأعمال

وهي التي توضع في كفتي الميزان وتوزن، وهو قول جمهور العلماء [٥]، كما قال الرازي وغيره [٦].

ويقول شارح الطحاوية :" فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال ،وثبت أن الميزان له كفتان ، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات " [٧]

وقد بوب البخاري لثبوت وزن العمل بقوله ،باب قول الله تعالى:" ونضعُ الموازينَ القسطَ ليوم القيامة" ، "وأنَّ أعمالَ بَنِي ادمَ وَقَوّلَهُم يُوّزَنّ". [١]

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا على القارئ (٦٢٧/٤ ح ٢١٢٠).

(٢) كتاب الفتن والملاحم – وهو النهاية – لابن كثير (٦٠/٢).

(٣) رواه ابن خزيمة (٢٤٣٣) ، والحاكم (١٥١٨) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٧٨).

(٤) رواه ابن حبان (٣٧٣) ، والحاكم (٢١٢) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٧٦).

(٥) الآلوسي، تفسير الآلوسي، ج٧،ص٨٢.

(٦) الرازي، تفسير الرازي، ج١٤،ص٢٨، قحطان الدوري، أصول الدين الإسلامي، بغداد، ط٢، ١٩٨٠، ص٤٧٥.

(٧) ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، :ص ٤٧٥

- أدلة وزن العامل:

وردت النصوص بإثبات أن العامل نفسه يوزن وأن العباد يوزنون يوم القيا مة فيثقلون أو يخفون بقدر إيمانهم لا بضخامة أجسامهم كما سبقت الإشارة إليه .

واستدلوا بما يلي:

أولا: من القرآن.

١. قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾ ﴾ (الكهف: ١٠٥)

وجه الدلالة : قوله،"لهم" أي للشخص نفسه ولم يقل (لأعمالهم) ولا(لصحائف أعمالهم) .

الرد : الآية لا تدل على ذلك لأن معنى :" فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا" يعني لا نقيم لهم قيمة كما تقول فلان ليس له عندي وزن أي لا قيمة له ولا اعتبار .

٢.من السنة:

يؤتى بالرجل النحيف الضعيف دقيق الساقين فإذا به يزن الجبال .

١. عن ابن مسعود أنه كان يجتني سواكا من الأراك ،وكان دقيق الساقين ،فجعلت الريح تكفؤه،، فضحك القوم منه ،فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم مم تضحكون قالوا يا نبي الله من دقة ساقيه فقال والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد" . [٢]

٢. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يؤتى بالرجل الأكول الشروب العظيم فيوزن بحبة فلا يزنها ، قال : فاقرؤوا: "فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا" (الكهف: ١٠٥)[٣] .

الرد على هذا القول:

هذا القول ضعيف ويحتاج لدراسة عميقة لأن في بعض أقوال العلماء من يفسر قول الرسول صلى الله عليه وسلم في الرجل السمين الكافر أنه لا يزن جناح بعوضة أو حبة يؤوله أن معنى هذا إشارة إلى حقارته وعدم انتفاعه بسمنه وأنه لا ثواب له.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب ونضع الموازين القسط ،رقم الحديث ٢٧٤٩.
(٢)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات ــ باب فضل التسبيح (٥٩٢٧)
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، (٥٦٨١)

يقول القرطبي رحمه الله تعالى في معنى هذا الحديث:" أنه لا ثواب لهم، وأعمالهم مقابلة بالعذاب، فلا حسنة لهم توزن في موازين يوم القيامة، ومن لا حسنة له فهو في النار"(١) .

لأن الوزن يأتي في اللغة بمعنى المقدار(٢)، ولذلك جاء في تفسير قوله تعالى:" أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا" (الكهف:١٠٥)، أي لا نجعل لهم مقداراً واعتباراً (٣) .

والميزان له كفتان فإذا وضع صاحب العمل في أحدهما فما يوضع إذن في الكفة الثانية، فإن قيل : يوضع في مقابله المؤمن الكافر، قلنا هذا مما لم يرد به دليل، وإنما جاء الدليل بوزن الأعمال.

أما حديث الرجل السمين فمعناه لا قدر ولا اعتبار عند الله تعالى يوم القيامة وأما حديث ابن مسعود رضي الله عنه فمن المعلوم ان جبل أحد على الرغم من اختصاصه بمزية عظيمة هو وسائر الجمادات مما لا يوضع في الميزان ويوزن، حيث لم يرد دليل في هذا.

إذن فالحديث جاء يوضح عظمة ابن مسعود وكبير فضله وعلو مناقبه، مستخدماً أكبر الجكادات المحسوسة مثلاً، مبالغة في البيان، وأكثر وقعاً في النفس.

قال السفاريني ، نقلا عن الشيخ مرعي في بهجته ، بعد أن أورد حديث صاحب البطاقة، قال:" ثبت بهذا الحديث الصحيح أن الموزون صحائف الأعمال ، فإن قيل : قد أخرج الشيخان عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :« إِنَّه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة ، اقرؤوا: " فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا» ، فقد صرح بأن الموزون نفس بدن الإنسان ، فالجواب أن هذا ضربه النبي صلى الله عليه وسلم مثلا الذي يغتر ببعض الأجسام ، فإن الله لا ينظر إلى الصور، وإنما ينظر إلى الأعمال والقلوب فكم من جسم وسيم وهو عند الله من أصحاب الجحيم "(٤).

٣. **أدلة وزن العمل :**

١.عن أبي الدرداء عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: " إن أثقل شيء في الميزان من خلق حسن وإن الله عز وجل يبغض الفاحش البذيء"(٥)

---

(١) القرطبي، التذكرة، مصدر سابق، ص٣٧٣.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة وزن، ج١٧،ص ١١٣٥.
(٣) البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج٣، ص٢٣٧.
(٤) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة، باب البعث والنشور، ٢٣١٤ السفاريني، لوامع الأنوار ،ج٢، ص١٨٨.

(٥)أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله ، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم ٢٠٠٢

٢. عن أبي مالك الأشعري قالَ: قالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم :"الطهور شطر الإيمان والحمدلله تملأ الميزان" [(١)]

قال ابن كثير في قوله صلى الله عليه وسلم « والحمد لله تملأ الميزان » : " فيه دلالة على أن العمل نفسه وإن كان عرضاً قد قام بالفاعل ، يحيله الله يوم القيامة فيجعله ذاتاً، يوضعفي الميزان" [(٢)]

ويقول ابن أبي العز:" وقد وردت الأحاديث أيضا بوزن الأعمال أنفسها" [(٣)]

الرد:

أن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " والحمدلله تملأ الميزان" فهو مجاز مرسل [(٤)] ، معناه أن ثواب هذه العبادة يملأ صحف الميزان، لا الميزان عينه، وهذا من باب اسناد الفعل إلى مكانه كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (الأنعام: ٦)، فإن الأنهار لا تجري من تحت الذين يستحقون الجنة، وإنما هي أمكنة للمياه الجارية، وكذا أعمال بني آدم، فإنها لا توضع في الميزان، وإنما هو مكان لوزن صحف أعمالهم[(٥)] .

أدلة وزن صحائف الأعمال:

١. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً – أي كتابًا – كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة؛ فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة؛ فلا يثقل مع

(١) ابن أبي العز، شرح الطحاوية، ص٤٧٥
(٢)ابن كثير، النهاية ص٢٢٤.
(٣)ابن أبي العز، شرح الطحاوية:(٤٧٤)
(٤) ابن كثير، تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ص٢٥٤.
(٥) علي بن محمد الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ط٤، مصدر سابق، ص٤٧٢.

اسم الله تعالى شيء»[١].

فهذا الحديث صريح في أن الذي يوضع في الميزان هو كتب الأعمال والأقوال وقد استدل به العلامة ابن أبي العز على صفة الميزان وثبوت وزن الصحف فقال:" والذي عليه السنة أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان [٢]

دلَّت هذه النصوص على أن الموزون يوم القيامة في الميزان قد يكون الأعمال، وقد يكون كتاب الأعمال وهي السجلات، وقد يكون فاعلها أي صاحب العمل من المكلفين، وإلى هذا نبَّه الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره[٣]، والعلامة ابن أبي العز الحنفي في شرحه «العقيدة الطحاوية» السلفية[٤].

وقال سماحة شيخنا العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز[٥]: «الجمع بين النصوص الواردة في وزن الأعمال والعاملين والصحائف: أنه لا منافاة بينها، فالجميع يوزن، ولكن الاعتبار في الثقل والخفة يكون بالعمل نفسه لا بذات العامل ولا بالصحيفة»[٦].

قال الحافظ القرطبي رحمه الله في كتابه «التذكرة»[٧]: قال العلماء: وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها، قال الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الأنبياء: ٤٧).

---

(١) رواه الترمذي، ٢٣٦٩.
(٢) علي بن محمد الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، مصدر سابق، ص٤٧٦.
(٣) ابن كثير، تفسير ابن كثير ، (٢٢٦/٢).
(٤) علي بن محمد الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، مصدر سابق، (ص٦٠٩-٦١١).
(٥) بينما كنت أصحح طباعة هذه الرسالة فجعت أمة الإسلام بوفاة شيخنا الإمام عبد العزيز بن باز في هذا العام ١٤٢٠هـ، فجر يوم الخميس السابع والعشرين من المحرم بمدينة الطائف وله من العمر تسعة وثمانون عامًا. فنسأل الله له الرحمة وأن يُحله الفردوس الأعلى من الجنة، وأن يخلف على الأمة فيه خيرًا، وإنَّا لله وإنا إليه راجعون.
(٦) تعليق سماحته رحمه الله على «العقيدة الواسطية» بشرح الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله (ص٧١).
(٧) القرطبي، التذكرة، مصدر سابق، (ص٣٧٧).

المبحث الثالث: تعدد الموازين

مسألة تعدد الميزان من المسائل التي يجب أن نكل علم حقيقتها إلى الله تعالى ولأنه لم يثبت بها نص قاطع، فقد صارت مسألة خلافية بين العلماء وقد ذكر الحق عز وجل في القرآن الكريم الميزان بلفظ الجمع فقال سبحانه : "وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ " (الأنبياء: ٤٧).

وجاء في السنة بلفظ الإفراد والجمع وقد ذكرنا الاحاديث بلفظ الإفراد في أدلة إثبات الميزان في السنة وكذلك لفظ الجمع، ولهذا اختلفت أقوال العلماء في ذلك، وحاصل الخلاف في هذه المسألة يرجع إلى الأقوال التالية:

القول الأول:

يجوز أن يكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله [١]

القول الثاني:

يمكن ان يكون ميزاناً واحداً عبر عنه بلفظ الجمع كما قال تعالى:" ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (الشعراء: ١٢٣)، وإنما هو رسول واحد.

القول الثالث:

أن المراد بالموازين:جمع موزون، أي الأعمال الموزونة لا جمع ميزان [٢] .

وهذا ما أشار إليه القرطبي بقوله:" أن الموازين جمع موزون، لا يستقيم مع سياق الآية، وما جاء بعدها من أوصاف، كما قال تعالى:" "وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ " (الأنبياء: ٤٧). فالقسط يأتي قطعاً للميزان لا للموزونات [٣] .

---

(١) الثعلبي، الكشف والبيان، ص٣٥٠.
(٢) القرطبي، التذكرة، مصدر سابق، ص٣٢٠.
(٣) القرطبي، التذكرة، المصدر السابق، ص٣٢١.

وقد رجح ابن حجر رحمه الله تعالى أنه ميزان واحد ،ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله، لأن أحوال القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا [١] .

وهذا ما أرجحه لأنه يمثل قول الجمهور:" والميزان حق له كفتان ولسان تـوزن فيـه صحف أعمال المكلقين" [٢] .

المبحث الرابع: أهوال الناس عند وزن الأعمال:

١. منهم من رجحت حسناته على سيئاته مثقال حبة فيدخل الجنة ..
٢. ومنهم من رجحت سيئاته على حسناته مثقال حبة فيدخل النار ..
٣. ومنهم من تستوي حسناته وسيئاته فأولئك أصحاب الأعراف وفيها نظر وأقوال وخلاف.

قال ابن عباس :"من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ، ومن زادت سـيئاته على حسناته دخل النار ، ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أهل الأعراف ، ثم يـدخلون الجنة بعد"[٣]

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : « يحاسب الناس يـوم القيامـة فمـن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار، قال :وإن الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح ،ومن استوت حسناته وسيئاته كـان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الصراط »[٤]

قال القرطبي :" من ثقلت حسناته على سيئاته ولو بصؤابة دخل الجنة ، ومـن كانـت سيئاته أثقل ولو بصؤابة دخل النار ، إلا أن يغفر الله ، ومن استوت حسناته وسيئاته فهو من أهل الأعراف وروي مثل هذا عن ابن مسعود "[٥] قال حذيفه وعبدالله بن مسعود وغيرهما من الصحابة :" يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف فمن رجحت حسناته على سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته بواحدة دخل النار، ومن استوت حسناته وسيئاته فهو من أهل الأعراف، وهذه الموازنة تكون بعد قصاص واستيفاء المظلومين حقوقهم من حسناته ، فإذا بقي شيء منها وزن هو وسيئاته" [٦]

---

(١) ابن حجر، فتح الباري ، مصدر سابق، ، ج١٣، ص٥٣٨.
(٢) ١ ١٣٨٤، ص٧٢.
(٣)الثعلبي، الكشف والبيان ج٥، ص١٥٧.
(٤)السيوطي، الدر المنثور ج٣،ص٤٦١.
(٥) ابن كثير،النهاية في الفتن والملاحم ،:ص (٢٣٠)
(٦)ابن القيم ، طريق الهجرتين وباب السعادتين ، ج١، ص٥٢٦.

أهل الأعراف

الراجح من أقوال العلماء أن أهل الأعراف الذين قصرت بهم سيئاتهم فلـــــم يــــــدخلوا الجنة ومنعتهم حسناتهم من أن يدخلوا الـ نار، يحبسون على قنطره بين الجنة والنار، إذا التفت أهل الأعراف إلى أهل الجنة سلموا علـــــــيهم، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الأعراف:٤٦) أي لم يدخل أهل الأعراف الجنة وهم يرجون رحمـ ة اللـــه ، ويطمعون أن يدخلوا الجنة، وإذا التفتوا إلى الناحية الأخرى ورأوا أهل الجحيم تضرعوا إلى الملك العلــ يم ألا يجعلهــم مــع القــوم الظـــالمين، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الأعراف: ٤٦ – ٤٧)، فحسنة تثقل ميزان العبد وتدخله الجنة وسيئة تخف ميزان العبد وتدخله النار، لذا ثبت في صحيح مسلم من حديث عن أبي ذ ررضي الله عنه،قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم:" لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو ان تلقى أخاك بوجه طلق" [١] .

الخلاصة :-

١- من ثقلت موازينه (أي رجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة بإذن الله تعالى) .

٢- من خفت موازينه (أي رجحت سيئاته على حسناته دخل النار بعدل الله تعالى له) وهذا هو العاصي الفاسق الذي ارتكب الموبقات والكبائر فرجحت كفة السيئات عنده فدخل النار .

ومن تساوت حسناته وسيئاته فهو من أهل الأ عراف الذين يقفون على سور بــــين الجنــــة والنار، لا في الجنة ولا في النار حتى يهذبوا وينقوا من ذنوبهم في نهر ثم بعد ذلك يـــــدخلون الجنة بإذن الله تعالى كما بين ذلك الطبري : عن ابن عباس قال :"الأعراف" ، ســــور بـــين الجنة والنار، وأصحاب الأعراف بذلك المكان ، حتى إذا بدالله أن يعافيهم ، انطلــق بهم إلـــى نهر يقال له :" الحياة "،حافتاه قـ صب الذهب، مكلّل باللؤلؤ ، ترابه المسك ، فألقوا فيــه حتــى تصلح ألوانهم، ويبدو في نحورهم شامـــة بيضاء يعرفون بها ، حتى إذا صلحت ألوانهم ، أتى بهم الرحمن فقال: تمنوا ما شئتم ! قال: فيتمنون ، حتى إذا انقطعت أمنيتهم قال لهم : لكم الذي

---

(١)أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء رقم ٢٦٢٦

تمنيتم ومثله سبعين مرة ! فيدخلون الجنة وفي نحورهم شامة بيضاء يـعرفون بهـا، يسمون مساكين الجنة. (١)

أعمال منجية :

إن كل عمل صالح مقبول سيكون ثوابه لا شك في الميزان، فإما يضيف لك حسنات، أو يمحو عنك سيئات أو كلاهما، وكل ذلك يثقل الميزان، ولكن هناك بعض الأعمال التي خصها الله عز وجل ونبيه ﷺ بالذكر بأن لها أجرًا عظيمًا أو ثقيلاً في الميزان، أو أنها من أحب الأعمال إلى الله تعالى، ومنها كما ورد في بحث للدكتور محمد بن النعيم بعنوان كيف تنجوا من كرب الصراط :

١. حسن الخلق

لقد أثنى النبي ﷺ على الأخلاق الحسنة وبين عظم ثوابها وفضلها في الميزان، ولذلك كان يسأل الله تعالى أحسن الأخلاق ويستعيذ من سيئها.

فعن أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذي»(٢) ، وعنه أيضا ﷺ أن رسول ﷺ قال: «أثقل شيء في الميزان الخلق الحسن»(٣) ، وفي رواية عنه ﷺ أن النبي ﷺ قال: «من أُعْطِيَ حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حُرِمَ حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير، أثقل شيء في ميزان المؤمن يوم القيامة حسن الخلق، وإن الله ليبغض الفاحش البذي»(٤).

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: ومن المقرر أن كل ما يكون مبغوضًا لله ليس له وزن وقدر؛ كما أن كل ما يكون محبوبًا له يكون عنده عظيمًا، قال تعالى في حق الكفار: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[الكهف:١٠٥]، وفي الحديث المشهور: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» (٥).

إن أكثر ما يعين على التخلق بالأخلاق الفاضلة هو الإكثار من تلاوة كتاب الله عز وجل

---

(١) جامع البيان ، للطبري(١٩١/٨) ،تفسير القران العظيم،ابن كثير،٢٨١/٢

(٢) رواه الترمذي واللفظ له (٢٠٠٢) ، وأبو داود (٤٧٩٩) ، وابن حبان (٥٦٩٣) ، والبيهقي (٢٠٥٨٧) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٣٢).

(٣) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٩–٧٨) ، وابن حبان واللفظ له(٤٨١) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٤).

(٤) رواه ابن حبان (٥٦٩٥) والبيهقي (٢٠٥٨٧) ، والبخاري في الأدب المفرد (٤٦٤) ، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٣٦١).

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا على القاري (٨٠٩/٨).

وتدبر معانيه، ومجالسة الصالحين ومصاحبتهم، وقراءة أحاديث النبي ﷺ، وكـذلك سـؤال الله تعالى أن يحسن خلقك، لما رواه ابن مسعود ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا نظر في المرآة قال: «اللهم كما حسنت خَلْقِي، فحسن خُلُقِي»[١].

وروى قطبة بن مالك ﷺ قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بـك مـن منكـرات الأخلاق والأعمال والأهواء»[٢].

واعلم بأن أكمل المؤمنين إيمانًا من كان أحسن خلقًا، حيث روى أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وإن حسـن الخلـق ليبلـغ درجـة الصـوم والصلاة»[٣].

٢. الإخلاص في القول والعمل

الإخلاص أساس كل عمل، فكلما كان العمل خالصًا لله عز وجل ثقل في الميزان ولو كـان قليلاً؛ وإذا كان مشوبًا بالرياء والسمعة خف في الميزان، وقد يصير هباءً منثورًا ولو كان كثيرًا، فالأعمال تتفاضل عند الله تبارك وتعالى بتفاضل ما في القلوب من إخلاص وحب لله عز وجل.

فعن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أرأيت رجلاً غـزا يلـتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا شيء له»، فأعادها ثلاث مرات يقول له رسول الله ﷺ: «لا شيء له»ثم قال: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا وَابْتُغِيَ به وجهه»[٤].

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى: رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبيـر تصغره النية[٥].

وقال ميمون بن مهران رحمه الله تعالى: إن أعمالكم قليلة؛ فأخلصوا هذا القليل[٦].

والأدلة في مضاعفة ثواب المخلصين كثيرة معلومة والتي منها ما يلي:

[أ] عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «سبق درهم مائة ألف درهم» قال: وكيف؟ قال: «كان لرجل درهمان فتصدق بأحدهما، وانطلق رجل إلى عُرْضِ ماله فأخذ منه مائة ألـف

---

(١) رواه الإمام أحمد – الفتح الرباني – (١٤-٢٨١) وابن حبان (٩٥٩) ، وأبو يعلي (٥٠٧٥) ، والطيالسـي (٣٧٤) ، والطبراني في الدعاء (٣٦٨) ، وأبو الشيخ الأصبهاني في أخلاق النبي واللفـظ لـه (٤٩٣) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٠٧).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٩١) ، وابن حبان (٩٦٠) ، والحاكم (١٩٤٩) ، والطبراني في لكبير (٣٦) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٩٨).

(٣) رواه البزار ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥٧٨).

(٤) رواه النسائي (٣١٤٠) ، والطبراني في الكبير (٧٦٢٨) ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٨٥٦).

(٥) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس (٧١/١)..

(٦) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٩٢/٤).

درهم فتصدق بها»[١].

فلماذا كان درهم الفقير أثقل في الميزان؟ لأنه ملك درهمين اثنين وليس ألفين كي نقول أنه يملك ما يكفيه، والدرهمان أصلاً لا يسدان حاجة، فكيف لو تصدق بأحدهما؟ ولماذا تصدق وهو محتاج؟ قد يكون بسبب إخلاصه لله عز وجل وإيثاره لمن هو أفقر منه.

ولذلك جاء عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال: «جهد المقل، وابدأ بمن تعول»[٢] ، فهو قليل المال ومع ذلك فقد تصدق قدر طاقته.

[ب] وعن صهيب الرومي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الرجل تطوع حيث لا يراه الناس تعدل صلاته على أعين الناس خمسًا وعشرين»[٣].

[ج] وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الصلاة في الجماعة تعدل خمسًا وعشرين صلاة، فإذا صلاها في فلاة من الأرض فأتم ركوعها وسجودها بلغت خمسين صلاة»[٤].

فلماذا صلى وهو بمفرده؟ ولم يذكره بالصلاة أذان مؤذن ولا صديق مرافق؟ ولماذا أتم الركوع والسجود وصلى مطمئنًا؟ لأنه أخلص عمله لله عز وجل واستشعر مراقبته له، فكان له الجزاء المضاعف.

ولذلك قال سلمة بن دينار رحمه الله تعالى: اكتم حسناتك أشد مما تكتم سيئاتك[٥].

[د] ومنها قول الشهادتين بإخلاص لحديث صاحب البطاقة سابق الذكر، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى معلقًا على هذا الحديث: هذا حال من قالها بإخلاص وصدق كما قالها هذا الشخص، وإلا فأهل الكبائر الذين دخلوا النار كلهم كانوا يقولون: لا إله إلا الله، ولم يترجح قولهم على سيئاتهم كما ترجح قول صاحب البطاقة.[٦].

[هـ] وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ «بينما كلب يطيف بركِيَّة – أي يحوم ببئر – كاد

---

(١) رواه الإمام أحمد –المسند– (٨٧١٠) ، والنسائي (٢٥٢٧) ، والحاكم (١٥١٩) ، وابن حبان (٣٣٤٧) ، وابن خزيمة (٢٤٤٣) ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٠٦).

(٢) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني – (١٦٥/٩) ، وأبو داود واللفظ له (١٦٧٧) ، والنسائي (٢٥٢٦) ، وابن حبان (٣٣٤٦) ، وابن خزيمة (٢٤٤٤) ، والحاكم (١٥٠٩) ، والبيهقي (٧٥٦١) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١١٢)..

(٣) رواه أبو يعلي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٢١).

(٤) رواه أبو داود (٥٦٠) ، وابن حبان (١٧٤٩) ، والحاكم (٧٥٣) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٧١).

(٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٢٤٠/٣).

(٦) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (١٨٢/٣) ، ومدارج السالكين لابن القيم (٣٣٢/١).

يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فسقته فغفر لها به»[١].

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: هذه سقت الكلب بإيمان خالص فغفر لها؛ وإلا فليس كل من سقت كلبًا يغفر لها. [٢].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى كلامًا جميلاً عن أهمية اقتران محبة الله عز وجل بالقلب مع قول كلمة التوحيد باللسان، حيث قال:

وليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه، كما كان عباد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن من محبة الله، والخضوع له والذل، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال، والمنع والعطاء والحب والبغض ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها، ومن عرف هذا عرف قول النبي ﷺ: «إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» وقوله: «لا يدخل النار من قال: لا إله إلا الله»، وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث التي أشكلت على كثير من الناس حتى ظنها بعضهم منسوخة، وظنها بعضهم قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي واستقرار الشرع، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأول بعضهم الدخول بالخلود، وقال: المعنى لا يدخلها خالد ونحو ذلك من التأويلات المستكرهة، والشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلاً بمجرد قول اللسان فقط، فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار، فلا بد من قول القلب وقول اللسان، وقول القلب يتضمن من معرفتها والتصديق بها ومعرفة حقيقة ما تضمنته من النفي والإثبات ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله المختصة به التي يستحيل ثبوتها لغيره، وقيام هذا المعنى بالقلب علمًا ومعرفة ويقينًا وحالاً ما يوجب تحريم قائلها على النار، وكل قول رتب الشارع ما رتب عليه من الثواب، فإنما هو القول التام كقوله: «من قال في يوم: سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه خطاياه أو غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»، وليس هذا مرتبًا على مجرد قول اللسان، نعم من قالها بلسانه غافلاً عن معناها معرضًا عن تدبرها ولم يواطئ قلبه لسانه ولا عرف قدرها وحقيقتها راجيًا مع ذلك ثوابها؛ حطت من خطاياه بحسب ما في قلبه، فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون

---

(١) رواه الإمام أحمد – الفتح الرباني – (٨٧/١٩) ، والبخاري واللفظ له (٣٤٦٧) ، ومسلم (٢٢٤٥) ، وابن حبان (٣٨٦) ، والبيهقي (١٥٥٩٧) ، وأبو يعلي (٦٠٣٥).

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (١٨٣/٣) ، ومدارج السالكين لابن القيم (٣٣٢/١).

صورة العملين واحدة، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض، والرجلان يكون مقامهما في الصف واحدًا وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض، وتأمل حديث البطاقة التي توضـع في كفة ويقابلها تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر، فتثقل البطاقة وتطيش السجلات فلا يعذب، ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النار بذنوبه، ولكن السر الذي ثقل بطاقة ذلك الرجل وطاشت لأجله السجلات؛ لما لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات، انفردت بطاقته بالثقل والرزانة، وإذا أردت زيادة الإيضاح لهذا المعنى، فانظر إلى ذكر من قلبه ملآن بمحبتك، وذكر من هو معرض عنك غافل ساه مشغول بغيرك، قد انجذبت دواعي قلبه إلى محبة غيرك وإيثاره عليك، هل يكون ذكرهما واحدًا؟ أو هل يكون ولداك اللذان هما بهذه المثابة أو عبداك أو زوجتاك عندك سواء؟ وتأمل ما قام بقلب قاتل المائة من حقائق الإيمان التـي لـم تشغله عند السياق عن السير إلى القرية، وحملته وهو في تلك الحال على أن جعل ينوء بصدره، ويعالج سكرات الموت، فهذا أمر آخر وإيمان آخر، ولا جرم أن أُلْحِقَ بالقرية الصالحة وَجُعِـلَ من أهلها، وقريب من هذا ما قام بقلب البغي التي رأت ذلك الكلب، وقد اشتد به العطش يأكـل الثرى، فقام بقلبها ذلك الوقت مع عدم الآلة، وعدم المعين، وعدم من ترائيه بعملها، ما حملهـا على أن غررت بنفسها في نزول البئر وملء الماء في خفها، ولم تعبأ بتعرضها للتلف، وحملها خفها بفيها وهو ملآن، حتى أمكنها الرقي من البئر، ثم تواضعها لهذا المخلوق الذي جرت عادة الناس بضربه، فأمسكت له الخف بيديها حتى شرب من غير أن ترجو منه جزاء ولا شـكورًا، فأحرقت أنوار هذا القدر من التوحيد ما تقدم منها من البغاء فغفر لها، فهكذا الأعمال والعمـال عند الله، والغافل في غفلة من هذا الإكسير الكيماوي، الذي إذا وضع منه مثقال ذرة على قناطير من ناس الأعمال قلبها ذهبًا والله المستعان..[١].

٣. اتباع الجنائز والصلاة عليها

ومن الأعمال العظيمة الأجر التي يزيد ثقلها في ميزان العبد على جبل أُحُد؛ اتباع الجنـازة والصلاة عليها.

فعن أُبَي بن كعب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من تبع جنازة حتى يصلي عليها ويفرغ منها فله قيراطان، ومن تبعها حتى يصلي عليها فله قيراط، والذي نفس محمد بيده لهـو أثقـل فـي ميزانه من أُحُد»[٢].

---

(١) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية (١/٣٣٠) ، وتهذيب مدارج السالكين لعبد المنعم العزي (صفحة ١٨٧).

(٢) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني – (٧/١٩٨) والبخاري (٤٧) ، وأبو داود (٣١٦٨) ، والبيهقي.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان»، قيل: وما القيراطان؟ قال: «مثل الجبلين العظيمين»، – قال أحد رواة الحديث – وكان ابن عمر يصلي عليها ثم ينصرف، فلما بلغه حديث أبي هريرة قال: لقد ضيعنا قراريط كثيرة[1].

وهناك صنف من الناس يضيعون عليهم ثواب هذه القراريط العظيمة على الرغم من مجيئهم إلى المقبرة، لأنهم لا يشهدون دفن الجنازة، وإنما يصفون طوابير في مكان العزاء، انتظارًا لتعزية أهل الميت قبل تزاحم الناس عليهم.

٤. قيام الليل ولو بعشر آيات

فعن فضالة بن عبيد وتميم الداري رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من قرأ عشر آيات في ليلة كتب له قنطار، والقنطار خير من الدنيا وما فيها، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك عز وجل: اقرأ وارتق بكل آية درجة، حتى ينتهي إلى آخر آية معه، يقول الله عز وجل للعبد: اقبض، فيقول العبد بيده: يا رب أنت أعلم، يقول: بهذه الخلد وبهذه النعيم»[2].

قراءة هذه العشرة الآيات يكون أثناء قيام الليل – والعلم عند الله تعالى – لما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول لله ﷺ: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كُتِبَ من القانتين، ومن قام بألف آية كُتِبَ من المقنطرين»[3].

وأية نافلة بعد صلاة العشاء هي من قيام الليل، وكلما أخرت هذه الصلاة كان الأجر أعظم، فلا تحرم نفسك من هذا الفضل العظيم والعمل اليسير، ولو أن تقتصر على أداء السنة الراتبة والشفع والوتر.

٥.الصدقة

الصدقة من أفضل القربات التي يستثمرها العبد عند ربه عز وجل، فهي من الأعمال التي ينميها الله عز وجل لصاحبها ولا يدعها كما هي، وهذا يثقل الميزان كثيرًا، قال الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (البقرة:٢٧٦).

وروى أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه – وهو المهر

---

(١) رواه الإمام أحمد – الفتح الرباني – (١٩٨/٧) ، والبخاري (١٣٢٥) ، ومسلم واللفظ له (٩٤٥) ، والترمذي (١٠٤٠) ، والنسائي (١٩٤٠) ، وابن ماجة (١٥٣٩) ، وابن حبان (٣٠٨٠).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٢٥٣) ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦٣٨).

(٣) رواه أبو داو اللفظ له (١٣٩٨) ، وابن حبان (٢٥٧٢) ، وابن خزيمة (١١٤٤) ، والدارمي (٣٤٤٤) ، والحاكم (٢٠٤١) ، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب : حسن صحيح (٦٣٩).

– حتى تكون مثل الجبل»[١].

قال النووي رحمه الله تعالى نقلا عن المازري: وقد قيل في تربيتها وتعظيمها حتى تكون أعظم من الجبل، أن المراد بذلك تعظيم أجرها وتضعيف ثوابها، قال: ويصح أن يكون على ظاهره وأن تعظم ذاتها ويبارك الله تعالى فيها ويزيدها من فضله حتى تثقل في الميزان، وهذا الحديث نحو قول الله تعالى ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾.[٢].

ولذلك لا تحقر ما تخرجه لنفسك صدقة؛ لأن الله تعالى سينميه لك ولن تجده يوم القيامة بهذا القدر، فإن بعض الناس قد يطلب منه الصدقة فلا يتوفر لديه إلا القليل، فيخجل أن يقدم هذا القليل، فيمتنع عن الصدقة، وما علم أن ما سيقدمه سينميه ربه عز وجل ويضاعفه أضعافًا كثيرة حتى يصبح الذي قدره تمرة، نحو جبل.

لذلك كانت أمنية المقصر عند الموت؛ أن يؤخر أجله لكي يتصدق، لعله أيقن بعظم ثواب الصدقة أو بعظم عقاب المفرط فيها، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (المنافقون: ١٠)

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: إن يوم القيامة ذو حسرات، وإن أعظم الحسرات غدًا أن يرى أحدكم ماله في ميزان غيره، أو تدرون كيف ذاكم؟ رجل آتاه الله مالاً، وأمره بإنفاقه في صنوف حقوق الله، فبخل به، فورثه هذا الوارث، فهو يراه في ميزان غيره، فيا لها عثرة لا تقال وتوبة لا تنال[٣].

وأخلص في هذه الصدقة ولا تنتظر عليها شكرًا ليزداد أجرك بإخلاص نيتك، قال عون بن عبد الله رحمه الله تعالى: إذا أعطيت المسكين شيئًا فقال: بارك الله فيك، فقل أنت: بارك الله فيك، حتى تخلص لك صدقتك.

وكان عبد الرحمن بن حبيب رحمه الله تعالى يؤتي بالطعام إلى المسجد، فربما استقبلوه به في الطريق فيطعمه المساكين فيقولون: بارك الله فيك، فيقول: وبارك الله فيكم، ويقول: قالت عائشة رضي الله عنها: إذا تصدقتم ودعي لكم، فردوا حتى يبقى لكم أجر ما تصدقتم [٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني – (٤٤/٩) ، والبخاري واللفظ له (١٤١٠) ، ومسلم (١٠١٤) ، والترمذي (٦٦١) ، والنسائي (٢٥٢٥) ، وابن ماجة (١٨٤٢) ، وابن حبان (٣٣١٦) ، والدارمي (١٦٧٥) ، وابن خزيمة (٢٤٢٦) ، والحاكم (٣٢٨٣)..

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٩٩/٧ ح ١٠١٤).

(٣) أبي نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٤٥/٢).

(٤) المرجع السابق (١٩٢/٤).

أفضل الصدقات

وأفضل الصدقات يتوقف ثوابها على حال المتصدق من جهة، وعلى نفعها من جهة أخرى، أما من حيث حال المتصدق، فإن الصدقة يعظم ثوابها عندما يخرجها صاحبها في حال صحته قبل مرضه أو دنو أجله، وأن يكون ذلك من غني لا يفضي إلى فقر، أو من رجل قليل المال فيتصدق

قدر جهده وطاقته.

(١) فقد روى أبو هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجرًا؟ «أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم؛ قلت: لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان»(١).

ولذلك قال ميمون بن مهران رحمه الله تعالى: لئن أتصدق بدرهم في حياتي أحب إليَّ من أن يتصدق عني بعد موتي بمائة درهم(٢).

(٢) وروى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول»(٣) ، أي أفضل الصدقة ما وقع بعد أن يستبقى المتصدق لنفسه ولمن يعول قدر الكفاية بحيث لا يصير محتاجًا بعد صدقته إلى أحد.

(٣) وروى عبد الله بن حبشي الخثعمي ﷺ أن النبي ﷺ سئل: أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان لا شك فيه، وجهاد لا غلول فيه، وحجة مبرورة»، قيل: فأي الصلاة أفضل؟ قال: «طول القنوت»، قيل: فأي الصدقة أفضل؟ قال: «جهد المقل»، قيل: فأي الهجرة أفضل؟ قال: «من هجر ما حرم الله عز وجل»، قيل: فأي الجهاد أفضل؟ قال: «من جاهد المشركين بماله ونفسه»، قيل: فأي القتل أشرف؟ قال: «من أهريق دمه وعقر جواده»(٤) ، ومعنى جهد

---

(١) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٨١/١٥) ، والبخاري واللفظ له (١٤١٩) ، ومسلم (١٠٣٢) ، وأبو داود (٢٨٦٥) ، والنسائي (٣٦١١) وابن ماجة (٢٧٠٦) ، وابن حبان (٣٣١٢) ، وابن خزيمة (٢٤٥٤) ، والبخاري في الأدب المفرد (٧٧٨).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٨٧/٤).

(٣) رواه الإمام احمد –الفتح الرباني – (١٧-٦١) ، والبخاري (١٤٢٦) ، ومسلم (١٠٣٤) ، وأبو داود (١٦٧٦)، والنسائي (٢٥٤٤) ، والدارمي (١٦٥٣) ، وابن حبان (٣٣٤٥) ، والبخاري في الأدب المفرد (١٩٦).

(٤) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢٤/١٤) ، والنسائي واللفظ (٢٥٢٦) ، وأبو داود (١٤٤٩) ، وابن حبان (٣٣٤٦) ، وابن خزيمة (٢٤٤٤) ، والحاكم (١٥٠٩) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٣١٨).

المقل؛ أي ما يعطيه المقل على قدر طاقته.

وقد روى الحسن قال: قال رجل لعثمان بن عفان ﷺ: ذهبتم يا أصحاب الأموال بالخير؛ تتصدقون وتعتقون وتحجون وتنفقون، فقال عثمان: وإنكم لتغبطوننا، وإنا لنغبطكم؛ قال: فوالله لدرهم ينفقه أحد من جهد، خير من عشرة آلاف درهم غيض من فيض.اهـ[١].

وأما ما يتعلق بمدى نفعها؛ فيختلف ذلك من وقت إلى آخر، فكلما عظمت حاجة الناس لها عظم ثوابها، ولو كان المحتاج لها رحمًا مخاصمًا غير مرغوب فيه.

فعندما عظمت حاجة الناس إلى الماء أوصى ﷺ من سأله عن أفضل الصدقات بسقي الماء، وعندما احتاج المجاهدون إلى الدعم المالي أوصى ﷺ من سأله عن أفضل الصدقات بالإنفاق في سبيل الله.

(١) فقد روى حكيم بن حزم ﷺ أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن الصدقات: أيها أفضل؟ قال: «على ذي الرحم الكاشح»[٢]، وهو الذي يضمر العداوة[٣].

(٢) وروى سعد بن عبادة ﷺ قال: قلت: يا رسول الله إن أمي ماتت، فأي الصدقة أفضل؟ قال: (الماء)، فحفر بئرًا وقال: هذه لأم سعد[٤].

وروى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال «ليس صدقة أعظم أجرًا من ماء»[٥].

(٣) وروى أبو أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصدقات ظِلُّ فُسْطَاط في سبيل الله، وَمَنِيحَةُ خادم في سبيل الله، أو طَرُوقَةُ فَحْلٍ في سبيل الله»[٦].

والمعنى أن أفضل الصدقات أن يمنح المجاهد في سبيل الله خيمة يستظل بها، أو عبدًا يخدمه، أو ناقة – تجاوز سنها ثلاث سنين صلحت لطرق الفحل – ليركبها.

فعلى المسلم الفطن أن يتحرى حاجات الفقراء الملحة في كل موسم ويبادر إلى تقديمها لهم ليزداد ثوابه ويثقل ميزانه.

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم الجوزية (١٤٨/١).

(٢) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٥٣/١٩)، والدارمي (١٦٧٩)، وابن خزيمة (٢٣٨٦)، والحاكم (١٤٧٥)، والطبراني في الكبير (٤٠٥١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٩٣).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٣٨/٢).

(٤) رواه أبو داود (١٦٨١)، والنسائي (٣٦٦٤)، وابن ماجة (٣٦٨٤)، وابن حبان (٣٣٥٣)، وابن خزيمة (٢٤٩٦)، والبيهقي (١٢٤١١)، والحاكم (١٥٣٠)، والطبراني في الكبير (٥٣٧٩)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٦٢).

(٥) رواه البيهقي في شبه (٣٣٧٨)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حسن لغيره (٩٦٠).

(٦) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٧٢/٩)، والترمذي واللفظ له (١٦٢٧)، والحاكم (٢٤٥٢)، والطبراني في الكبير (٧٩١٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢٤٠).

المبحث الخامس: اختلاف العلماء في ترتيب الحوض هل هو قبل الميزان والصراط أو بعده

اختلفت الروايات بين العلماء في تحديد موقع الحوض هل هو قبل الصراط أم هو بعد الصراط، وهل هو بعد الميزان أم في الجنة، والسبب في هذا الخلاف هو عدم ورود نص قطعي يفصل الاحتمالات، لذلك استنبط العلماء من بعض الأحاديث أن الحوض يكون في الموقف حتماً قبل الصراط، وبعضهم رأى أنه بعد الصراط .

استدل القائلون بأن الحوض قبل الصراط بما أورده الإمام البخاري في صحيحه عن سيدنا أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" بينا أنا قائم على الحوض إذا زمرة –أي جماعة– حتى إذا عرفتهم خرج رجل – أي ملك– من بيني وبينهم، فقال لهم: هلم، فقلت إلى أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: أنهم قد ارتدوا على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة أخرى حتى إذا عرفتهم، خرج من بيني وبينهم رجل، أي ملك، فقال لهم: هلم، فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم" (١).

قال القرطبي في التذكرة:" للنبي صلى الله عليه وسلم حوضان: أحدهما قبل الصراط . والثاني في الجنة، وكلاهما يسمى كوثراً على ما يأتي والكوثر في كلام العرب : الخير الكثير. واختلف في الميزان والحوض أيهما قبل الآخر، فقيل الميزان قبل وقيل الحوض.
وبما أن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم، فيقدم قبل الصراط والميزان (٢) .

قال ابن حجر العسقلاني:" فغاية ما يؤخذ من كلام القرطبي أن الحوض يكون قبل الصراط، فإن الناس يردون الموقف عطاشاً، فيرد المؤمنون الحوض ويتساقط الكفار النار، بعد أن يقولوا ربنا عطشنا، فترفع لهم جهنم كأنها سراباً فيقال: ألا تردون فيظنونها ماء فيتساقطون فيها(٣).

والاعتبار الثاني الذي قدم الحوض لأجله هو أنه ثبت في الحديث الصحيح أنه يطرد قوم ويذادون عن الحوض، ولو كان الورود على الحوض بعد الوزن، لعرف الذين خفت موازينهم أنهم لا يردون على الحوض فلا يردون، فلما وردوا على الحوض وطردوا دل على أنه قبل الميزان .

---

(١) صحيح البخاري، ١١/ ٤٦٥.
(٢) العلامة البيهقي، البعث والنشور، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٩٨٦،ص٦٢.
(٣) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ص٣٥٦

وهو الراجح: فهو قول أكثر أهل العلم ، ولأن المناسب أن يكون الحوض قبل الميزان، فإن الله يكرم نبيه صلى الله عليه وسلم بهذا الحوض حتى يشرب منه المؤمنون فلا يظمأون ولا يقلقون في شدة هول الموقف.

المسألة الثانية: مكان الحوض بالنسبة للصراط

اختلف العلماء في مكان الحوض بالنسبة للصراط وأيهما يكون قبل الآخر ؟

القول الأول: الحوض بعد الصراط

ذهب إلى هذا القول جمهرة من العلماء أمثال الإمام البخاري والقاضي عياض ، وهؤلاء قالوا إن المرور على الصراط أولاً ، ثم بعد المرور على الصراط يورد الحوض، واختار هذا ابن حجر والسيوطي واحتج هؤلاء بحديث النضر بن أنس السابق، فإن ظاهره يقتضي الترتيب.

والعلماء الذين يرون أن الحوض بعد الصراط يقولون، مقتضي الأمر أن تكون أرض الحوض قريبة من الجنة، فيصب الميزابان من الكوثر الذي في الجنة إلى أرض الحوض، وهذا يقتضي أن الحوض بعد الصراط.

ومن العلماء الذين اختاروا أن الحوض يكون بعد الصراط الإمام البخاري ، كما أشار إلى ذلك ابن حجر بقوله:" وإيراد البخاري لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة وبعد نصب الصراط إشارة مه إلى أ الورود على الحوض يكون بعد نصب الصراط والمرور عليه. [١]

قال السفاريني: " ورجح القاضي عِياض أن الحوض بعد الصراط ، وأن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار" [٢]

القول الثاني: الحوض قبل الصراط

ذهب إلى هذا القول جمهرة من العلماء كابن كثير [٣] ، وابن القيم [٤] ،وفي أحد القولين القرطبي [٥] ، وقد ا ستدل أصحاب هذا القول على صحة ما يذهبون إليه بحديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : "ليردن علي ناس من أصحابي الحوض حتى عرفتهم

---

(١)ابن حجر، فتح الباري (١١/٤٦٦)
(٢)السفاريني ،لوامع الأنوار (٢/١٩٥).
(٣)انظر: : ابن كثير ،النهاية في الفتن والملاحم (٤١٣/ ١)
(٤)انظر:ابن قيم ، زاد المعاد في هدي خير العباد: (٣/٥٩٦).
(٥)انظر: القرطبي،التذكرة، (ص٧٠٣)

اختلجوا دوني فأقول أصيحابي فيقول لا تدري ما أحدثوا بعدك" [١] ، وحديث سهل بن سعد الأنصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" **أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ ، مَنْ وَرَدَ عَلَيَّ شَرِبَ ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا ، أَلا لا يَرِدُونَ عَلَيَّ أَقْوَامٌ يَعْرِفُونَنِي وَأَعْرِفُهُمْ ، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ** " وزاد أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فأقول :إنهم مني ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول سحقاً سحقاً لمن غيَّرَ بعدي". [٢]

الشاهد في هذين الحديثين منع المرتدين على أعقابهم وأنهم يذادون ويطردون عن الحوض، فإن كان هؤُلاءِ الذين يذادون عن الحوض من أهل النار، فكيف نجوا من الصراط ولم تختطفهم الكلاليب، ثم بعد ذلك يذادون ويطردون عن الحوض ويقال لهم سحقا سحقا، أو بعدا بعدا؟ فهذا يقتضي أن يقالَ: إن الحوض قبل الصراط.

قال ابن كثير: " إن قال قائل فهل يكون الحوض قبل الجواز على الصراط أو بعده قلت: أن ظاهر ما تقدم من الأحاديث يقتضي كونه قبل الصراط، لأه يذاد عنه أقوام يقال عنهم إنهم لم يزالوا يرتدون على أعقابهم منذ فارقتَهُم ، فإ كان هؤلاء كفاراً فالكافر لا يجاوز الصراط، بل يكب على وجهه في النار قبل أن يجاوزه، وإن كانوا عصاة فهم من المسلمين فيبعد حجبهم عن الحوض لا سيما وعليهم سيما الوضوء.

وقد قال صلى الله عليه وسلم : " غُرًّاً مُحَجلِينَ من اثار الوُضُوء" [٣] ، ثم من جاوز لا يكون إلا ناجياً مسلماً فمثلُ هذا لا يُحجَبُ عن الحوض فالأشبه والله أعلم أن الحوض قبل الصراط"[٤]

وقال ابن القيم معلقاً على حديث أبي هريرة السابق قال: " فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط لأن الصراط إنما هو جسر ممدود على جهنم فمن جازه سلم من النار" [٥] .

الجمع بين القولين : وقد جمع بين القولين مجموعة من العلماء جمعوا بين الروايات التي تفيد أن الحوض بعد الصراط ، والروايات التي تفيد أنه قبله ، قال السفاريني: " ويحتمل الجمع بأن يقع الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم وتأخيره بعده لاخرين بحسب ما عليهم من الذنوب والأوزار حتى يُهَذَّبوا على الصراط ، ولعل هذا أقوى" [٦]

---

(١)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض (ح٦٠٩٦)
(٢)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض (ح٦٠٩٧)
(٣)أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة ، ح ٣٦٤
(٤)ابن كثير، النهاية في الفتن والملاحم،ج١ ، (٤١٣-٤١٢)
(٥)انظر: ابن القيم ،زاد المعاد،ج٣، ٥٩٦.
(٦)السفاريني، لوامع الأنوار،ج٢،ص١٩٥.

، وقد امتدح الشيخ مرعي – كما نقل عنه السفاريني– هذا الجمع بقوله : " وهـذا فـي غايـة التحقيق جامع للقولين وهو دقيق". [١]

القول الثالث: أن للنبي محمد صلى الله عليه وسلم حوضين حوضا قبل الصراط وحوضا بعده :

هناك فريق ثالث من أهل العلم يرى أن للنبي صلى الله عليه وسلم حوضين ، حوضا قبل الـصراط وحوضا بعده، و يسمى كل من الحوضين كوثرا، وهذا ما ذهب إليه القرطبي وغيـره وصححه وقدمه على الأقوال الأخرى فقال:"والصحيح أن للنبي صلى الله عليه وسـلم حوضين: أحـدهما في الموقف قبل الصراط، و الثاني في الجنة و كلاهما يسمى كوثرا "[٢]

فيحتمل أن الحوض ممتد؟ غاية في الاتساع عرضه وطوله سواء، كل زاوية مـن زواياه مسيرة شهر ، وأن الصراط أقصر منه بحيث يكون طرف الحوض قبل بدايـة الصراط، طرفه الأول ، وطرفه الثاني بعد نهاية الصراط ، فيتحمـل أن يـشرب منـه أناس قبل الصراط وأناس بعده.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ (ص: ٤٢).

القول الرابع: التوقف عن التعيين وعدم الخوض فيها

قال بعض العلماء إن هذه المسألة يجب الإمساك فيها، لأن هذه أمـور غيبيـة لا يثبت منها شيء إلا بدليل، وهذه المسألة ليس فيها نص قاطع، وهي تحتمل هذا وذاك، ولهذا لو قيل في هذه المسألة: إن الأرجح فيها هو التوقف، وأن يرد علم ذلك إلـى الله سبحانه وتعالى أسلم، وهذا ما أكده العربي: فقال: " فهذا قَفوُ ما لا سبيل إلى علمه ، لأن هذا أمر لا يـدرك بنظـر العقل ، ولا بنظر السمع ، وليس فيه خبر صحيح، فلا سبيل إلى معرفته " [٣]

وقال صاحب كتاب تبسيط العقائد الإسلامية :"هذا ولم يقم دليل صريح على شـيء مما يذكر . فالواجب اعتقاده هو أن للنبي صلى الله عليه وسـلم حوضا تعدد أو اتحد ، تقدم على الـصراط أو تأخر. ولا يضرنا جهل ذلك، والله الموفق."[٤]

---

(١)المصدر السابق (٢/١٩٥)
(٢)القرطبي ،التذكرة، (ص٧٠٢)
(٣)ابن العربي،أحكام القرآن،ج٣، ص٢٠١.
(٤)انظرحسن أيوب، تبسيط العقائد الإسلامية: (ص٢٣٠) .

الأرجح في زمن الحوض:

بعد النظر في أقوال العلماء وما استندوا إليه من الأدلة ، يرجح قول جمهـــور أهل العلم على أنَّه قبل الصراط وليس بعد الصراط ؛ لأن الأحاديث التي فيها صـــفة الحوض فيها ذُكِـــرَ أنَّ أناساً يُذَادُون عنه ويدفعون ويؤخذ بهم إلى النار.

الفصل الخامس

الصراط

المبحث الأول: الصراط لغة واصطلاحا

المبحث الثاني: أدلة الصراط من القرآ الكريم والسنة النبوية

المبحث الثالث: الورود على الصراط

المبحث الرابع: صفة الصراط

المبحث الخامس: أحوال الناس على الصراط وأشكال السقوط عنه

المبحث السادس: أسباب النجاة من المرور على الصراط

المبحث السابع: المنكرون للصراط وردود أهل الحق عليهم.

الفصل الخامس

الصراط

أمر غفل عنه بعض المسلمين، فأصبحوا ممن يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون، وإن العلم بكرب الصراط هو من الأمور الهامة الواجب التفكير فيه بجد والوجل من مغبته، إذ لا مفر من ولوجه والمرور عليه، وقد أقسم الرب جل وعلا أن يورد عباده النار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ (مريم: ٧١ – ٧٢) فورود المسلمين للنار؛ المرور على الجسر بين ظهرانيها، وورود المشركين أن يدخلوها [(١)].

إن مسألة الصراط من المسائل الغيبية المهمة التي يجب الإيمان بها، لثبوتها بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، واعتقاد ما أثبتته النصوص فيها هو الحق، دون اللجوء إلى التأويلات في النصوص التي أثبتتها، لاستبعادها في عقول بعض الناس، بل نؤمن بها كما جاءت في الشرع من غير تأويل، مجتنبين ما صار إليه أهل البدع وغيرهم ممن نفاها بالكلية، أو أولها بالتأويلات البعيدة عن الصواب، فإن هذا ليس من الإيمان به،ولا من التسليم بما جاء به الحق فيها، ولا هو بالأمر الذي صار عليه عامة السلف.

المبحث الأول: الصراط لغة

قال ابن منظور: "الصراط والسراط والزراط؛ الطريق" [(٢)].

والصراط أصله السراط انقلبت سينه مع الطاء صاداً لقرب مخرجها [(٣)] ، والسرط والزرط والابتلاع [(٤)] ،وسمي الطريق صراطاً لابتلاعه من يمشي فيه.

وهوالطريق مأخوذ من سرط بمعنى ابتلع وتبدل السين ضاداً فيقال الصراط وسمي بذلك لاسترطة السبلة أي ابتلاعه المرة [(١)] واتساعه لمن يسيرون.

---

(١) نقل حافظ حكمي رحمه الله تعالى في معارج القبول (٨٥٣/٢) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بأن كل الناس سيردون النار، فورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها، وورود المشركين أن يدخلوها.

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٣٤٠. وانظر: الرازي، مختار الصحاح، ص٣٦١. وانظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،ص٣٠٦.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٣٤٠.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ج٧، ص٣٠٦.

وقال الزبيدي في (تاج العروس) : السراط بالكسر: السبيل الواضح، وبه فسر قوله تعـالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ (الفاتحة: ٦) أي ثبتنا على المنهاج الواضح كما قاله الأزهري [٢]

قال الفيروز آبادي: " السراط بالكسر: السبيل الواضح لأن الذاهب فيه يغيب غيبة الطعام المسترط، والصاد أعلى للمضارعة، والسين الأصل وقول من يقول بالزاي المخلصة (الزراط) خطأ خطأ" [٣] .

وقال الزمخشري:" الصراط: الطريق وأصله بالسين من الاستراط بمعنى الابتلاع كأن الطريق يبتلع السالك" [٤] .

وقال يحيى بن سلام في (التصاريف) :الصراط على وجهين :

١. الطريق ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٨٦ ﴾ (الأعراف: ٨٦) يعني بكل طريق .

٢. الدين وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ (الفاتحة: ٦)، يعني الدين المستقيم [٥]

فالصراط بمعناه اللغوي هو الطريق أو طريق الهداية والارشاد ، ويجدر الإشارة بالذكر أن السلف يفسرون الصراط بمعناه اللغوي بالوقت الذي لا يغفلون فيه عن حقيقته الشرعية.

الصراط اصطلاحاً: ذهب جمهور علماء التفسير والعقيدة إلى أنه : جسر ممدود على جهنم يرده الأولون والآخرون، أدق من الشعر وأحد من السيف، مدحضة مزلة، وطريق مظلم محرق، على حافتيه خطاطيف وكلاليب من نار معلقة وحسكة مفلطحة، يجتازه المسلمون وأتباع الرسل، وقيل إن طوله مسيرة خمسة عشر ألف سنة، يعبره أهل الجنة ويزل فيه أقـدام أهـل النـار بقـدر أعمالهم[٦]

---

(١) انظر: المصباح المنير، ج١، ص٤٦٩.
(٢) الزبيدي، تاج العروس، مصدر سابق، ج١٩، ص٣٤٥.
(٣) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط١، بيروت: طبعة دار الشعب، ج٢،ص٨١٤، باب الصاد .
(٤) الزمخشري، الكشاف، ط١، بيروت: دار الفكر، ج١، ص١١.
(٥) يحيى بن سلام، التصاريف، مصدر سابق، ج١٠٤، ص٣٣٠.
(٦) انظر: الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية، ص٤٦٩. وانظر: التفتازاني، شرح المقاصد، ج٢، ص١٦٤.

يمر من فوقه الناس جميعاً للوصول إلى مستقرهم الأخير والمرور على الصراط عـام لجميع الناس الأنبياء والصديقين والمؤمنين والكفار ومن يحاسب ومن لا يحاسب(١) ومن استقام على صراط الله الذي هو دين الحق في الدنيا استقام على هذا الصراط في الآخـرة والمـؤمنين يمرون عليه مروراً متفاوتاً في السرعة والبطئ حسب أعمالهم في حياتهم الدنيا وحسب نيـاتهم ومقاصدهم ودرجات إخلاصهم (٢) .

فالصراط هو الجسر الذي ينصبه الله سبحانه على متن جهنم يعبره الخلق إلـى الجنـة، فأهل النار يقعون منه، وأهل الجنة يمرون عليه على اختلاف سرعتهم، ولكن ينال بعضهم منها شدائد، نسأل الله السلامة منها، وقد ثبت أن من المؤمنين من يمر كطـرف العـين، وكـالبرق، وكالريح، وكالطير، ومنهم كأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم وآخر مخدوش وآخر مكدوسفي نار جهنم وبئس المصير (٣) .

المبحث الثاني: أدلة إثبات الصراط من القرآن الكريم

١. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾ (لصافات: ٢٣) قال الطبري في معنى الآية

" أي احشروا هؤلاء المشركين وآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى فوجهوهم إلى طريق جهنم" (٤).

وهذه الآية ليس فيها التصريح التام بذكر الصراط في اصطلاح الشرع، إلا أن يقال: إن طريق الجحيم هو آخذهم إلى الصراط، ومنه إلى النار وبئس المصير.

وقال آخرون أي ارشدوهم إلى طريق جهنم ودلوهم إلى طريق النار وفي لفظ اهـدوهم تهكم وسخرية، فإذا لم يهتدوا إلى الحق في الدنيا، فاليهتدوا اليوم إلـى الصـراط الجحـيم،لكن هيهات فهم على جسر جهنم (٥) .

---

(١) ابن قدامة المقدسي، لمعة الإعتقاد، ص١٢٦.
(٢) د. عبد الباقي أحمد عطا الله، العقيدة الإسلامية، الدمام، دار المنام، ط١، ١٩٨٨م، ص١٨١.
(٣) النووي، شرح صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم ١٨٣، ص٢٦١.
(٤) الطبري، تفسير الطبري، ج١٣،ص٤٧. وانظر: ابن كثير: تفسير ابن كثير، ج٤، ص٤٠.
(٥) انظر: الطبري، تفسير الطبري، ج٢٣،ص٢٩. وانظر: القرطبي، تفير القرطبي، ج١٥، ص ٧٢. وانظـر: ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج٣،ص١٧٧.

٢. تَعَالَىٰ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ (لفاتحة: ٦) إن السر في التعبير بلفظة الصراط دون غيرها

من الكلمات التي تؤدي إلى هذا المعنى من قوله تعالى: " قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾

(لفاتحة: ٦) قال الإمام الرازي:" إنما قال الصراط ولم يقل السبيل، ولا الطريق وأن كان الكل واحداً، ليكون لفظ الصراط مذكراً بصراط جهنم، فيكون الإنسان على مزيد خوف وخشية"(١).

٣. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ ﴾ (لبلد: ١١)، في تفسير العقبة أقوال كثيرة، منها أن العقبة هي

الصراط الذي يضرب على جهنم، وهو ما ذكره ابن كثير في تفسيره (٢)

يقول الجمل:" العقبة في الأصل الطريق الصعب في الجبل، واقتحامها مجاوزتها، وليس هذا المعنى مراداً هنا، بل المراد به هنا: مجاهدة النفس فيفعل الطاعات، وترك المحرمات، والمراد باقتحامها: فعلها وتحصيلها" (٣).

٤. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا

جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ (مريم: ٧١ - ٧٢) قال المفسرون في معنى الآية : يأمر الحق عز وجل بالأخذ

والانتزاع من كل فرقة ونحلة ارتبطت بما لا يرضي الله عز وجل وشايعت واتبعت غاوياً، فكانوا أعصى لله تعالى وأشد تمرداً، فيقذف بهم في جهنم ويقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم، أي الأعتى فالأعتى، ويبدأ بالأكابر جرماً (٤).

ذكر جمع من المفسرين أن المراد بهذا المرور على النار، فيصدر المؤمنون ويجاوزونها بحسب أعمالهم ويسقط فيها من لم يحمله عمله على الجواز، أما الكفار فيقحمون في النار ويكردسون فيها بعد حشرهم إليها (٥) .

والله تعالى هو الأعلم بمن هو احق بدخول الجنة والنار والاصطلاء بحرها وبمن يستحق تضعيف العذاب والخلود فيها، وقد أقسم الحق تبارك وتعالى بنفسه المقدسة انه فاعل بهم

---

(١) الرازي، تفسير الرازي، مصدر سابق، ج١، ص٢٥٧.
(٢) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج٢، ص٣٨٠.
(٣) سليمان بن عمر الشافعي، الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسيرالجلالين للدقائق الحنفية، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٨٢، ص٥٣٩.
(٤) سعيد حوى، الأساس في التفسير، مصر: دار لاسلام، ط١، ١٩٨٥، ص٣٢٩٩.
(٥) محمد القاسمي، محاسن التأويل، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ١٩٩٤، ص٦٨.

ذلك، وفي اقسامه باسمه العزيز مضافاً إلى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، ثم ينصب الجسر على جهنم ليعبر الخلائق عليه، فما من أحد من برأو فاجر إلا وسيرد على النار، الأنبياء والمرسلون بلطفه للشفاعة والدعاء، والمؤمن بفضله تعالى للعبور، والكافر بعذابه للقرار، وهذا الورود كان قضاءً لازماً، كائناً محتوماً على كل بني الإنسان لا يمكن خلفه، فينجوا المتقون من النار بعد مرور الجميع عليها، ويقع الظالمون في جهنم وبئس المصير [١].

٥. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (يس: ٦٦)، قال الإمام القرطبي:" وبعد إعلان فضيحتهم – أي الكفار والمنافقون- يوم القيامة على رؤوس الأشهاد والمخلوقات، وذلك بختم أفواههم ختماً يمنعهم من الكلام، ونطق أيديهم وأرجلهم وجوارحهم بأعمالهم القبيحة حينينكرون ما اجترموه في الدنيا، ويحلفون ما فعلوه، ولكن الحق يستنطق جوارحهم بما عملت فتشهد عليهم بالحق، وبعد ذلك يؤمرون بقوله تعالى: " فاستبقوا الصراط" أي تبادروا ألى الصراط لتجوزوه ولكن الله عز و جل طمس على أبصارهم فكيف يبصرونه وقد طمس على أعينهم لانهم في قبضة القدرة ومستحقون للعذاب لكفرهم وإنكارهم فزلت أقدامهم على الصراط إلى النار" [٢].

وقد جاءت أقوال العلماء من المفسرين وعلماء العقائد أن هذه الآية دلت على الصراط الممدود، على متن جهنم، لأن الآية استمراراً للكلام عن عوالم ومواقف الآخرة [٣] ، وذهب آخرون إلى ان المراد من الصراط هو الحق، وجعلوا أهل الضلالة بعيدين عن الحقيقة والهدى [٤].

أدلة إثبات الصراط من السنة النبوية المباركة:

ثبت الصراط بأوصافه في السنة النبوية في أحاديث كثيرة، بلغت حد التواتر، ولهذا فقد وعت عقول العلماء حتميته، وبينوها ببعض الإيضاحات منها:

١. إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن الصراط بتصوير دقيق للجسر وحال الناس وقت المرور عليه ووصف ما عليه من كلاليب، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:".. ويضرب جسر جهنم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون أول من يجيز ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وبه كلاليب مثل شوك السعدان أما رأيتم شوك

---

(١) الرازي، تفسير الرازي، ج٢١، ص٢٤٢.
(٢) القرطبي، تفسير القرطبي، مصدر سابق، ج١٥، ص٤٦.
(٣) انظر: الطبري، تفسير الطبري، ج٢٣،ص١٧. وانظر: القرطبي، التذكرة، ص٣٣١.
(٤) ابن كثير، مختصر ابن كثير، ج٣،ص١٦٩.

السعدان قالوا بلى يا رسول الله قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله فتخطف الناس بأعمالهم منهم الموبق بعمله ومنهم المخردل.." إلى آخر الحديث الشريف [١].

وعنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يحوز عليه بأمتي، ولا يتكلم يومئذٍ أحد إلا الرسل وكلام الرسل يومئذٍ: اللهم سلم سلم ، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان.." [٢].

وعنه رضي الله عنه أيضاً عن البي صلى الله عليه وسلم قال :" ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وامتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل.." [٣].

٢. إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن شفاعته وشفاعة إخوانه الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام على الصراط ودعاءه لأمته بالنجاة واجتياز الصراط بسلام، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم:" أنا فاعل، قلت : يا رسول الله أين اطلبك؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصراط.." إلى آخر الحديث [٤].

٣. إخبار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن حال الامم وهي تعبر الصراط، وتفاوتهم في سرعة السير وبطئه، وما يقع لهم في أثناء سيرهم على الصراط، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" ثم يؤتى بالجسر، فيجعل بين ظهري جهنم، قلنا يا رسول الله وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب مفلطحة، لها شوكة عقيفاء، تكون بنجد يقال لها: السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكالأجاويد والركاب، فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحباً[٥].

٤. إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بأن الأمانة والرحم ترسل فتقومان جنبتي الصراط والسبب في قيامهما ذلك هو: لأدائهما الشهادة للشخص، أو عليه بما كان يفعله تجاههما من القيام بهما، وأداء الواجب الذي أمر الله به ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم :" وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق.." [٦]

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم ، رقم ٦٢٠٤، ص٤٤٥.
(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم ٦٢٠٤،ص ٤١٩.
(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط، رقم ٦٢٠٤، ص٤١٩.
(٤) مسند الإمام أحمد ، ٣/ ١٧.
(٥) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة، رقم الحديث ٧٠٠٢، ص٢٧٠٦.
(٦) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية، ٥٧١، ص٢٣٠.

٥. عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل :﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ (إبراهيم: ٤٨) فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: (على الصراط)، وفي رواية عند الترمذي قال ﷺ: (هم على جسر جهنم)[١].

المبحث الثالث: الورود على الصراط

اختلف العلماء في معنى الورود على أقوال:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ (مريم: ٧١ – ٧٢).

القول الأول: الورود هو الدخول في النار

وهو قول ابن عباس وابن مسعود وعبد الله بن رواحة وجابر بن عبدالله، وأبو ميسرة، وابن جريج وخالد بن معدان، اما ابن عباس فقد اشتهر رأيه هذا في جوابه لنافع بن الأزرق في مساءلات نافع لابن عباس المشهورة، فقد جاء نافع يسأل ابن عباس عن معنى الآية فقال ابن عباس: الورود: الدخول، وقال نافع: لا، فقرأ ابن عباس:" ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (الأنبياء: ٩٨) أورود هو أم لا؟ وقال:قال تعالى: "﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾ (هود: ٩٨) ، أورود هو أم لا؟ أما أنا و أنت فسندخلها، فانظر هل تخرج منها أم لا؟ وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك، قال: فضحك نافع. [٢] .

والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة وقول السلف، أما الكتاب قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ (مريم: ٧١ –

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة إبراهيم، ٢٧٩١.
(٢) القرطبيات، الإمام شمس الدين، يوم الفزع الأكبر، تحقيق محمد إبراهيم سليم، القاهرة: مكتبة القرآن الكريم، بولاق، ط١، ١٩٨٧، ص٣٢١.

٧٢)، فقوله " ثم ننجي.."، يدل أن معنى الورود الدخول حيث إن النجاة تكون بعد وقوع المكروه والدخول فيه، ولا يقال لمن لم يدخل في المكروه أنه نجى منه.

ويدل على هذا قوله تعالى: " ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ (هود: ٩٨)، أي فأدخلهم النار.

وقوله سبحانه وتعالى: " ﴿لَوْ كَانَ هَـٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ (الأنبياء: ٩٩)، أي ما دخلوها .

ويؤيد هذا القول حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم " لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم" قال البخاري: قال تعالى:" وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ " [١]

فإن كان الاستثناء متصلاً، فالمعنى انه لا يلج النار إلا ولوجاً يُحل القسم.

وروى أحمد والنسائي والحاكم من حديث جابر مرفوعاً " الورود الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً" [٢].

وروى الترمذي وابن أبي حاتم من طريق السدي، سمعت مُرة يحدث عن عبدالله ابن مسعود قال: " يردونها أو يلجونها [٣] ، ثم يصدرون عنها بأعمالهم [٤] .

وأخرج الطبري بسنده قال: " ذكروا ورود النار، فقال كعب: تمسك النار للناس كأنها متن اهالة –أي ظهرها كالدسم الجامد- حتى يستوي عليها أقدام الخلائق، برهم وفاجرهم، ثم يناديها منادي: أن امسكي أصحابك ودعي أصحابي، قال: فيخسف بكل ولي لها، ولهي أعلم بهم من الرجل بولده، ويخرج المؤمنون ندية أبدانهم، قال: وقال كعب: ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة، مع كل واحد منهم عمود له شعبان، يدفع به الدفعة فيصرع في النار سبعمائة ألف" [٥].

---

(١)أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، رقم ٣١٥.

(٢) هذا الحديث ضعيف فيه أبو سمينة وهو مقبول، أخرجه أحمد ١٤١١١

(٣) رواية الترمذي كما في سننه: "يردونها ويصدرون عنها"، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة مريم ، رقم ٣١٥٩وليس فيها لفظ (يلجونها).

(٤) ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج١١، ص١٤٨.

(٥) الطبري، تفسير الطبري، ج١٦، ص١٠٩.

وذكر الإمام السيوطي رحمه الله أن الورود في القرآن الكريم الدخول إلا في سورة القصص نحو: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القصص: ٢٣): يعني هجم عليه ولم يدخله [١]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال لما سئل عن قوله تعالى: " وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ "، قال: وإن منكم إلا داخلها [٢] ، والروايات عن ابن مسعود رضي الله عنه كثيرة يفسر الورود في النار بالدخول فيها [٣] .

وعن سهل بن معاذ رضي الله عنه عن أبيه رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " حرس وراء المسلمين في سبيل الله متطوعاً، لا يأخذه سلطانه بحرس، لم ير النار بعينه، إلا تحلة قسم، فإن الله تعالى يقول: " وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ " [٤]

ويدل الحديث على أن المراد بالورود هو الدخول، وكذا ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" من مات له ثلاثة لم تمسه النار إلا تحلة القسم" [٥]

وأخرج عن أبي اسحاق قال: " كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال: يا ليت أمي لم تلدني، ثم يبكي، فقيل: وما يبكيك يا أبا ميسرة؟ قال: أخبرنا أنا واردها، ولم يخبرنا أنا صادرون عنها" [٦]

---

(١) السيوطي، البرهان في علوم القرآن الكريم، مصدر سابق، ج٢، ص١٠٩.
(٢) السيوطي، تفسير السيوطي، مصدر سابق، ج٤، ص ٢٨١.
(٣) المصدر السابق، ج٤، ص٢٨٢.
(٤) الطبري، تفسير الطبري، مصدر سابق، ج١٦، ص١١٤.
(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد، ٢٦٤١.
(٦) الطبري، تفسير الطبري، المصدر السابق، ج١٦، ص١١٠.

القول الثاني: الورود هو المرور على الصراط

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود رضي الله عنه وكعب الأحبار رضي الله عنه ، ورواه السدي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم،وروى الأحوص عن ابن مسعودرضي الله عنه في قوله" إلا واردها" قال الصراط على جهنم [١]

من المعلوم أن أعظم من يفسر كتاب الله هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد اخبرنا عليه السلام أن المؤمنين يمرون على النار ولا يدخلونها.

عن جابر : أن عبداً لحاطب جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطباً، فقال : يا رسول الله ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " كذبت ، لا يدخلها فإنه شهد بدراً والحديبية" [٢] .

وعن جابر بن عبدالله يقول: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة : " لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها" قالت : بلى يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتهرها فقالت حفصة: " وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا "، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فقد قال الله تعالى: " ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا " (مريم ٧٢) [٣] .

وفي رواية ابن ماجه وفيها زيادة:" من شهد بدراً والحديبية"، قالت : قلت: يا رسول الله أليس قد قال الله : "وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا " قال: " ألم تسمعيه يقول: " ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا" (مريم :٧٢) [٤] .

قال النووي رحمه الله تعالى: " قوله صلى الله عليه وسلم: " لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها" ، قال العلماء: معناه لا يدخلها أحد منهم قطعاً" . وأما قول حفصة : بلى، وانتهار النبي صلى الله عليه وسلم لها: فقالت قال تعالى: "وَإِن مِّنكُمْ

---

(١) انظر: الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية، مصدر سابق، ص٣٥٠.
(٢) أخرجه مسلم ،كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب أهل بدر وقصة حاطب، ٢٤٩٥.
(٣) أخرجه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان، رقم ٢٤٩٦.
(٤) أخرجه ابن ماجه ، كتاب الزهد، باب ذكر البعث، رقم ٤٢٨١.

إِلَّا وَارِدُهَاۚ "، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:قال تعـالى: " ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا " فيه دليل للمناظرة والاعتراض والجواب على وجه الاسترشاد، وهو مقصود حفصة، لا أنها أرادت رد مقالتـه صـلى الله عليـه وسـلم، والصـحيح أن المـراد بـالورود فـي الآيـة المـرور علـى الصراط، وهو جسر منصوب على جهنم، فيقع فيها أهلا وينجوا الآخرون [١] .

ويدل كذلك على أن المراد بالورود هو المرور حديث أبي هريرة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبُـو مَالِكٍ ، عَنْ رِبْعِيٍّ ، عَنْ حُذَيْفَةَ ، قَالا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " : يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ ، حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ ، فَيَأْتُونَ آدَمَ ، فَيَقُولُـونَ : يَـا أَبَانَـا ، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ، إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ ، قَالَ : فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ، وَرَاءَ ، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ ، الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا ، فَيَأْتُونَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ، كَلِمَةِ اللَّهِ وَرُوحِهِ ، فَيَقُـولُ عِيسَـى عَلَيْهِ السَّلامُ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَقُـومُ فَيُـؤْذَنُ لَـهُ ، وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ ، قَالَ : قُلْتُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ ؟ قَالَ : أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ وَشَدِّ الرِّجَالِ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ ؟ يَقُولُ : رَبِّ سَلِّمْ ، سَلِّمْ ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا، قَالَ : وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِـهِ، فَمَخْـدُوشٌ نَـاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ" ، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا" [٢]

فقوله " كمر البرق" يدل أنه إنما يمر على النار لا يدخل فيه كما هو واضح، فهذا نص صريح صحيح أنهم يمرون ولا يدخلون.

القول الثالث: هو أن ورود المؤمن ما يصيبه في الدنيا من حمى ومرض

(١) النووي، شرح صحيح مسلم للنووي، ١٦/ ٥٨.
(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى اهل الجنة منزلة فيها، رقم ١٩٥.

فإنه يعزى هذا القول إلى مجاهد [١] أنه قال: الحمى حظ كل مؤمن من النار، ثم قــرأ" وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا " (مريم: ٧١)، ويستدل له بما أسنده الطبري إلى أبي هريرة قــال:" خــرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلا من أصحابه وبه وعك، وأنا معه، ثــم قــال: إن الله يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار في الآخرة" [٢].

وهو بعيد،لأن الحديث عن الورود هو المرور علىى جسر جهنم ، ولا يستبعد أن مــن ابتلاه الحق في الدنيا بالمرض والحمى وصبر واحتسب الأجر على الله نجاه الله تعالى من الار عند المرور على الجسر [٣] .

القول الرابع: وهو أن معنى الورود أن يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم؛ فهذا القول يعزى أيضا إلى عبد الله بن مسعود ، وقد سبق أن أشرنا إلى أنه يفسر الورود بالدخول .

ومن الأدلة لهذا القول: ما أخرجه الترمذي و الإمام أحمد، عن عبد الله بن مســعود أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" يرد الناس النار، ثم يصدرون منها بأعمالهم، فأولهم كلمــح البرق، ثم كالريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرجل، ثم كمشيه" [٤]

وهو القول الراجح والله أعلم وذلك لتصريح الآية به ، بالإضافة إلى ما ثبت عن حضرة النبي عليه السلام في وصف لصراط ومرور الناس عليه بحسب أعمالهم.

وقال القرطبي رحمه الله تعالى:" والذي يجمع شتات الأقوال: أن يقال إن من وردها ولم تؤذه بلهبها وحرها فقد أبعد عنها ونجى منها، نجانا الله تعالى بفضله وكرمه، وجعلنــا ممــن وردها سالماً، وخرج منها غانماً " [٥] .

قال الطبري رحمه الله تعالى:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قــولمن قــال يردهــا الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون، فينجيهم الله تعالى ويهوي فيه الكفــار، ووردوهــا هــو مــا تظاهرت به الأخبارعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مرورهم على الصراط المنصــوب على متن جهنم، فناج مسلم، ومكدوس فيها" [٦] .

---

(١) الطبري، تفسير الطبري، مصدر سابق، ج١٦، ص١١١.

(٢) المصدر السابق، ص١١١، وذكره بسنده إلى أبي هريرة، وقال ابن كثيرفي تفسيره:١٣٣/٣ أنه غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه.

(٣) عاشور، عبداللطيف عاشور، نعيم الجنة في القرآن والسنة، ط١، بيــروت، دار الكتــب العلميــة،١٩٩٠، ص٢٣٤.

(٤) رواه الترمذي في سننه، ٣١٧/٥، ورواه الإمام أحمد في مسنده، ٣٤٤/١.

(٥) القرطبي، التذكرة، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٥٠.

(٦) الطبري، تفسير الطبري، مصدر سابق، ج١٦،ص٣٤٤.

ويقول الإمام ابن حجر: " ولا تنافي بين القولين في معنى ورود النار أي الدخول فيهـا لأن من عبر بالدخول تجوز به عن المرور، لأن المار على النار فوق الصراط في معنى من دخلها لكن تختلف أحوالهم باختلاف أعمالهم" (١) ، ورجح هذا القول أيضاً ابن أبي العز (٢) .

المبحث الرابع: صفة الصراط

إن الصراط ممر رهيب، إذ هو مظنة الهلكة إن لم يكتب الله تعالى السلامة لمن يجتاز، فهذا يسقط وهذا يزحف وذاك يمر مسرعاً،وهذا يصيب جوانبه النار وذاك تخطفه الكلاليب، أعاننا عليه الله تعالى.

وصف النبي صلى الله عليه وسلم الصراط بعدة أوصاف:

١. أنه أحد من السيف وأدق من الشعرة، وجاءت الاحاديث النبوية الشريفة مثبتة لهذا الوصف المخيف فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "بلغني أنالجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف" (٣) .

يدل على هذا، قول أبي سعيد الخدري ﷺ كما في رواية مسلم(٤): «بلغني أنَّ الجسر أدق من الشَّعر وأحدُّ من السيف».

وهذا له حكم الرفع إلى النبي ﷺ إذ لا مجال للاجتهاد فيه لكونه من أمور الغيب.

وقد يستعظم بعض الناس هذا الأمر، ويقول: هل يعقل أن تلك الأعداد المهولة المتكاثرة من الناس تعبر على الصراط وهذه صفته؟

والجواب عن هذا:

أن قدرة الله تعالى فوق كل شيء، فالذي أمشى عباده في الدنيا على ما هو معلوم، قادر على أن يجعل مشيهم في الآخرة على نسق آخر،ثم إن الآخرة لها أحكامها الخاصة بها، وهذا يدل على عظم شدة ذلك اليوم وكربه العظيمة، والمؤمن الحق يؤمن ويسلم بما دلَّت عليه النصوص الشرعية (٥).

٢. أنه ممر مخوف مرعب، حتى إنه يمنع الناس من الكلام بأي شيء، إلا الرسل عليهم السلام، وكلامهم حينئذ: «اللهم سلم سلم».

---

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ١٥١/٣.
(٢) علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، مصدر سابق، ص٤٠٩.
(٣) صحيح الإمام مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم ٤٤١.
(٤) صحيح الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، ١٨٣.
(٥) عبد اللطيف عاشور، نعيم الجنة في القرآن الكري، مصدر سابق، ص٢٣٠

ودليل هذا ما خرجه الشيخان البخاري ومسلم[١] عن أبي هريرة ﷺ في حديث طويل، عنه ﷺ قال: «... ويضرب جسر جهنم»، قال رسول الله ﷺ: «فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذٍ: اللهم سلِّم سلِّم...» الحديث.

٣. له كلاليب على حافتيه وهي أدوات التعذيب والخطف التي أعدها الله تعالى لخطف أهل الكفر والضلال، وهي والكلاليب التي تشبه شوك السعدان في الشكل لا في الحقيقة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " ويضرب جسر جهنم، فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى، فتخطف الناس بأعمالهم منهم الموبق بعمله، منهم المخردل ثم ينجو..." [٢] ومعنى تلك الكلاليب : "جمع كلوب، والكلاب والكلاليب خشبة في رأسها عقافة منها أو من حديد" [٣]، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم موضع تلك الكلاليب أين تكون بالنسبة للصراط، من أنها تكون في حافتيه، وهو ما جاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله:" وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة، مأمورة بأخذ من أمرت به" [٤] .

٤. أنه دحض مزلة أي زلق، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" .. ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون اللهم سلم سلم ، قيل: يارسول الله وما الجسر؟ قال: دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها سويكة، يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين..." [٥] ، قال الإمام النووي في معنى دحض: " هو بتنوين دحض وداله مفتوحة والحاء ساكنة ومزلة، بفتح الميم، والدحض والمزلة بمعنى واحد: وهو الموضوع الذي تزل في الأقدام ولا تستقر، ومنه، دحضت الشمس أي مالت وحجة داحضة لإثبات لها" [٦]

وأما السعدان: فهو جمع وواحدتها سعدانة، وهو نبات ذو شوك يضرب فيه المثل في طيب مرعاه، ولهذا يقال: مرعى ولا كالسعدان، وهو ينبت في السهول وهو من جيد مراعي الإبل" [٧]

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٥٧٣)، كتاب الرقاق، بابٌ: الصراط جسر جهنم، «صحيح مسلم» (١٨٢)، كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية.
(٢) صحيح الإمام البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم ٤٤٥.
(٣) أبي منصور محمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط١، ج١، ص٢٥٩.
(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة، رقم ٤٣٠.
(٥) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم ٦٢٠٤.
(٦) شرح النووي لصحيح مسلم، ٤٣٧/١.
(٧) أبي الفضل أحمد النيسابوري، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي عبد الحميد، ط١، ١٩٥٥،ص ٢٧٥.

يقول الإمام النووي رحمه الله: " وأما السعدان بفتح السين وإسكان العين المهملة وهو نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب" (١)

إذاً هو حاد جداً مثل حد السيف أو الموس، وبه خطاطيف وكلاليب تنهش الناس يميناً وشمالاً، ومن أسفل حد كحد السيف يقطع من يمر عليه، وهو يروغ بالناس تتقاذفهم جنبتاه فيتساقطون في جهنم.

المبحث الخامس: أحوال الناس على الصراط وأشكال السقوط عنه

تختلف أحوال العباد حين يمرون على الصراط، فمنهم السالم الذي ينجوا، ومنهم الهالك ومنهم الذي يخدش ثم ينجوا، بدلالة ما قاله صلى الله عليه وسلم:" ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة، ويقولون: الله سلم سلم، قيل : يا رسول الله وما الجسر؟ فقال : دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم ، ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم.." (٢)

[١] فمنهم من سيمر عليه سريعا وينجو منه، فلا يمسه حر جهنم ولا كلاليب الصراط، وذلك لما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ ثُمَّ يَصْدُرُونَ منها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كَحُضْرِ الْفَرَسِ –أي كجري الفرس – ثم كالراكب في رحله ثم كَشَدِّ الرَّجُلِ ثم كمشيه) (٣).

[٢] ومنهم من تخدشه كلاليب الصراط أو تقطع لحمه ثم ينجو، وذلك لما رواه حذيفة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (.... وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة (٤) مأمورة بأخذ ما أمرت به، فمخدوش ناج ومكدوس في النار....) (٥)، وروى أبو هريرة ﷺ أيضا أن النبي ﷺ قال: (.... وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟) قالوا: نعم، قال:

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم، ٤٣٠/١.

(٢)صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم ٦٢٠٤.

(٣) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢٠٩/١٨)، والترمذي (٣١٥٩)، والدارمي (٢٨١٠)، والحاكم (٥٨٦/٤)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٥٢٦).

(٤) قال النووي رحمه الله تعالى: أما الكلاليب فجمع كَلُّوب بفتح الكاف وضم اللام المشددة، وهو حديدة معطوفة الرأس يُعلق فيها اللحم وتُرسل في التنور [صحيح مسلم بشرح النووي (٢٥/٣) (ح ١٨٢)].

(٥) رواه الإمام مسلم (١٩٥)، والحاكم (٦٣١/٤).

(فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف النـــاس بأعمـــالهم، فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من يُخردل ثم ينجو ....) [١].

وعلل ابن حجر نقلا عن الزين ابن المنير رحمهما الله تعالى الحكمة في تشـــبيه الكلاليـــب بشوك السعدان؛ أن ذلك لسرعة اختطافها وكثرة الانتشاب فيها مع التحرز والتصون تمثيلا لهم بما عرفوه في الدنيا وألفوه بالمباشرة [٢].

[٣] ومنهم من يحبس على الصراط فيعاني الشيء العظيم من لفح جهنم وغير ذلك من عـــذاب ورعب تنخلع له الأفئدة، فعن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه ﷺ عن النبي ﷺ قال: (.... ومن رمى مسلما بشيء يريد شَيْنَهُ به، حبسه الله على جسر جهنم حتى يَخْـــرُجَ ممـــا قال)[٣].

[٤] ومنهم من يوبقه عمله فيسقط في النار والعياذ بالله، وذلك لما رواه أبو بكرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (يُحْمَلُ الناس على الصراط يوم القيامة، فَتَقَادَعُ بهم جَنَبَةُ الصراط؛ تَقَادُعَ الْفَرَاش فـــي النار، قال: فينجي الله تبارك وتعالى برحمته من يشاء) [٤]، أي أن جنبتي الصراط تسقطهم في النار بعضهم فوق بعض.

فمن يمر على الصراط مثل طرف العين هم أعلى الناس مرتبة وأشرفهم منزلة، أهل الاعمال الكثيرة والدرجات العظيمة .

أشكال السقوط من الصراط

جاءت عدة أحاديث تصف حال الساقطين من الصراط أعاذنا الله من ذلك المئال والتـــي منها:

[أ] المكردس

وهو الذي جُمعت يداه ورجلاه وأُلقي إلى موضع [٥]، فعن أبي ســـعيد الخـــدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: "... والأنبياء بجنبتي الصراط، وأكثر قولهم: اللهم سلم سلم، فأكون أنا وأمتي أول من يمر، أو قال: أول من يجيز، قال: فيمرون عليه مثل البرق، ومثل الريح، ومثل أجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مكلم، ومكردس في النار... " [٦].

---

(١) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني (١٥٧/٢٤)، والبخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢)، وابن ماجه (٤٢٨٠).
(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٤٦٢/١١ ح ٦٥٧٤).
(٣) رواه أبو داود (٤٨٨٣)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٤٠٨٦).
(٤) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني – (١٥٦/٢٤)، والطبراني، والبزار، وحسنه الألباني في ظـــلال الجنـــة (٨٣٧).
(٥) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ، (١٦٢/٤).
(٦)صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم ٦٢٠٤.

[ب] المنكوس:

وهو المقلوب بأن صار رأسه أسفل [١]، فعن معاذ بن جبل ﷺ أنه قال: يا نبي الله وإنـــا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: "ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم" [٢].

[ج] المكدوس

وهو المدفوع من ورائه [٣]، فقد أخبر جل وعلا بأن الكفار يدفعون إلى جهنم دفعا شديدا حيــث قال تعالى:﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ ﴾ (الطور: ١٣) وروى أبو سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: "... يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم"، قلنا: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: "مدحضة مزلة عليه، خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها: السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحبا... " [٤].

المبحث السادس: أسباب النجاة من المرور على الصراط

أهوال الصراط عظيمة وفتنته مخيفة، ولورود الناس على جهنم فزعاً ورعباً في قلــوب الواردين وخوفاً من زلة الاقدام والسقوط في نار جهنم وبئس المصير، وقد ذكر القــرآ الكــريم والسنة النبوية أمور من شانها أن تخفف عن صاحبها هول هيبة المرور على الصراط وتأخذ بيده إلى النجاة وتنجيه من الخدش والخطاطيف التي تخطف الناس ، ومنها ما يجعــل طريــق السالك منوراً يضيء له الطريق في ظلمات الصراط، فيكون مع موكب النور والسرور حيــث حضرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هذه الأمور كما تطرق للبعض منهــا الــدكتور محمد بن النعيم في بحثه كيف تنجوا من كرب الصراط:

---

(١) شرح سنن ابن ماجه القزويني للسندي (٢/٥٧٣).
(٢) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٩/٢٥٨)، والترمذي واللفظ لــه (٢٦١٦)، وابــن ماجــه (٣٩٧٣)، والحاكم (٢/٤٤٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٣٦).
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤/١٥٥).
(٤) شرح النووي لصحيح مسلم، (١١/٢١٣).

١. رحمة الله تعالى وعفوه

قال تعالى:" ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ (الزمر: ٥٣).

وليس للعباد عليه حق ولا واجب ولا ملزم له منهم، ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، وغنما هو سبحانه يحق على نفسه ويكتب على نفسه ويحتم على نفسه، كل ذلك من باب التفضل على عباده والتكرم، والتعطف والترحم كما هو مقتضى حكمة ربوبيته ورحمانيته تبارك وتعالى[١]

وفي الحديث القدسي" سبقت رحمتي غضبي" [٢].

٢. الإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

عن أبي ذر ﵁ قال: سألت رسول الله ﷺ: ماذا ينجي العبد من النار؟ قال: " الإيمان بالله"، قلت: يا نبي الله مع الإيمان عمل؟ قال: "أن ترضخ – أي تعطي– مما خولك الله، وترضخ مما رزقك الله"، قلت: يا نبي الله فإن كان فقيرا لا يجد ما يرضخ؟ قال: "يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر"، قلت: إن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر؟ قال: "فليعن الأخرق" –وهو الذي لا صنعة له _ قلت: يا رسول الله أرأيت إن كان لا يحسن أن يصنع؟ قال: "فليعن مظلوما"، قلت: يا نبي الله أرأيت إن كان ضعيفا لا يستطيع أن يعين مظلوما؟ قال: "ما تريد أن تترك لصاحبك من خير؟ ليمسك أذاه عن الناس"، قلت: يا رسول الله أرأيت إن فعل هذا يدخله الجنة؟ قال: "ما من عبد مؤمن يصيب خصلة من هذه الخصال، إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة"[٣].

٣.الصدقة والكلمة الطيبة

قال تعالى:" ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ (آل عمران: ٩٢)، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِۖ وَلَا

---

(١) عبد الكريم بياره، نور الإسلام،بغداد : الدار العربية، ط١، ١٩٨٨، ص٢٦١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، ٧٠١٥.

(٣) رواه البيهقي، وابن حبان (٣٧٣)، والحاكم (١٣٢/١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٧٦).

تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾

(البقرة: ٢٦٧).

ومن ذلك البر والإنفاق إحسان الصدقة والتي تكون من مال حلال وأن تقع موقعها.

عن عدي بن حاتم ﷺ أن النبي ﷺ قال: "اجعلوا بينكم و بين النار حجابا ولو بشق تمرة"(١)، وفي رواية عند مسلم أنه ﷺ قال: " من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل".

وفي رواية أخرى أنه قال: ذكر النبي ﷺ النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه، ثم ذكر النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه، قال شعبة: أما مرتين فلا أشك، ثم قال: "اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة" (٢).

٤.الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم من حيث رسالته ومكانته وتأثيره

بدلالة قوله تعالى:" قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الحديد: ٢٨)

وقد استدل العلماء بهذه الآية على الإيمان المطلق برسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والتسليم له فهو ثابت الوحي والدلالة.

ولقد جاءت المعادلة القرآنية واضحة البرهان في ترجيح كفة الإيمان وجعلت مقابل هذا الإيمان: الإيتاء بنصيبين يحفظان صاحبهما من الهلكة في المعاصي كما يحفظ الكساء الراكب، وبذلك يتحقق الأجر على مرتين قال تعالى:" قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ ﴿٥٤﴾ ﴾ (القصص: ٥٤)، نصيباً لتقوى الله تعالى، والآخر لإيمانه برسوله.

ومما يقابل الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم من الثواب، أن جعل القرآن لصاحبه " نوراً يمشي به" أي بياناً وهدى، وضياء يمشي به صاحبه في الآخرة على الصراط وفي القيامة لتنير له طريقه إلى الجنة، ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (١)

---

(١) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٥٦/٩)، والبخاري (٦٥٦٣)، ومسلم (١٠١٦)، والترمذي (٢٤١٥)، والنسائي (٢٥٥٢)، وابن ماجه (١٨٥)، والدارمي (١٦٥٧).

(٢) رواه الإمام البخاري واللفظ له (٦٠٢٣)، ومسلم (١٠١٦)، والنسائي (٢٥٥٢).

٥.الصلاة على النبي ﷺ عند ذكره

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ (الأحزاب: ٥٦)، أي أن الله تعالى يرحم نبيه ويرفع شأنه، والملائكة الأبرار يدعون للنبي ويستغفرون له،ويطلبون من الله تعالى أن يمجد عبده وينيله أعلى المراتب [٢].

قال القرطبي: " والصلاة والسلام من الله رحمته ورضوانه، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار، ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره" [٣].

وروى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "من نسي الصلاة عليّ خطئ طريق الجنة" [٤].

أي من تركها عمداً، قال المناوي رحمه الله تعالى: قال في الإتحاف: ومعنى النسيان فيه الترك كما قال تعالى ﴿أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ وليس المراد به الذهول، لأن الناسي غير مكلف [٥].

وروى جابر بن سمرة ﷺ أن رسول الله ﷺ صعد المنبر فلما رقى عتبة قال: (آمين) ثم رقى أخرى فقال: (آمين) ثم رقى ثالثة فقال: (آمين) ثم قال: " أتاني جبريل فقال يا محمد: من أدرك أحد والديه فمات فدخل النار فأبعده الله قل: آمين، فقلت: آمين، قال: يا محمد: من أدرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له فأدخله النار فأبعده الله، قل: آمين فقلت: آمين، قال: ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل: آمين، فقلت: آمين" [٦].

ولا يدل هذا على وجوب الصلاة على النبي ﷺ كلما ذُكر، فقد ذكر ابن حجر رحمه الله في الفتح بأن هذه الأحاديث لم تخرج مخرج الوجوب، وإنما مخرج الندب والمبالغة في تأكيد الصلاة على النبي ﷺ وطلبه في حق من اعتاد ترك الصلاة عليه ديدنا، وأنه لا دلالة على وجوب تكرار الصلاة عليه ﷺ بتكرار ذكره ﷺ في المجلس الواحد [٧].

---

(١) انظر: البيضاوي، تفسير البيضاوي، مصدر سابق، ج٣، ص٤٥٧. وانظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج٣، ص٤٥٦. وانظر: السيوطي، تفسير السيوطي، ج٤، ص١٧٧. وانظر: الصابوني: تفسير الصابوني، ج٣، ص٣٢٤.

(٢) الدميري، الحياة الكبرى، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤،ص٢٣١.

(٣) القرطبي، تفسير القرطبي، ج١٤،ص٢٣٢.

(٤) رواه ابن ماجه (٩٠٨)، والبيهقي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٦٨).

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (١٢٩/٦).

(٦) رواه الطبراني، وابن حبان (٤١٠)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٤٠٩).

(٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (١٧٣/١١ ح ٦٣٥٨).

وأمر الحق عز وجل عباده المؤمنين بالإكثار من الصلاة عليه والتسليم، فحقه عليهم عظيم، فهو المنقذ للأمة من الضلالة إلى الهدى، والمخرج لهم من الظلمات إلى النور، فوجب عليهم كلما ذكر اسمه الشريف أو وصفه الكريم أنعته الحبيب أن يقولوا: اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، فهو الواسطة العظمة في كل نعمة وصلت للخلق أجمعين، ومنها نعمة النجاة بالصلاة عليه من هول الصراط وعذابه، فبحقه صلوا عليه وسلموا تسليماً.

فعن عبدالله بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم يقول:" من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً" (١)

فإذا كانت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الحياة الدنيا سبباً لهداية الناس وحياة قلبه وقربه من نبيه صلى الله عليه وسلم فإنه كلما أكثر من الصلاة عليه، وذكره استولت محبته على قلبه وقربه حتى لا يبقى في قلبه معارضة لشيء من أوامره، ولا شك في شيء مما جاء به، بل يصير ما جاء به مكتوباً مسطوراً في قلبه.

٦.قضاء حوائج الناس وتفريج كربهم

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "أحب الناس إلى الله أنفعهم ، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجةٍ؛ أحبُ إليَّ من أن أعتكف في المسجد شهرا، ومن كفَّ غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيضا ولو شاء أن يُمضيه أمضاه؛ ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزلُ الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسدُ الخلُ العسل) (٢).

٧ – الأعمال المؤدية لشفاعة النبي ﷺ

إن الاعتناء بالأعمال المؤدية لشفاعة النبي ﷺ، أحد الوسائل المهمة لتفريج كرب الصراط، حيث سيقف النبي ﷺ على هذا الصراط يدعو الله بنجاة المؤمنين عن السقوط منه قائلا (رب سلم سلم)، وقد أخبر ﷺ بأنه سيشفع لأناس عند الصراط، وما ذلك إلا لاشتداد كرب الناس عنده.

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم، (٣٦٢/٢٤).
(٢) رواه ابن أبي الدنيا، والطبراني، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٧٦).

فمن أراد أن يشفع له رسول الله ﷺ بالنجاة من كُرب يوم القيامة عموما ومن كَرب الصراط خصوصا؛ الذي يعد أعظم المشاهد؛ فعليه الاعتناء بالأعمال الصالحة خصوصا المؤدية لشفاعته ﷺ يوم القيامة والتي من أهمها ما يلي:

[أولا] سؤال الوسيلة لرسول الله ﷺ

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (سلوا الله لي الوسيلة فإنه لا يسألها لي عبد في الدنيا إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة) (١).

وتسأل هذه الوسيلة لرسول الله ﷺ بعد سماع الأذان، لما رواه جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة) (٢).

[ثانيا] الإكثار من الصلاة على النبي محمد ﷺ

لقد رغبنا النبي ﷺ بالإكثار من الصلاة عليه ﷺ وأخبر بأن أولى الناس بالقرب به أو بشفاعته يوم القيامة هم أكثرهم عليه صلاة ﷺ، حيث روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة) (٣).

[ثالثا] الصلاة على النبي ﷺ بعدد معين وبصيغة معينة

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من صلى عليَّ حين يصبح عشرا، وحين يمسي عشرا، أدركته شفاعتي يوم القيامة) (٤).

وعن رافع بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من قال: اللهم صل على محمد، وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة، وجبت له شفاعتي) (٥).

---

(١) رواه الطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٣٧).

(٢) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٣١/٣)، والبخاري (٦١٤)، ومسلم (٣٨٤)، والترمذي (٢١١)، وأبو داود (٥٢٩)، والنسائي (٦٧٨)، وابن ماجه (٧٢٢).

(٣) رواه الترمذي (٤٨٤)، وابن حبان (٩١١)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره (١٦٦٨).

(٤) رواه الطبراني، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٥٧).

(٥) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٣١١/١٤)، والطبراني في الكبير واللفظ له (٤٤٨٠)، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٣/١٠)، والسيوطي في البدور السافرة في أمور الآخرة (١١٠٨)، ووافقه الوادعي في كتاب الشفاعة وقال: لكن الحديث له شواهد يرتقي بها إلى الحسن اهـ (صفحة ٢٣٥)، وقال الساعاتي في الفتح: رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط وقال المنذري وبعض أسانيدهم حسن اهـ (٣١١/١٤)، وضعفه الألباني في تخريج كتاب السُنة لأبي عاصم (٨٢٧).

[رابعا] الإكثار من النوافل

فعن زياد بن أبي زياد مولى بني مخزوم ﷺ عن خادم للنبي ﷺ رجل أو امرأة قال: كان النبي ﷺ مما يقول للخادم: (ألك حاجة؟) قال: حتى كان ذات يوم ، فقال: يا رسول الله حـــاجتي، قال: (وما حاجتك)؟ قال: حاجتي أنْ تشفع لي يوم القيامة، قال: (ومن دلك على هــذا)؟ قـــال: ربي، قال: (إمَّا لا – أي إنْ كان لا بد – فأعنِّي بكثرة السجود)[١].

[خامسا] الصبر على ضيق العيش في المدينة المنورة

فعن يحنس مولى الزبير رحمه الله تعالى أنه كان جالسا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في الفتنة، فأتته مولاة له تسلم عليه فقالت: إني أردت الخروج يا أبا عبد الرحمن، اشـــتد علينا الزمان، فقال لها عبد الله: اقعدي لكَاع [٢]، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يصـــبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة) [٣].

وروى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحدُ، إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة) [٤].

قال الباجي رحمه الله تعالى: واللأواء هو الجوع وتعذر التكسب، والشـــدة: يُحتمـــل أن يريد بها اللأواء، ويحتمل أن يريد بها كل ما يشتد به سكناها وتعظم مضرته اهــ [٥].

[سادسا]: الموت بالمدينة المنورة

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (من استطاع أن يمـــوت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها) [٦].

---

(١) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢١٩/٢) و(١٣٢/٢٤)، وصححه الألبـــاني فـــي السلســـلة الصـــحيحة (٢١٠٢).
(٢) لكاع: الغبي أو قليل العلم.
(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ (١٦٣٨)، وأحمد –الفتح الرباني– (٢٦٠/٢٣)، ومسلم واللفظ لـــه (١٣٧٧)، والترمذي (٣٩١٨).
(٤) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (٢٦٠/٢٣)، ومسلم (١٣٧٨)، والترمذي (٣٩٢٤).
(٥) المنتقى شرح موطأ مالك (١٦٣٨).
(٦) رواه الإمام أحمد–الفتح الرباني–(٢٥٩/٢٣)، والترمذي (٣٩١٧)، وابن ماجه (٣١١٢)، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٨٤٠٤)، ووافقه الألباني في صحيح الجامع (٦٠١٥).

إننا نسمع عن بعض الأثرياء إذا كبر سنه، اشترى قصرا في أحد المنتجعات السـياحية الأوروبية؛ ليقضي بقية حياته بين ظهراني المشركين، وكان الأولى به أن يأخذ بوصية رسـول الله ﷺ فيودع الدنيا وهو في مدينة رسول الله ﷺ، ليحظى بحسن الختام وشفاعة خير الأنام ﷺ.

٤- الصبر على موت الولد

روى عبد الرحمن بن بشير الأنصاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من مات له ثلاثـة من الولد لم يبلغوا الحنث لم يرد النار إلا عابر سبيل، يعني الجواز على الصراط) [(١)].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار إلا تحلة القسم) [(٢)].

وعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ بابن لها يشتكي فقالت: يا رسول الله أخاف عليه وقد قدمت ثلاثة، فقال رسول الله ﷺ: (لقد احتظرت بحظار شـديد مـن النار)[(٣)].

وروى أبو سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: (ما منكن امرأة تقدم بين يديها ثلاثة من ولدها إلا كانوا لها حجابا من النار)، قالت امرأة: واثنين؟ قال: (واثنين) [(٤)].

المبحث السابع:المنكرون للصراط وردود أهل الحق عليهم

أجمعت الأمة الإسلامية على وجوب الإيمان بالصراط يوم القيمة، وذلـك لثبوتـه فـي الكتاب والسنة، ويتضح جلياً أن ثبوت االصراط وصفاته أمر حق لا جدال فيه، وأن الإيمان بـه واجب، وأن المنكرين له مهما تمسكوا بهت لمسات بعض الأدلة الثابته التي بلغتنـا متـواترة، فصار الإيمان به من الأمور الغالمعلومة من الدين بالضرورة، واتفقـت الكلمـة علـى إثبـات الصراط جملة لكل أهل السنة يثبتونه على ظاهرة من كونه جسراً ممدوداً على متن جهنم، أحـد من السيف وأدق من الشع يعبره الناس كافة.

---

(١) رواه الطبراني، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٠٠١).
(٢) رواه الإمام أحمد –الفتح الرباني– (١٣٨/١٩)، والبخاري (٦٦٥٦)، ومسلم (٢٦٣٢)، والترمذي (١٠٦٠)، والنسائي (١٨٧٥)، وابن ماجه (١٦٠٣).
(٣) رواه النسائي (١٨٧٧)، والبخاري في الأدب المفرد (١٤٤)، والطبراني، وصححه الألباني فـي صـحيح الترغيب (١٩٩٤).
(٤) رواه الإمام مالك (٥٥٤)، وأحمد –الفتح الربـاني– (١٣٨/١٩)، والبخـاري (١٠٢)، ومسـلم (٢٦٣٤)، والترمذي (١٠٦٠)، والنسائي (١٨٧٥)، وابن ماجه (١٦٠٣).

وقال البغدادي رحمه الله تعالى في ذكر الأصول التي اتفق عليها أهل الحق وضللوا من خالفهم فيها: وقالوا بالحوض ، والصراط، والميزان، فمن أكر ذلك حرم الشرب من الحوض ، ودحضت قدمه من الصراط إلى النار

وقال الأشعري:

"واختلفوا في الصراط:

١. فقال قائلون: هو الطريق إلى الجنة وإلى النار، ووصفوه فقالوا: هو أدق من الشعرة وأحد من السيف، ينجي الله عليه من يشاء.
٢. وهم قائلون: هو الطريق ، وليس كما وصفوه بأنه أحد من السيف وأدق من الشعرة، ولو كان كذلك لاستحال المشي عليه [١] وهم المنكرون له ولصفاته. أما أولئك المنكرون فليس لهم ما يتمسكون به ، لا من النقل، ولا من العقل" [٢]

من أنكر الصراط مطلقاً فهم :

أ.المعتزلة.

ب.الخوارج.

ج.الجهمية

أ- المعتزلة:

قال العلامة النسفي رحمه الله تعالى" والصراط حق" [٣] وذكر التفتازاني في شرحه قائلاً: " وأنكره أكثر المعتزلة لأنه لا يمكن العبور عليه، وأن أمكن فهو تعذيب للمؤمنين" [٤]

وهو كذلك ما يذكره عنهم السفاريني في كتابه لوامع الأنوار [٥] ، وبينه العلامة التفتازاني في شرح المقاصد فقال:" وينكر هذا الظاهر أكثر المعتزلة زعماً منهم أنه لا يمكن عبوره عقلاً، وإن أمكن ففيه تعذيب للمؤمنين، ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة، وإنما المراد طريق الجنة المشار إليه بقوله تعالى:" ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ ﴾ (محمد: ٥)، وطريق النار المشار إليه بقوله تعالى ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ۝٢٣ ﴾ (الصافات: ٢٣)،

(١) الأشعري، مقالات الإسلاميين، مصدر سابق، مجلد٢، ص١٤٦.
(٢)
(٣) أبي حفص النسفي، العقائد انسفية، ١٣٨
(٤) التفتازاني، شرح العقائد النسفية، مصدر سابق، ١٣٠.
(٥) محمد السفاريني، لوامع الأنوار البهية، مصدر سابق، ج٢، ص١٩٣.

ومنهم من حمله على الأدلة الواضحة، وقيل العبادات كالصلاة والصيام والزكاة ونحوها، وقيل الأعمال الردية التي يسأل عنها ويؤاخذ بها فإنه يمر عليها ويطول المرور بكثرتها ويقصر بقلتها" [١]

الرد عليهم:

١. الله تعالى قادر على أن يمكن العباد من المرور عليه ويسهل على المؤمنين [٢] ، كما جاء في الحديث أن منهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من هو كالريح ومنهم من هو كالجواد، ومنهم من تخوره رجلاه وتتعلق يداه ومنهم من يخر على وجهه [٣]

٢. إن هذا الكلام باطل لوجوب حمل النصوص على حقائقها وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء أو الطيران في الهواء والوقوف فيه [٤] .

وقد أجاب الرسول صلى الله عليه وسلم على سؤال حشر الكافر على وجهه، إن القدرة صالحة لذلك، فاللذي أمكنه أن يخلق له قدرة المشي على الهواء ولم يخلق في ذاته هويا إلى أسفل ولا انحراف في الهواء، فالصراط أثبت من الهواء بكل حال [٥] .

٣. وعلق السيد محمد بن علوي المالكي حفظه الله لشرحه لقول العلامة أحمد المرزوقي المكي في منظومة عقيدة العوام [٦] قائلاً:" يجب على كل مكلف أن يصدق باليوم الآخر، قال تعالى:"وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴿١٧٧﴾ ﴾ (البقرة: ١٧٧)، وبما اشتمل عليه ومن ذلك :

الإيمان بالصراط وهو طريق يوضع على ظهر جهنم يمر عليه الأولون والآخرون بعد انصرافهم من الموقف، فتثبت عليه أقدام المؤمنين الطائعين ويمر عليه أهل الجنةكلمح البصر أو كالبرق وذلك كله حسب أعمالهم، وتزل عنه أقدام الكافرين والعصاة من المؤمنين فيقعون في النار"[٧].

فإن قيل: هل أنكر جميع المعتزلة من أولهم إلى آخرهم الصراط؟

---

(١) التفتازاني، شرح المقاصد، مصدر سابق، ج٢، ص١٦٤.
(٢) التفتازاني، شرح العقائد النسفية، مصدر سابق، ص١٣٩.
(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، رقمه١٩٥.
(٤) التفتازاني، شرح المقاصد،ج٢، ١٦٤. وانظر: محمد السفاريني، لوامع الأنوار البهية، مصدر سابق، ج٢، ١٩٢.
(٥) الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، مصدر سابق،ص٩٩.
(٦) أحمد المرزوقي، منظومة عقيدة العوام، مصدر سابق، ص٥.
(٧) جلاء الأفهام شرح عقيدة العوام، ص٦٦وص٦٧

يجاب عنه:

قال العلامة التفتازاني في شرحه العقائد النسفية:" وأنكر أكثـر المعتزلـة...."[١] وفـي عبارته دليل على أنه لم يجتمعوا على قول واحد في انكارهم للصراط وعند الرجوع إلى كتب الممعتزلة فإننا نجد القاضي عبد الجبار يفسر الصراط بأنه طريق ، وأن إثبات صراط أحد من السيف وأدق من الشعرة فإنه من وصف الحشوية- كما يزعم- غير أنه لم يرتض قول كثير من مشايخهم -فيما يذكر- من ذهابهم إلى أن الصراط المراد به الأدلة الواضحة [٢]

ويظهر بوضوح من تعريف القاضي عبد الجبار للصراط بأنه لا يثبت صـراحة ذلـك الصراط الوارد به وبصفاته الشرع وهو يقول :" وهو طريق بين الجنة والنار، يتسع على أهـل الجنة ويضيق على أهل النار إذا راموا المرور عليه" [٣]

وفي هذا التعريف الذي أثبته عبد الجبار المعتزلي لا ينطبق على الصراط الذي قـدمنا وصفه من السنة النبوية بل هو اثبات للصراط دون صفاته المذكورة للأحاديث التي مر ذكرها.

وزعم القاضي عبد الجبار أن ما ورد من وصف الصراط بأنه أحد من السيف وأدق من الشعرة وأن المكلفين يكلفون باجتيازه والمرور به، فمن اجتاتزه فهو من أهل الجنة ومن لم يمكنه ذلك فهو من أهل النار ، زعم أن هذا الوصف إنما يعتقده الحشوية، لأن تلك الدار فـي زعمـه ليست هي بدار تكليف حتى يصح إيلام المؤمن، وتكليف المرور على ما هذا سبيله فـي الدقـة والحدة.

وهذا غير مسلم : فقد ذكر بعض العلماء في الرد على المعتزلة وأمثالهم أن التكليـف لا ينقط حتى يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار والشواهد على ذلـك كثيـر، منهـا سـؤال القبرومنها التكليف باجتياز الصراط إلى ذلك [٤] .

ثم يعود القاضي عبد الجبار فيذكر عن كثير من مشايخهم بأن ليس هناك صراط حسي لا واسع ولا ضيقوأن ما ورد من ذكر الصراط فإنما يراد به المعاصي كما في قوله:" وقد حكى عن كثير من مشايخنا أن الصراط إنما هو أدلة الدالة على هذه الطاعات التي من تمسك بها نجا وأفضى إلى الجنة، والأدلة الدالة على المعاصي التي ارتكبها فاستحق النار" [٥]

---

(١) التفتازاني، شرح العقائد النسفية، ص١٣٨.
(٢) انظر: النشر الطيب،ج٢،ص٣٨١
(٣) شرح الأصول الخمسة، ص٧٣٧
(٤) التفتازاني، شرح المواقف، ص٥٩٢، وانظر: شرح المقاصد،ج٢، ٢٣٨، وانظر: شرح العقائـد النسـفية ، ص ١٣٣.
(٥) شرح الأصول الخمسة، ص٧٣٧.

ولكنه لم يرتض هذا القول، حيث رده بقوله : " أنه مما لا وجه له، لأن فيه حملاً لكلام الله تعالى على ما ليس يقتضيه ظاهره" ، وأن هذا القول لم يحك إلا عن عبادة المعتزلي على حد قول عبد الجبار المعتزلي (١)

يتحصل مما سبق من مذهب المعتزلة أن بعضهم ينفي الصراط مطلقـاً، وأن بعضـهم يثبته لكن بغير وصفه الذي نص عليه الحديث وإنما يثبتونه على أنه طرق واضح بين الجنـةو النار ، يضيق على أهل العصيان ويتسع للمؤمنين، وظهر كذلك أم من نسب إلى المعتزلة القول بإنكار الصراط مطلقاً وأنهم يؤولونه بالأدلة الدالة على وجوب الواجبات وقبح المقبحات، لـيس دقيقاً في حكمه، لأن هذا الررأي ليس لجميعهم، وإنما هو رأي تفرد به عبادة المعتزلي حسب ما ذكر القاضي عيد الجبار ، وهو من كبار علماء المعتزلة.

ب. الخوارج:

أنكر الخوارج ومنهم الإباضية وجود الصراط وما ورد من صفاته كمـا يـذكر ذلـك الطالبي في كتابه " آراء الخوارج" فيقول عنها بأنها:" تعتقد أن الصراط والميزان معنويان"(٢)

ثم قال– ناقلاً عن أحد علمائهم وهو المصعبي:" وذكر عبد العزيز المصعبي صاحب كتاب معالم الدين (٣) أن الإباضية تنكر الصراط " (٤)

ثم علق الطالبي على كلام المصعبي بقوله:" ولعله يقصد بذلك نكران الصراط الحسي" (٥)

والجواب على آرائهم الفاسدة :

إن مذهب الخوارخ في إنكار الصراط وما ورد في صـفاته لا يختلـف عـن مـذهب المعتزلة في ذلك، وردود أهل الحق على المعتزلة كفيلة في جعل قول الخوارج فاسداً لأنـه لا شاهد بصحة قولهم من اللغة ولا من القرآن الكريم ولا من السنة النبوية، ويخـالف النصـوص القطعية التي أثبتت الصراط وما ورد من صفاته شرعاً، وخالفوا اجماع الأمة واتفاق كلمتها على أصول الدين ومنها وجوب الإيمان بالصراط كما وردت به النصوص القطعية.

---

(١) شرح الأصول الخمسة ، ص٧٣٨.
(٢) عمار الطالبي، آراء الخوارج، مصر: دار المكتب الحديث، ط١، ١٩٨٥، ص١٨٠.
(٣) مخطوط بدار الكتب المصرية نقل منه الطالبي في كتابه آراء الخوارج.
(٤) الطالبي، آراء الخوارج، مصدر سابق، ص١٨١.
(٥) الطالبي، آراء الخوارج، المصدر السابق، ص١٨٠.

ج.الجهمية [١] :

أنكرت الجهمية الصراط ونفوا وجوده، وزعيمهم بذلك الإنكار هو الجهم بن صفوان فهو ينكر أن يكون في يوم القيامة صراط مادي ينصب على جهنم ليعبر عليه من الشرع، ولم تعرف له حجة ولابرهان، شأنه شأن غيره ممن ينفي الصراط الحسي يوم القيامة من الخوارج والمعتزلة دون دليل نقلي أو عقلي.

ومن خلال متابعة آراء الجهم بن صفوان والجعد بن درهم [٢] ، لم أجد لهم أي حجة أو برهان من النقل أو العقل في نفي وجود الصراط يوم القيامة.

---

(١) الجهمية: نسبة للجهم بن صفوان، وهي فرقة دعت إلى أن الإنسان مجبور على أفعاله لا قدرة له ولا إرادة فسميت بالجبرية لمخالفتها اعتقاد أهل السنة والجماعة ، انظر: د.رشدي عليان، أصول الدين الإسلامي، بغداد: دار الحكمة، ١٩٩٠، ص٢٨.

(٢) الجعد بن درهم من موالي بني الحكم، فارسي الأصل، أول من قال بالجبر وأظهر مقالته في زمن هشام بن عبد الملك فأرسله إلى والي العراق فقتله . انظر: د. رشدي عليان، أصول الدين، مصدر سابق، ص٤٥.

الخاتمة

وبعد الإنتهاء من عرض بعض مواقف وعوالم الآخرة المهمة وما فيهـا مـن أهـوال وأخطار، ظهر لي من تلك الدراسة أمور، أوجز أهمها:

أن أمر اليوم الآخر والتصديق به من الأمور التي لا يدخل الشخص في الإيمان حتـى يؤمن بها على وفق ما أخبر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم عنها، وأ، الإيمان بذلك مما يحتاج إلى يقين قوي، إذ إن أكثر ما يضعف من عقيدة الشخص هو الجانب الأخروي وما يقـع فيه من أحداث فالقرآن الكريم والسنة النبوية المباركة قد أوليا اليوم الآخر البيان والإيضاح التام الكافي في أكثر من آية في القرآن الكريم، وأكثر من حديث في السـنة النبويـة، وأن الإيمـان بالغيب أمر من العقيدة بالمكان الأعلى، إذ يتوقف إيمان الشخص على الإيمان بالغيب.

وتبين أن من عدل الله سبحانه وتعالى أن ينصب ميزاناً حقيقياً له لسـاناً وكفتـان يـوم القيامة للحساب، ويزن فيه الأعمال من خير وشر، وما من خير إلا تثقل فيه كفة الحسنات ، وما من شر إلا تثقل فيه كفة السـيئاتوقد ثبت ذكر الميزان في الكتاب والسنة وإجماع الأمة بما لا يدع مجالا للشك ، وأن المنكرين له أو لصفاته لا دليل لهم ، لا من العقل ولا من النقل ، وقولهم مردود عليهم ، وأن الذي يوزن في الميزان هو العامل والعمل وصحف الأعمال لحكمة يعلمها الله .

وتبين أن الحوض منّة عظيمة للرسول صلى الله عليه وسلم، والكوثر نهر فـي الجنـة يصب في حوض النبي عليه الصلاة والسلام، والحوض قبل الصراط عند وجـود النـاس فـي المحشر، يرده المؤمنون ويذاد عنه الكافرون.

وأن هناك من الأعمال الصالحة الكثيرة الموجبة للمرور على الصراط ، منها الأعمال المؤدية لشفاعة النبي عليه السلام ، والصلاة على النبي عند ذكره ، والـصبر علـى مـوت الولـد، والصبر عند الإصابة بالحمى ، وغير ذلك من الأعمال .

وأوصي بأن نقف عند نصوص القرآن والسنة ولا نتجاوزها في أمـور المعتقـد، وأن نضع نصب اعيننا هذه العلامات الثابتة لما لها من أثر على زيادة الإيمان والإستعداد الدائم ليوم الحساب.

وأصي بعدم إنكار العوالم بدعوى أنها لا توافق العقل الإنساني وقوانينه وأدعـوا إلـى التفكر بالآخرة والتفكير بأحوال الناس عند كل مشهد من مشاهد اليوم الآخر مما يجعلنـا علـى اتصال دائم ومراقبة للنفس مع الاستشعار بعظم الذات الإلهية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أبـــــادي، محمد شمس الحق أبو الطيب، (ت: ١٣٢٩)، **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، ط١،عدد المجلدات٢، عدد الأجزاء٢، (تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان)، دار ابن حزم، بيروت، ١٣٨٨ هـ - ١٩٨٦م.

إبراهيم ، مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمـد النجـار، **المعجم الوسيط**، ط٤، عدد المجلدات ١، عدد الأجزاء١٢، (تحقيق: مجمع اللغة العربية) ، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجـزري ، (ت: ١٢٣٣هـ)، **جامع الأصول من حديث الرسول**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٦٨م.

______________، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ط١، عدد المجلـدات ٢، ج١، (تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا) ، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

الأشـعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بـن سالم بـن أبي بردة بن أبي موسى،(ت: ٣٢٤ هـ)، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، ط١، (تحقيـق: عبـد الحميد)، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ .

الأصفهاني،أبو القاسم الحسين بن محمد،(ت: ١٢٩٧هـ)، **المفردات في غريب القـرآن**، ط١، (تحقيق: محمد سيد كيلاني) ، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢هـ .

الأقرع، محمد سيد أحمد،(السنة: ١٩٨٨)، **رحلة إلى الدار الآخرة** ، ط١، القاهرة:مؤسسة دار المختار الإسلامي.

الأزدي، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير، (ت: ٢٧٥هـ)، **سنن أبي داود**، بدون طبعه، (تحقيق: شعيب الأرناؤوط)، مؤسسة الريَّان، بيروت، ١٤٣٠هـ .

الألباني، محمد ناصر الدين الألباني،(ت: ١٩٩٠م)، **صحيح الترغيب والترهيب** ، .ط٥، مكتبة العبكان، الرياض،بدون تاريخ نشر.

__________ ، **ظلال الجنة في تخريج السنة**، ط٣،المكتـب الإسـلامي،بيروت، ١٤١٣-١٩٩٣م.

______________ ، **السلسلة الصحيحة**،(السنة: ١٩٩٠م)، ط٢،بيروت: مكتبة المعارف.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد ، (ت:٥١٦هـ) ، **شرح السنة**، ط٢، (تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش)، بيروت، دمشق، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد،(ت:٢٩٠ه)،**مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ط٢، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ١٩٩١م.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني،(ت: ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني** ، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

الآمدي، سيف الدين علي بن محمد بن سالم التغلبي، (ت:٦٣١ه)، **أبكار الأفكار في أصول الدين**،ط٢، (تحقيق: أحمد محمد المهدي) ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٤م

الأندلسي، عبد الحق بن غالب بن بن عطية المحاربي،(ت:٥٤٢ه)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**،ط٢، (تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد) ، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر، ١٣٩٨م.

الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد،(ت:١٢٨١هـ) ، **شرح العقائد العضدية**، ط١، المطبعة العلوية،الجزائر، ١٨٥٤ه .

____________ ، **المواقف**، ط١، (تحقيق:عبد الرحمن عميرة) ، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٧ه .

أيوب، حسن أيوب،(السنة:١٩٩١م)، **تبسيط العقائد الإسلامية**،ط١، دمشق: دار الرضا.

______________ ، **المسيح الدجال في أصول الديانات الكبرى**،ط٢، القاهرة: دار الإعتصام.

الباجوري،إبراهيم بن محمد بن أحمد، (ت: ١٨٥م)، **شرح جوهرة التوحيد**، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٢م.

باديس، عبد الحميد بن باديس الصنهاجي، (ت:١٩٤٠ه)، **تفسير ابن باديس**، ط١، (تحقيق: أحمد شمس الدين) ،دار الفكر، بيروت، ١٨٥٦ه .

البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل،(ت: ٢٥٦هـ) ، **صحيح البخاري**،ط٤،(تحقيق: عبد القادر)، دار ابن الهيثم، القاهرة، ١٤٢١هـ .

البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد، (ت: ٥١٦هـ) ، **معالم التنزيل "تفسير البغوي"**، ط١، (تحقيق: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش) ، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩ م.

___________ ، **معالم التنزيل**، ط٣، دار الفكر، الرياض، ١٩٨٠م.

البوطي، محمد سعيد رمضان، (السنة:١٩٩٠م)، **كبرى اليقينيات الكونية**، ط٥، دمشق: دار الفكر.

البيضاوي، عبدالله بن عمر البيضاوي،(ت: ٦٨٥هـ)، **تفسير البيضاوي " أنوار التنزيل وأسرار التأويل**"،ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ .

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين ، (ت: ٤٥٨هـ)، **شعب الإيمان**، ط١، (تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول) ، دار الكتب العلمية،بيروت، ١٤١٠هـ.

التبريزي، محمد بن عبدالله الخطيب،(ت: ٥٠٢هـ)، **مشكاة المصابيح**، ط١، دار المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٩هـ .

الترمذي، حمد بن عيسى بن سوْرَه بن موسى بن الضحاك،(ت: ٢٧٩هـ)، **سنن الترمذي**،ط٢، المكتبة الإسلامية،القاهرة، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.

التفتازاني، مسعود بن عمر بن محمد بن أبي بكر بن محمد ،(ت: ١٩٣٠هـ)، **شرح المقاصد في علم الكلام**، ط١،(تحقيق: عبد الرحمن عميرة)، دار المعارف النعمانية، باكستان، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

___________ ، **شرح العقائد النسفية**، ط١، (تحقيق عبد الرحمن عميرة) ، مطبعة دار التأليف،القاهرة، ١٩٨٦م.

التويجري، محمد بن إبراهيم،(السنة:٢٠١٢م)، **اليوم الاخر صفة الجنة والنار**، ط٥، السعودية: دار أصداء المجتمع.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، (ت: ١٣٢٨هـ)، **بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة**، ط١، مكتبة العلوم والحكمة، المدينة المنورة، ١٩٦٢م.

__________ ، **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ط١**، مكتبة الباز ، مكة المكرمة، ١٤٢٣ه .

__________ ، **مجموع الفتاوى**، ط١، (تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم) ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

__________ ، **درء تعارض العقل والنقل**، ط٢، (تحقيق: محمد رشاد سالم) ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،الرياض، ١٤١١هـ.

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ، (ت:٤٧١ه)، **التعريفات**، ط١، (تحقيق: عبد المنعم الحفني)، دار الرشاد، القاهرة، بدون سنة نشر.

الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، (السنة:٢٠٠٤م)، **عقيدة المؤمن**، ط١، المدينة المنورة: دار العقيدة " مكتبة العلوم والحكم".

__________ ، **عقيدة المؤمن**، ط١، بيروت : دار الكتب العلمية.

جزيء، محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله، (ت: ٧٥٧ه)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ط١، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٩٩٥ م.

الجوهري، إسماعيل بن حماد ،(ت: ٣٩٣ه)، **الصحاح في اللغة**، ط٤، (تحقيق:محمد زكريا يوسف)، دار العلم للملايين، بيروت ،١٩٩٠ .

الجويني، عبد الملك بن عبدالله، (ت: ١٨٠٥ه)، **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في صحيح الإعتقاد**،ط٢، (تحقيق: أسعد تيم)، دار الثقافة، مصر، ١٩٨٥م.

الجيلاني، فضل الله الجيلاني، (ت: ٩٢٤ه)، **فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد**، ط٢، المطبعة السلفية، القاهرة،١٦٣١م.

حامد،إسماعيل، (السنة:٢٠١٢م) ، **تاريخ المسيح الدّجال وعقيدة المخلص والمهدي المنتظر في اليهودية والمسيحية والإسلام**،ط٢، مصر: دار طيبة.

ابن حجر، أحمد شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، (ت:٨٥٢هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

__________ ، **تهذيب التهذيب**، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.

ابن حزم ،علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، (ت:١٠٦٤هـ)، **الأصول والفروع** ،ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.

الحكمي، الحافظ بن أحمد،(ت:١٣٦٢هـ)، **معارج القبول**، ط١،ج٢، دار الكتب العلمية، السعودية، ١٤٢٧هـ.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني،(ت:٧٨٠هـ)، **مسند الإمام أحمد**،ط٢، دار المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م.

خالد، حسن بن سعد الدين ، (ت: ١٩٨٨م)، **الإسلام ورؤيته فيما بعد الحياة**، ط١، بيروت: دار الكتب.

الدمياطي، أحمد بن محمد بن أحمد الدمياطي الشافعي، (ت:٦٩١هـ)، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨ م.

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي،(ت:٣١١هـ)،**الأربعين النووية**، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية،مصر، ١٩٨٦ م.

__________ ، **مختار الصحاح**، ط٣، دار الحديث،القاهرة، ٢٠٠٠م.

__________ ، **تفسير الرازي**، ط٥، (تحقيق: يوسف محمد) ، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م.

__________ ، **مفاتيح الغيب**،ط٢، ج١٣، دار الفكر، لبنان، ١٩٨٦م.

رضا، محمد رشيد بن علي،(ت:١٣٥٤هـ) ، **تفسير المنار**،ط٢، دار المعرفة،بيروت، ١٩٩٦م.

الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر،(ت: ٥٣٨هـ)، **تفسير الكشاف**، ط٣، بيروت: دار المعرفة،ط٣، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م.

أبو زهرة، محمد أحمد مصطفى أحمد ،(ت: ١٨٩٨هـ)، **تاريخ الجدل**، ط١، دار الفكر، مصر، ١٩٣٤هـ.

السخاوي،محمد بن عبد الرحمن بن محمد، (ت: ١٤٩٧م)، **القناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة**، ط١، دار طيبة،الرياض، م.٢٠٠٤

السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم، (ت: ١٧٧٤م) ، **لمعة الإعتقاد الهادي إلــى ســبيل الرشاد** ،ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٠م.

__________ ، **أهوال القيامة وعلاماتها الكبرى**،ط٦، مؤسسة الكتــب، بيــروت، ١٩٩٠م.

__________ ، **المسيح وأشــراط الســاعة**، ط٥، مكتبــة التــراث الإســلامي، القاهرة،١٨٦٢م.

السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان ،(السنة:١٩٨٥م)، **لوامع الأنوار البهيــة**، ط١، القاهرة: مطبعة المدني.

سيد قطب، سيد بن الحاج قطب بن إبراهيم، (ت: ١٣٨٥هـ)، **في ظلال القــرآن**، ط١٢، دار الشروق ، القاهرة، ١٩٨٦ م.

__________ ، **مشاهد القيامة في القرآن**، ط٦، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٦م.

السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال، (ت:٨٩٤هـ)، **البدور السافرة في أحــوال الآخــرة**، ط٢،(تحقيق :محمد حسن الشافعي)، دار الكتب العلمية،بيروت.

__________ ، **الدر المنثــور**، ط٣، دار الفكر ،بيروت ، ١٩٩٣ م.

الشافعي ،سليمان بن عمر ،(السنة: ١٩٨٢م)، **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسيرالجلالين للدقائق الحنفية**،ط٢، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي.

__________ ، **تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب**، ط١، مصر: دار التنوير.

الشعراوي، محمد متولي،(ت:١٩٩٨م) ، **أهوال يوم القيامة**،ط٢، دار الروضة، مصــر، ١٩٨٠م.

الشلبي، مصطفى أبو النصر ،(السنة:١٩٩٢م)، **صحيح أشراط الساعة ووصــف ليــوم البعث وأهوال يوم القيامة**، ط١، غزة: مكتبة السوادي.

__________ ، **صحيح أشراط الساعة**، ط٢، جدة: مكتبة السوادي.

الشنقيطي، محمد أمين بن محمد ، (ت: ١٩٠٥هـ)، **تفسير أضواء البيان**، ط٢، مطبعــة المدني ،القاهرة، ١٩٧٩م.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد،(ت: ١٨٣هـ)، **فتح القدير**، ط٤، (تحقيق: أبو حفص سيّد بن إبراهيم بن صادق بن عمران) ، دار الوفاء، القاهرة، ١٩٩٧م.

__________ ، **نيل الأوطار**، ط٣، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٣م.

الصابوني، إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني ،(ت: ١٤١٦هـ)،**عقيدة السلف وأصحاب الحديث** ، ط٢، (تحقيق: ناصر الجديع) ، دار العاصمة،بغداد، ١٤١٥هـ.

__________ ، **صفوة التفاسير**، ط٤، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠١م.

__________ ، **عقيدة السلف وأصحاب الحديث**، ط١، (تحقيق: ناصر الجديع) ، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٥هـ.

__________ ، **مختصر تفسير ابن كثير**، ط٧، (تحقيق: محمد علي الصابوني) ، دار القرآن الكريم،لبنان، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م

الصالح، جميل رشيد عبدالله ، (السنة:١٩٨٨م)، **الكون واليوم الآخر**، ط١، الأردن: المكتبة الوطنية.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن خليل بن أيبك الصفدي،(ت:٧٦٤هـ)، **الوافي بالوفيات**،ط١، (تحقيق:أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى) ، دار إحياء التراث،بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

الطبراني، سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم،(ت: ٩١٨م)، **المعجم الكبير**،ط٢، (تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ، ١٩٩٠.

__________ ، **مسند الشاميين**، ط١، (تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي) ، مؤسسة الرسالة،بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي،(ت: ٩٢٣هـ) ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ط١، (تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي)، دار هجر للطباعة ، مصر، ١٩٨٤م.

طويلة، عبد السلام عبد الوهاب،(السنة:١٩٩٣م)، **المسيح المنتظر ونهاية العالم**، ط٣، القاهرة: دار السلام.

__________ ، **المسيح المنتظر ونهاية العالم**، ط٢، القاهرة: دار السلام.

عاشور، عبداللطيف،(السنة:١٩٨٨م)، **حياتنا بعد الموت**، ط١، القاهرة: مكتبة القرآن.

__________ ، **تفسير التحرير والتنوير**، ط١، الدار التونسية، تونس، ١٨٨٤هـ.

عبد الباري، فرج، (السنة:١٩٩٢م)، **اليوم الآخر بين اليهودية والنصرانية والإسلام**،ط٣، مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر.

عبد الجبار، عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار بن أحمد بن الخليل بن عبدا، (ت: ٩٦٩ه)، **شرح الأصول الخمسة**،ط٣، (تحقيق : عبد الكريم)، مكتبة وهبة،القاهرة، ١٩٩٦م.

عبد العزيز ، محمد بن نايف بن عبد العزيز ،(السنة:١٩٨٥م)، **الكواشف الجلية عن معاني الواسطية**، ط١، القاهرة: مطبعة رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

عبدالله ، عبد الرحمن بن جبرين،(السنة:١٩٩٠م)، **معجم ألفاظ العقيدة**، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان.

عبده، طارق عبد الحليم محمد، (السنة:١٩٩٦م)، **المعتزلة بين القديم والحديث** ، ط٢، لبنان: دار ابن حزم بيروت .

ابن العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، (السنة:٢٠٠٢م)، **تفسير جزء عم**، ط٢، الرياض: دار الثريا للنشر والتوزيع.

__________ ، (١٩٨٠م)،**مجموع فتاوى ورسائلفضيلة الشيخ محمد بن صالح لعثيمين**، ط١، المغرب: دار الوطن.

__________، **شرح لمعة الاعتقاد**، ط١، الرياض: دار الهدى.

__________، (السنة:١٩٩١م)، **شرح العقيدة الواسطية**،ط١، دمشق:مؤسسة الرسالة.

العراقي، عاطف، (السنة:١٩٨٧م)، **مذاهب فلاسفة المشرق** ، ط٩، القاهرة: دارالمعارف.

ابن العربي، أبو بكر بن العربي،(ت:١١٤٨ه)، **أحكام القرآن**، ط٣، (تحقيق: محمد عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية،بيروت، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

أبو العز الحنفـــي، محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز ،(ت:٧٩٢هــ) ، **شرح العقيدة الطحاوية**،ط١، (تحقيق: أحمد شـــاكر)، وزارة الـــــشؤون الإســـــلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد "مكتبة الملك فهد"، الرياض، ١٤١٨ هــ.

عطاالله، عبدالباقي أحمد، (السنة:١٩٩٠م)، ط٣، **اليوم الآخـــر فـــي الكتـــاب والســـنة**، الرياض: دار المنار.

عطية، محمود، (ت:١٩٩٧م)، **فقد جاء أشراطها**، ط٥، رمادي للنشر،الرياض.

عطية،عبد الحق بن أبي بكر، (ت:٥٤١ه)، **المحـــرر الـــوجيز فـــي تفســـير الكتـــاب العزيز**،ط٢، (تحقيق المجلس العلمي) ، مديرية الشؤون الإسلامية ،المغرب،١٣٩٧.

علي ناصف، منصور علي ناصف،(السنة:١٩٩٠م)، **غاية المأمول شرح التاج الجـــامع للأصول**،ط١، القاهرة: دار الفكر.

العمادي، أبي السعود محمد بن محمد العمـــادي،(الســـنة: ١٩٨٨م)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** ، ط١، بيروت: دار إحيـــاء التراث العربي.

العواجى،غالب بن علي،(السنة: ١٩٩٠م)، **الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار**،ط٢، مصر: دار لينة.

__________ ،(السنة: ١٩٨٢م)، **الحيـــاة الآخـــرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار**، ط١، مصر: دار لينة.

عيسى، أحمد إبراهيم بن صالح ،(ت: ١٣٤٣هــ) ، **توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم**،ط٣،(تحقيق: زهير الشاويش) ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦ه .

__________،(الســـــــنة:١٨٩٠م)،**توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم**،ط٢، (تحقيق: زهير الشاويش) ، بيروت: المكتب الإسلامي .

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (ت: ٣٩٥ه)،**معجم مقاييس اللغـــة**، ط١، دار إحياء التراث العربي،بيروت، ١٤٢٢هــ-٢٠٠١م

فائز، أحمد، (ت:١٩٨١م)، **في ظلال القران**، ط٣، مؤسسة الرسالة،بيروت،

ابن فورك، محمد، **الحدود فـــي الأصـــول**، ط٣، دار المغـــرب الإســـلامي،المغرب، ١٨٨٠م.

الفوزان، صالح بن فوزان،(السنة: ١٩٩٠م) ، **الإرشاد إلى صحيح الإعتقاد والرد علـــى اهل الشرك والإلحاد**، ط١، الرياض: دار الثقافة والنشر.

الفيومي، أحمد بـــن محمـــد،(ت:٢٦٨هـــ)، **المصـــباح المنيـــر**، ط٢، دار الحـــديث، القاهرة،١٩٦٢.

__________ ، (الســـــنة: ٢٠٠٢م)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**،ط١، القاهرة: دار الحديث.

القاسمي، محمد ، (السنة: ١٩٩٤م)، ط٢، **محاسن التأويل**، بيروت: مؤسســـة التـــاريخ العربي.

القرطبي، شمس الدين محمد بن أحمد ، **يوم الفزع الأكبر**، ط٢، (تحقيق: محمد إبـــراهيم سليم)، مكتبة القرآن الكريم،القاهرة، بولاق، ١٩٨٧م.

________ ، **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخـــرة**،ط٣ ، دار الكتـــاب العربـــي، بيروت، ١٩٩٣م.

________ ،**الجامع لأحكام القران**،ط١، (تحقيق: د.عبدالله بن عبد المحسن التركـــي)، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤٢٧هـــ-٢٠٠٦م.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، (ت:١٧٢ه)، **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والســـنة**، ط٢، دار الكتـــب العلميـــة، بيروت، ١٩٧٥م.

________ ، **طريق الهجرتين وباب السعادتين**،ط٢، (تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي)، دار عالم الفوائد،مكة، ١٤٢٤م.

ابن كثير ، **البداية والنهايه**، ط١، دار عالم الكتب، الرياض،ط٤، ٢٠٠١م.

________ ، **تفسير القران العظيم**،ط١، (تحقيق: السيد محمد السيد، وجيـــه محمـــد أحمد وغيرهما)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢م.

_______ ،**النهاية في الفتن والملاحم**،ط٤، دار المعرفة، ٢٠٠٣م.

الكفوي، أيوب بن موسى، (ت:١٩٩٠م)، **الكليات**، ط٢، مؤسسة الرسالة،بيروت، ١٩٩٣.

اللالكائي، هبة الله بن الحسن الطبري، (ت:٤١٨ﻫ)، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة** ، ط٤، دار طيبة، الرياض، ١٩٩٥م.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة الربعي الحجري الأزدي(ت: ٨٨٧هـ)، ،**سنن ابن ماجة**، ط٢، (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي) ، المكتبة العلمية، بيروت،١٨٨٠م.

ابن مانع، محمد ، (السنة:١٩٩٧م)، **الكواكب الدرية لشرح الدرة المضنية**،ط١، بيروت:دار الكتب العلمية.

الماوردي،أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت:١٠٥٨ﻫ) ، **النكت والعيون "تفسير الماوردي**"، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٦٠م.

المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري،(ت:٢٠٠٦م)، **تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي**، ط٢، دار الكتب العلمية،بيروت.

مبيض، يسرمحمد سعيد،(ت: ١٩٩٢م)، **اليوم الآخر في الأديان السماوية**، ط٣،المنصورة: دار الوفاء.

المحاسبي، الحارث المحاسبي، (السنة:١٩٩٠م)، **البعث والنشور**، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

محمد، هشام بن عبد القادر، (السنة:١٨٦٢م)، **مختصر معارج القبول**،ط٥، الرياض: مكتبة الكوثر.

المزي ، يوسف بن الزكي عبد الرحمن ، (ت:٧٤٢ﻫ)، **تهذيب الكمال**، ط١، (تحقيق: بشار عواد معروف) ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠ م.

_________ ، **تهذيب الكمال** ، ط٢، (تحقيق: بشار عواد معروف)، مؤسسة الرسالة ،بيروت ،١٩٨٠م.

مصطفى، عبد القادر عطا،(السنة:١٩٩٠م)، **المسيح عيسى**،ط٢، القاهرة: مكتبة التراث.

المطيري، عبد المحسن بن زبن،(السنة:١٩٨٠م)، **اليوم الاخر في القران العظيم والسنة المطهرة**، ط١،، الكويت: دار البشائر الإسلامية.

المقدســـي، مرعي الحنبلي المقدسي،(الســـنة:١٩٩٠م)، **تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان**، ط٢، مصر:مطبعة المدني.

الملا أحمد ، (السنة:١٩٨٤م)، **العقيدة الإسلامية دراسة وتطبيق** ، ط١، دمشـــق: دار الكتاب العربي.

المناوي، محمد عبد الرؤوف،(ت:١٠٣١ه)، **فيض القدير شرح الجامع الصـــغير**،ط٣، دار الفكر للطباعة والنشر،مصر، ١٩٧٢م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم،(ت:٦٣٠ه)، **لسان العـــرب**،ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـــ-١٩٩٤م.

الميداني،عبد الرحمن حبنكة،(ت:١٤٢٥ه)، **العقيدة الإســـلامية وأسســـها**، ط١٢، دار القلعه، دمشق، ١٤٢٥ه-٢٠٠٤م

النجار ، زغلول ،(السنة:٢٠٠٤م)، **الإعجاز العلمي في السنة النبوية** ،ط٥، مصر: دار نهضة .

ــــــــــــــــ ،(السنة: ٢٠٠٤م)، **الإعجاز العلمي في السنة النبوية**، ط١، القاهرة: دار النهضة.

النّحّاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس،(ت:٣٥٢ه)، **إعراب القـــرآن الكـــريم**، ط٣، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٩٠م.

النسائي، أحمد بن شعيب بن علي ابن بحر بن سنان بن دينـــار،(ت:٣٠٣هـــ)،**الســـنن الكبرى**،ط٣، دار الكتب العلمية،بيروت، ١٩٩٠م.

النووي، محيي الدين يحيى،(ت:٦٣١هـــ)، **صـــحيح مســـلم بشـــرح النـــووي**، ط٢، (تحقيق:موفق مرعي) ، دار الفيحاء، دمشق ، ١٤٣١ه-٢٠١٠م.

النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحـــاكم، (ت:٢٦١هـــ)،**المســـتدرك علـــى الصحيحين**،ط٢، دار الكتاب العربي، لبنان، ١٩٩٠م.

ــــــــــــ ،**صحيح مسلم**، ط٣، دار طريق، الرياض، ١٤٣١هـــ- ٢٠١٠م.

الهرري، عبدالله بـــن محمـــد بـــن يوســـف ، (ت:٢٠٠٨م)، **المطالب الوفية**، ط٢، دار المشاريع، القاهر، ١٩٩٨م.

الوابل، عبدالله بن يوسف ، (السنة:١٩٩٧م)، **أشراط الســـاعة**، ط٥، الرياض: دار ابـــن الجوزي.

THE HEREAFTER EVENTS FROM MAJOR HOUR SIGNS TO THE STAGE OF THE PATH AND THEIR ORDER " DOCTRINAL STUDY".

By

Eman Metieb Majid Al-Younis

Supervisor

Dr. Abdul Hamid Said Rajah Kurd

ABSTRACT

This research presented to complete the requirements for the degree of Master in the Department of Religion, The study addressed the theme:" events of the hereafter, fro the resurrection to the end of " Al- Serat" in the Quraan and the Sunnah and their order: a doctrinal study", and this research has an introductory chapter, five chapters, and a conclusion. .

This research addressed some of the stages of the afterlife from the last time to Al- Serat studying sources of audio, a revelation of the Quran and the Sunnah.

The first chapter, "Resurrection markings and its horrors," where between through the texts of Quranic verses stones and hadith the major signs: From the Antichrist and what happens from strife and epics and fight the Jews, and the emergence of polytheism and differences of faith, and the sun rises from the west, and the appearance of an animal and smoke, and the descent of Jesus and out liars and fire, and what happens Kalnfaj pictures of the signs, and the statement of the time if people are blowing pictures, and other events related to the land and the mountains and the sky horrors of the Day of Resurrection. .

The second chapter, entitled the Baath and the Resurrection, handled these issues: he sent the bodies from the graves, the Resurrection, Hashr, and improve people's Doomsday, pelvis, and Kawthar .

Also ensure that the third chapter, "Hashr" the issue of account presentation and argument and excuses, and request redemption and volatilization of newspapers, and a member and business, and a certificate of the prophets and apostles, and a certificate of Muhammad peace and blessings of creation and the nation. .